دراسة مقارنة

مَثَلُ الذين حُمِّلوا التّوراة ثم لم يَحْمِلوها كَمَثَلِ الحِمارِ يَحمِلُ أسْفارا

الدّكتورة ليلى حسن سعْد الدّين

مركز اللغات - كُليّة الآداب
الجامِعة الأردنيّة

النّاشِر

دار الفِكْر

الأردُن - عمّان

الطبعة الاولى

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهــداء

إلى الشرفاء من أبناء قومي ، إلى المجاهدين في سبيل الله والوطن . . رافعي راية لا إله إلا الله وحاملي السلاح في وجه الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها .

الدكتورة/ ليلى حسن سعد الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد . . فكثيراً ما وقفت عند الآية الكريمة في بني إسرائيل « مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً » .

فأية توراة تلك التي حمِّلوا أمانتها ولكنهم خانوا الأمانة ولم يحملوها ؟

إنها بلا شك توراة موسى ووصاياه ، فقد ضيّع بنو إسرائيل توراته ورفضوا وصاياه ونقضوا فرائضه وهدموا شريعته ، حتى استحالت بين أيديهم إلى توراة لا تمت إلى موسى بصلة ، بما دخلها من كذب وافتراء وتحريف وتزييف وتضليل .

فالتوراة التي يحملونها اليوم هي توراة السبي البابلي التي وضعوها في القرن السادس قبل الميلاد ، وواضعوها ـ كما نعرفهم من خلال توراتهم ـ هم رجال قتل وذبح وسفك دماء وكذب وخش وخداع وزنا ، لأن هذا هو ما تدعوهم إليه توراتهم ، والرب فيها واحد منهم يدفعهم إلى الشر والتقتيل والتذبيح دفعا ، وفيه من الصفات البشرية ما تجعله دون البشر أحياناً بما فيه من طيش وغضب وندم وهكذا .

وهذه التوراة التي يحملونها اليوم بزيفها وتبديلها قد حملت إليّ قضايا كثيرة افتروها على التوراة والتاريخ والحياة ، وفي مقدمتها قضية الوعد بالأرض التي

تفيض لبناً وعسلاً ، حتى إن التوراة كلها قد قامت على هذا الوعد والميراث الذي وعد الرب به إبراهيم ونسله الذين آمنوا .

والوعد لنسل إبراهيم إنما كان مقترناً بشرط وميثاق هو التوحيد المطلق المنزه . والإيمان الخالص بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وإلا فإن العقاب هو التشتيت بين الأمم والتبديد بين الشعوب .

ولم يفت بني إسرائيل هذا الشرط اللازم لتحقيق الوعد ، فقد علموه يقيناً من توراة موسى ، وتوراتهم الوضعية ، ولكنهم تجاهلوه وتعاموا عنه ، شأنهم مع كل قضية تخونهم .

إنهم يدركون تماماً شرط الوعد والميثاق مع إبراهيم ، ولكنهم توهموا أن انتسابهم إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب انتساب اللحم والدم يشفع لهم ، ولكن جوهر رسالة موسى وما تلاها من رسالات السماء هو الإيمان بالله وتوحيده مما يجعل هذا الإيمان والهداية هو النسب بين المؤمنين وليس نسب اللحم والدم والعنصر .

والتوراة تذكر بإسهاب كفر بني إسرائيل وشركهم ، فكان عقابهم كما أراد الرب بأيدي الأقوام القوية الأخرى وكان سبيهم الأول والثاني بأيدي الاشوريين والبابليين ، وذلك مؤشر من الرب إلى انقطاع النسب الإيماني بينهم وبين إبراهيم وإسحق ويعقوب ، وانتفى بالتالي عنهم الوعد لأن الشرط لم يعد قائماً بينهم وبين الرب .

وثمة ادعاء آخر يقترن بالادعاء الأول ، وهو أنهم شعب الرب المختار وأحباؤه بل أبناؤه . وتؤكد توراتهم أن اختيار الرب لهم لم يكن اختياراً أبدياً صادراً عن كونهم من أبناء إبراهيم وإسحق ويعقوب بالعنصر ، ولكن إذا هم أدوا الأمانة ، التي حمِّلوها ، وهي أمانة اول رسالة سماوية مكتوبة محررة ، وجوهرها هو التوحيد والإيمان بالله إيماناً لا يشوبه شرك .

وكفر بنو إسرائيل فانتفى عنهم الاختيار والاصطفاء ، إلا الفئة القليلة التي

آمنت بموسى ومن بعده بعيسى ، الذي أرسل إلى بني إسرائيل خاصة ، كما بشرت به توراتهم من خلال أوصافه ، وأنه مخلص بني إسرائيل .

وجاء عيسى ليكمل ناموس موسى وليبشر برسول يأتي من بعده ، اسمه أحمد كما ذكر القرآن الكريم بلسان عيسى (ص) « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » .

وتذكر التوراة وتؤكد الأناجيل ان الفئة القليلة التي آمنت بعيسى قد دعاها الرب شعبه المختار ، ودعا الرب عيسى بذلك فقال انت شعبي المختار .

وبذلك ينتفي الاختيار والاصطفاء عن الذين كفروا من بني إسرائيل ، ويبقى المؤمنون الموحدون الرافعون راية التوحيد هم الشعب المختار .

وتعود الأناجيل لتؤكد أن علاقة النسب بإبراهيم هي الإيمان ، وأن المؤمنين فحسب هم أبناء إبراهيم ، وسيبقى عنصر الاختيار والامتياز من نصيب من آمن بالله إيماناً لا يشوبه شرك أو ضلالة أو وثن .

وكما كفر بنو إسرائيل بموسى فقد كفروا بعيسى وبرب عيسى . وأخذ الوعد المشروط ينحسر عنهم بسبب كفرهم وآثامهم ، وكان عيسى عليه السلام آخر رسول من نسل اسحق بن إبراهيم ، وقد مضت النبوة ميراثاً في نسل اسحق بن إبراهيم إلى أن وصلت إلى عيسى ووقفت النبوة عنده وانتهى الميراث به ، فعيسى لم يتزوج ولم يعقب . كما أن معاصريه النبيين زكريا وابنه يحيى وهما من نسل إسحق بن إبراهيم قد ماتا ولم يعقب يحيى لأنه كان ـ كما ذكر القرآن الكريم ـ حصوراً .

وانقطع ميراث نبوة فرع اسحق لأن نسله لم يؤمنوا فانقطع بكفرهم الوعد وانتفى عنهم الاختيار والاصطفاء .

وأشارت التوراة بوضوح وتأكيد إلى انتقال النبوة من فرع إسحق الأخضر بعد

أن جف إلى فرع إسماعيل اليابس الذي اخضر بعد يبس ، وكان اخضراره بمحمد ﷺ وهو خاتم الرسل والأنبياء ، ورسالته خاتمة رسالات السماء .

وقد أرسل محمد ﷺ إلى البشرية كافة هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . وقد جاء برسالة الإسلام ، صُدوراً عن جوهر الرسالات كلها وهو التوحيد ورفع راية لا إله إلا الله ، فكانت أمة محمد ﷺ خير من حُمِّل أمانة السماء فحملها . وكانت أمته الأمة التي انتقلت اليها صفة الاختيار والاصطفاء ، وكان هذا الاختيار من نعم الله سبحانه وتعالى عليها ، إلى جانب نعمة الاسلام والهداية والإيمان فقال تعالى فيهم « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » .

وكان الدين عند الله الإسلام « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » .

وباتت أمة محمد ، أمة التوحيد هي الأمة المختارة ، وبقيت الأرض لأهل الأرض المؤمنين الموحدين ، فكانوا هم أصحاب الوعد الأبدي بأرضهم التي هيئت للتوحيد منذ الأزل وإلى الأبد و« إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

« ولقد كتبنا في الزبور[1] من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » .

والتوراة تنقض ادعاءات اسرائيل وافتراءاتها ، ومن هذه ادعاؤهم بأحقيتهم بأرض المسجد الأقصى التي بارك الله تعالى حوله . وهي من هنا تقوم بين الفترة والأخرى بمحاولة حرقه أو هدمه أو الحفر تحته ظناً منها وتوهماً انها ستصل الى

---

(١) الزبور هو كتاب داود السماوي ، وداود هو من تسعى إسرائيل إلى اقامة مملكة عالمية اسطورية ، عليها ملك من نسله .

المعبد السليماني الذي هدمه الله ودثره إلى الأبد .

فالتوراة تؤكد والتاريخ يشهد أن أرض الهيكل كانت أرضاً عربية فلسطينية يبوسية أورشاليميه فوق تل المُرِّيّا التي كان تحتها كهف ملكي صادق ملك يبوس الفلسطيني الذي بارك إبراهيم حين مر بها . وكان ملكي صادق أول من دعا إلى التوحيد . وقد ذكرت الأناجيل أن عيسى جاء على رتبة الكاهن ملكي صادق .

واشترى داود قطعة الأرض من أرونة اليبوسي ودفع ثمنها خمسين شاقلاً من الفضة ، وأسسها لبناء الهيكل الذي أقامه ابنه سليمان .

وكان شرط اقامة المعبد او بيت الرب ـ كما تذكر التوراة هو الإيمان والتوحيد وعبادة الرب حتى يبقى قائماً . ولكن بني إسرائيل كفروا وأشركوا وضلوا وعبدوا الوثن في الأرض التي دخلوها بأمانة السماء ، وهناك ضيعوا الأمانة ، ورفضوا الشريعة واحكامها وفرائضها وعبدوا أصنام الأرض وفاقوهم في عبادتها ، وتحول البيت الى مغارة لصوص في عهد عيسى (ص) كما تذكر الأناجيل .

وتذكر التوراة أن الرب قد عاقب إسرائيل بهدم البيت بأيدي الأقوام الأخرى التي سلطها عليهم ، ودمر المعبد إلى الأبد ، واندثرت معالمه ولم تقم له قائمة رغم إعادة بنائه في عهوده الغابرة . وعفا الزمان عليه لأن بيوت الله لا تعمر ولا تخلد إلا بالإيمان وعبادة الله « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » .

وطوى الزمان المعبد الذي أقيم أصلاً على كهف الملك الساليمي الموحد ، ويشاء الله سبحانه أن يبني بيته الذي سيبقى بالإيمان خالداً مخلداً وهو المسجد الأقصى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وقد ذكر كعب الاحبار اليهودي « أن المعبد السليماني لم يقم على غير أساس » .

ولن يضر بيت الله المبارك في أورشليم القدس محاولات إسرائيل لحرقه أو هدمه أو حفر أساساته ، لأن في هذا البيت يرفع اسم الله آناء الليل وأطراف النهار .
« في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال » .

ووقفت من خلال التوراة بعد طول نظر فيها وبحث على قضية الذبح والفداء ، وقد جعلت التوراة اسحق هو الذبيح ، وإن كانت القضية التوراتية لا تخلو من متناقضات تؤيد فداء اسماعيل لا إسحق .

وتذكر التوراة أن الرب قد أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده اسحق ، وهذا يحمل امرين لا يتفقان ، فالابن الوحيد آنئذ لم يكن اسحق ، فإن هناك أخاه الأكبر البكر اسماعيل ، وهو يكبر اسحق بثلاثة عشر عاماً كما تذكر التوراة . وعمليه الفداء قد تمت قبل ولادة اسحق ، بل إن إبراهيم قد بشر بإسحق ومن وراء اسحق يعقوب بعد أن نجح إبراهيم وإسماعيل في الامتحان الإلهي .

فقد نجح إبراهيم في إيمانه بالله وفي طاعته المطلقة لله . ونجح اسماعيل في الإيمان بالله وفي طاعته المطلقة لأبيه إبراهيم. فكان اسماعيل هو الذبيح كما أكد القرآن الكريم بقرائن واضحة . حتى أصبح الفداء منسكاً من مناسك الحج الذي وجدت مناسكه بإبراهيم وهاجر وإسماعيل .

ومن خلال التوراة أبرزت صورة رب إسرائيل . وهو رب بشري ، يشارك البشر غرائزهم ، فهو يندم ويغضب ويطيش ويأمر بالقتل والذبح والآثام والخطايا والشر إلى آخر ما هنالك من رجاسات فاقوا بها سواهم ، بل لم تخلق لسواهم .

كما وضحت التوراة صورة اليهود ، وكذلك جلوت صورتهم الانجيلية والقرآنية .

ومن ثم أوضحت صورة محمدﷺ في الأناجيل ثم انجيل برنابا الذي قام في مجموعة على هذه البشارة بمحمدﷺ ، وفي هذا فإن برنابا هو الإنجيل الوحيد الذي يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم .

ثم أبرزت صورة عيسى (ص) من القرآن الكريم ، بعد ان شوهها اليهود ، وجعلوا منه مرتداً خارجاً عن الدين اليهودي كما جعلوا من أمّه مشبوهة في حملها ووضعها عيسى .

وأنهيت الكتاب بعرض موجز لبروتوكولات حكماء صهيون التي استقوها من ظلمات توراتهم الوضعية ومن جحيم التلمود الذي ينزلونه منزلة القداسة بما يفوق التوراة . وكلاهما التوراة والتلمود يدعوان إلى الشر والاثم والخطيئة والكفر .

وتقوم البروتوكولات على رسم مملكة اسطورية عالمية ملكها واحد من نسل داود الذي انقطع انسله بعيسى وزكريا ويحيى عليهم السلام . وهي تسعى الى ذلك من خلال تدمير العالم وتخريب الأخلاق وهدم الأديان ، ونشر المفاسد والإباحية والانحلال والخلاعة ، وهذا ما تدعو إليه توراتهم الوضعية التي لم تكن توراة موسى التي حملوها فيما مضى ولكنهم لم يحملوها فكانوا « كمثل الحمار يحمل أسفاراً » . أي لا يعقلون ما يحملون ، ولا يفعلون بما يؤمرون . فكانوا لتضييعهم امانة السماء « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ، وصدق فيها قوله سبحانه « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً » .

عمان في ١٨ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ — صدق الله العظيم

١/ ١/ ٨٣ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد . .

قال تعالى « مثل الذين حمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً » .

إنها توراة يهود اليوم ، بما تحمل من ادعاءات وافتراءات وتزييف للتاريخ ، الذي يرون من خلاله مملكة يهودية كبرى تشمل العالم كله . وهي مملكة رسمت التوراة حدودها ، وعلى رأس هذه المملكة ملك من نسل داود ، وقلب هذه المملكة كما يدعون فلسطين ، وعلى وجه التحديد هي أورشليم .

ولا بد قبل كل شيء من البدء بأولئك المدعين مع ادعاءاتهم ، وأولها ، تلك التي تقول إن اليهود جميعاً اليوم هم من نسل داود ، وإن كانت الاكتشافات الأثرية الحديثة قد أكَّدت أن اليهود هم شتات أمم كثيرة مختلفة ، دخلت اليهودية ، ولا تمتّ بصلة إلى السامية أو إلى الشعوب السامية .

والآراء حول تاريخ اليهود كثيرة ، منها ما يقول إنّ هذا التاريخ يرجع إلى زمن الأكديين في حين أن الأكديّين قد ظهروا قبل عصر النبي موسى بأكثر من ٢٥٠٠ سنة ، ذلك لأن الأكديين قد نزحوا من جزيرة العرب إلى الفرات حوالي سنة

---

(١) الجمعة ١٧ .

٤٠٠٠٠ ق . م . أما أتباع موسى فقد ظهروا في القرن الثالث عشر قبل الميلاد أي بعد الأكاديين بـ ٢٧٠٠ سنة[١] .

ويربط آخرون تاريخ اليهود بزمن إبراهيم الخليل في حين انهم لم يظهروا إلا بعد إبراهيم بسبعمائة عام .

ويرى فريق ثالث أن تاريخهم يبدأ بزمن الهجرات السامية العربية إلى الهلال الخصيب . في حين أن هذه الهجرات بدأت قبل وجودهم بألفي عام .

واختلاف الآراء راجع الى ما تعمده كتبة التوراة من إهمال التسلسل الزمني حتى يسهل عليهم تثبيت ادعاءاتهم ، وما رسموه من هالات حول تاريخهم ، حتى إن القارىء في توراتهم ليضل بين العصور التي تداخلت بطريقة ، لا يعود القارىء بعدها يعلم إلا شيئاً واحداً ، هو المجد العريق الذي هيأه لهم الرب ، لأنهم ـ كما يَدَّعون ـ شعب الله المختار .

والأمر الوحيد البارز الذي يقف عليه قارىء التوراة ، هو أن هذه التوراة ليست توراة موسى ، حيث ان التوراة قد أنزلت عليه في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، في حين أن التوراة التي وضعها كهنة اليهود في الأسر كانت بعد ثمانمائة عام من عهد موسى ، وبعد الف وخمسمائة سنة من عهد إبراهيم الخليل ، ونسبوها إلى موسى وإبراهيم زوراً .

وقد أوقع العالم في التضليل والتزييف مهارةُ كتبة التوراة في تحريفهم واختلاقهم حضارة جعلوا أنفسهم هم أصلها ، وأنها هي الأولى . ولكن الاكتشافات الأثرية الحديثة ، قد نقضت ادعاءاتهم ، وكشفت لنا كتابات الأقدمين الذين سبقوا عهد التوراة وهم السومريون والأكديون والكنعانيون والحثيون والبابليون والأشوريون والمصريون عن كثير مما غمض .

---

(١) الدكتور أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود في التاريخ ٨٣ ـ ٨٤ . ط ٥ سنة ١٩٨١ منشورات وزارة الثقافة والإعلام ـ بغداد ـ العراق .

وهذه الكتابات القديمة تصف لنا العصور الغابرة التي تمتد إليها ، في حين ان التوراة تذكر احداثاً ترجع ، الى عهود بعيدة وأزمنة سبقتها بعشرات القرون ، ولم يكن اليهود آنذاك قد وجدوا .

وأما ما كشفت عنه الاكتشافات الأثرية الحديثة فهو :

١ ـ توضيح اكثر مواقع المدن التي أوردوها في توراتهم وتحديد أزمانها .

٢ ـ تأريخ الأحداث وتسلسلها زمنياً .

٣ ـ تتبع هجرات الساميين من جزيرة العرب إلى فلسطين ، وإلى الهلال الخصيب قبل ظهور النبي موسى .

٤ ـ توصل الخبراء إلى أنّ الكثير من قصص التوراة وشرائعها وأساطيرها يرجع في أصله إلى السومريين والأكديين والكنعانيين والبابليين والأشوريين والمصريين ، مما يدل على أنه ليس لليهود أدب مبتكر أو ثقافة خاصة بهم ولكنهم أخذوا عمن سبقوهم ما وافق هواهم ، وحذفوا ما لا يستقيم مع ما اختلقوه وزوروه .

٥ ـ توصل الخبراء إلى أن كثيراً من موادّ التوراة مأخوذ من شريعة حمورابي والشرائع القديمة الاخرى ، بما فيها تراتيلهم وتسابيحهم الدينية الواردة في التوراة ، وهذه مقتبسة من الكنعانيين ، وعثر عليها في فينيقيا ، ثم ترجمت لاحقاً من الكنعانية الفينيقية الى العبرية وأدخلت في التوراة .

٦ ـ ثبوت الأصل الكنعاني أي السامي العربي لكل ما ورد في التوراة من أسماء الأشخاص والاماكن القديمة في فلسطين ، وهذه ترجع الى زمن بعيد قبل ظهور اليهود .

٧ ـ ثبوت عجز اليهود في أي دور من أدوار التاريخ عن إنشاء دولة مدنية زمنية تضم كل فلسطين.

ونتيجة لذلك يسود المؤرخين المنصفين شعور وهو ضرورة اعادة دراسة

الثقافة اليهودية والديانة اليهودية بعيداً عن التوراة التي أثبتت زيفها واختلاقها ، كما أن من الضروري دراسة التاريخ العربي من هذه الزاوية لوضع الامور في نصابها ، ولإحقاق الحق ، ذلك لأن ما وقع فيه العالم من خلط هو من صنع اليهود أو تلاميذهم ، وقد كانوا أكثر الذين كتبوا في الأديان .

وقد استخدم هؤلاء اليهود كل مواهبهم ووسائلهم ودهائهم ليخدموا أهدافهم في فلسطين ، مما أدى الى أن يخدعوا العالم ويخدعوا كثيراً من العرب والمسلمين .

ولا بد من توضيح مصطلحات وردت في التوراة وكلها تطلق على مسمًّى واحد ، وإن كان كل اسم منها يعني مدلولاً مختلفاً نوعاً وزمناً . وهذه المصطلحات هي العبرانيون أو العبريون ثم الاسرائيليون فالموسويون (قوم موسى) فاليهود .

١ ـ أما مصطلح العبري أو العبراني فقد أطلق في نحو سنة ٢٠٠٠ ق . م وفيما قبل ذلك على طائفة من القبائل العربية شمالي جزيرة العرب في بادية الشام ، وعلى غيرهم من الأقوام العربية في المنطقة . حتى صارت هذه الكلمة مرادفة لابن الصحراء أو ابن البادية .

ومثل هذه اللفظة كلمة (الابري) والهبيري والخبيرو ، والعبيرو وردت في المصادر المسمارية والفرعونية ، ولم يكن وقتئذ للاسرائيليين والموسويين واليهود أي وجود بعد .

من هنا كان نعت التوراة إبراهيم الخليل بالعبراني مقصوداً به (الغبيرو) أي القبائل البدوية العربية ، ومنها القبائل الآرامية العربية التي ينتمي إبراهيم إليها .

كما أن لفظ عبري وعبراني لم يرد في القرآن الكريم مطلقاً ، وإنما ورد (بنو إسرائيل ، وقوم موسى ، ويهود والذين هادوا) . وهذا يعني ان عصر ابراهيم الخليل هو عصر عربي قائم بذاته ، وليس له أية صلة بعصر اليهود ، وفي هذا يقول

القرآن الكريم « يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون . . ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حَنيفاً مسلماً وما كان من المشركين »[1] .

أما كلمة العبري التي تعني اليهود فقد استخدمها كتبة التوراة في وقت متأخر في فلسطين ليؤكدوا ما زيفوه .

٢ ـ أما مصطلح « اسرائيل » فهو يعقوب بن اسحق بن إبراهيم الخليل ، وأبناؤه هم يوسف وإخوته . ودورهم محصور في منطقة حاران (حرّان حالياً) حيث وطنهم الأصلي الذي ولدوا ونشأوا فيه . أما فلسطين فهي أرض غربتهم ، وقد وجدوا في القرن السابع عشر قبل الميلاد ، وهو عهد إبراهيم الخليل نفسه .

واللغة التي كان يتكلم بها أبناء الجزيرة العربية هي الآرامية اللغة الأم قبل أن تتفرق إلى اللهجات المختلفة كالكنعانية والآرامية والعمورية .

والأرجح أن يعقوب (اسرائيل) كان يتكلم هذه اللغة ، كما أن أبناء يعقوب كانوا يتكلمونها . وهؤلاء جميعاً كانوا يدينون بدين إبراهيم الخليل وإسحق ويعقوب وهو دين التوحيد قال تعالى في ذلك « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون »[2] .

وفيما يتعلق باسم إسرائيل فقد أظهرت الاكتشافات الحديثة أنه كان اسما لموضع في فلسطين ، وهي تسمية كنعانية ، وردت في الكتابات المصرية التي تسبق عصر موسى .

كما أن أسماء أبرام ويعقوب ويوسف قد وردت أيضاً في الكتابات المصرية السابقة عهدَ موسى[3] .

---

(١) آل عمران ٦٧ .

(٢) البقرة ١٣٣ .

(٣) مفصل العرب واليهود ٨٨ .

وانتهى الدور الذي ظهرت فيه تسمية إسرائيل بهجرة أسرة يعقوب إلى مصر وانضمت إلى يوسف كما ذكرت التوراة والقرآن .

٣ ـ أما الموسويون أو قوم موسى فقد ظهروا بعد اسرائيل بـ ٦٠٠ عام . وهؤلاء يدينون بدين موسى وهو دين التوحيد ، أي عبادة الإله الواحد الأحد إله جميع المخلوقات . وهو غير إله اليهود أو (يهوه) الخاص بهم والذين هم شعبه المختار .

فديانة موسى هي ديانة إبراهيم الخليل نفسه ، وهو أصل مذهب التوحيد الذي بنيت عليه الرسالات السماوية كلها .

وقوم موسى هم الذين هربوا مع نبيهم من مصر ، وتوجه بهم إلى أرض كنعان (فلسطين) . وكانوا يتكلمون اللغة المصرية التي نقل بها موسى الشريعة والوصايا العشر ، وكتبت بالهيروغليفية التي تعلمها في بلاط فرعون .

وحين غزا الموسويون أرض كنعان أخذوا بلغتها وثقافتها وتقاليدها ، ومارسوا حتى ديانتها الوثنية في أكثر فترات وجودهم بين الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين ، وانحرفوا عن ديانة موسى وشريعته . وهؤلاء هم الذين صاروا يعرفون فيما بعد باليهود .

٤ ـ أما تسمية يهود[1] فهي تسمية أطلقت على بقايا جماعة يهوذا الذين سباهم نبوخذنصر إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد ، وسموا بذلك نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة ، وهؤلاء قد اقتبسوا من الأراميه لهجتهم العبرية قبل السبي ، ودونوا بها توراتهم في الأسر في بابل أي بعد زمن موسى بـ ٨٠٠ عام .

أما التوراة التي بين أيدينا الآن فهي غير توراة موسى ، وقد استهدف وضاعها تحقيق غرضين .

أولهما : تمجيد تاريخهم ووضع أنفسهم المكانة المصطفاة بكونهم

(١) السابق ٨٩ .

الشعب المختار من دون بقية الشعوب ، وهذا يتطلب منهم إرجاع أصلهم إلى إبراهيم الخليل وإلى يعقوب (إسرائيل) وتسموا باسم بني إسرائيل ، على الرغم من ظهورهم بعد اسرائيل بستمائة عام .

وعلى بني اسرائيل هؤلاء بنى وضاع التوراة توراتهم حتى إنهم أوجدوهم في كل زمان ومكان ، حتى في الأدوار التي سبقت وجودهم ، فكان أن وصلوا إلى إبراهيم الخليل الذي سبق اسرائيل .

بل إن التوراة اعتبرت يهود الخزر (وهم من أصل تركي) الذين اعتنقوا اليهودية في وقت لاحق من أبناء يعقوب . وكذلك اعتبرت يهود أوروبا وأمريكا ويهود العالم من أبناء يعقوب الذي عاش قبل ٣٧٠٠ سنة[1] .

والغرض الثاني الذي رمى إليه وضاع التوراة هو جعل فلسطين وطنهم الأصلي على الرغم من أن توراتهم تقول إن فلسطين هي أرض غربة بالنسبة لإبراهيم وإسحٰق ويعقوب وأبناء يعقوب .

من هذا كله صدرت توراتهم وفيها ما فيها من تحريف وتضليل وتزييف للتاريخ والحق من خلال القتل وسفك الدماء والكذب والخداع والغش الذي فاضت به أسفار التوراة .

وقد فرق القرآن الكريم بين بني اسرائيل وهم ذرية إبراهيم وبين اليهود الذين كفروا ، ولم يذكر هؤلاء اليهود إلا في حالة السخطوالغضب .

وأعود لتحديد الأدوار التاريخية لليهود وهذه هي :

١ ـ عصر إبراهيم الخليل ويرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد . ولغة هذا العصر السامية العربية الأم والديانة التوحيد .

٢ ـ عصر موسى ويرجع إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ولغته المصرية

---

(١) مفصل العرب واليهود ٩٠ .

أولا ثم الكنعانية ، والديانة التوحيد ثم الإغراق في الوثنية .

٣ ـ عصر اليهود ويرجع إلى القرن السادس قبل الميلاد . ولغة العصر الآرامية والعبرية (آرامية التوراة) . أما الديانة فوحدانية يهوه الخاصة باليهود فقط . وتبدأ اليهودية بتوراة اليوم من بداية هذا العصر (عصر اليهود) .

* * *

فلسطين في التاريخ والتوراة

لن أبحث في هذا الفصل تاريخ فلسطين كما يبحث المؤرخون ، ولكن كما يبحث طالب الحقيقة التي يحاول المزيفون تزييفها .

والتوراة مع تزييف أصحابها لها وتحريفهم حقائقها بالنسخ أو الطمس أو إهمال الجانب التأريخي لا تتعارض مع ما يؤكده التاريخ عن فلسطين ، وهذه لا تعدو أن تكون أرض غربة لليهود ، وقد غزوها بالقتل وسفك الدماء والوحشية .

لقد كانت فلسطين تحتل مكانة هامة بين بلدان الشرق الأدنى القديم ، ويعتبر انسان فلسطين ـ كما يرى العلماء وكبار الباحثين ـ حلقة اتصال بين الإنسان البدائي والإنسان العاقل . ويقدر وجود هذا الإنسان على الأرض بحوالي ١٠٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، مما يعطي الدليل على أن فلسطين من أقدم مواطن الانسان[١] .

ومنذ أقدم العصور سكنت شعوب الجنس السامي فلسطين بعد سلسلة طويلة من الهجرات . إلا أن الهجرة الكنعانية أقدم الهجرات ، وكانت موجتها الأولى تشمل الفنيقيين الذين توغلوا حتى أقصى الغرب .

وكانت أولى هذه الهجرات سنة ٣٥٠٠ ق . م وقد اتجهت من شبه الجزيرة العربية نحو الشمال الشرقي . وعلى هذا فإن عرب فلسطين موجودون في فلسطين

(١)د. عز الدين غربية : فلسطين تاريخها وحضارتها ٣٣ ـ سنة ١٩٨١ .

منذ ما يزيد على خمسة آلاف سنة .

ولم يكن الإسرائيليون قد استقروا بعد حتى كان الغزو العظيم لفلسطين من الفلستينيين (وهم شعب غير سامي جاء إلى فلسطين من منطقة إيجة أو كريت كما يقال) . وهؤلاء كانوا شعباً يتعاطى الزراعة والتجارة ولهم ثقافة متقدمة وعريقة كما يقول البروفسور روبنسون[1] ، مما نشأ عنه حقد إسرائيلي لأن الفلستينيين طالما قاوموا التوسع اليهودي . وورد هذا في التوراة « وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل ولكن لم يطرد سكان الوادي لأن لهم مركبات حديد[2] » .

أما الكنعانيون فهم شعب عربي سامي وهم كما يقول المؤرخ بريستيد Breastid وغيره من القبائل العربية التي استوطنت فلسطين وقد تعرض الكنعانيون والفلستينيون لحقد اليهوداليهود وعدوانهم . وفي هذا تقول التوراة « من أجل أنهم لم يلاقوكم بالخبز والماء في الطريق عند خروجكم من مصر . . لا تلتمس سلامهم ولا خيرهم كل أيامك إلى الأبد »[3] .

ويؤكد مؤرخو العصر أن الكنعانيين كانوا أكثر بكثير من حضارة بالنسبة إلى الإسرائيليين ، الذين تسربوا إلى كنعان تسربا بطيئاً ولما يأتوا معهم بثقافة أو أي مظاهر حضارية جديدة ، بل اقتبسوا الثقافة والحضارة الكنعانية[4] .

واليبوسيون من الفروع الكنعانية ، وكانت عاصمة بلادهم مدينة أوروساليم أو (مدينة السلام) ، وكانوا على درجة عظيمة من الحضارة .

وقد قاوم اليبوسيون الإسرائيليين مقاومة عنيدة أخرت احتلال أورو ساليم مائة وأربعين عاماً تقريباً حيث استطاع الملك داود بعد ذلك احتلالها عام ١٠٤٩ ق . م . واتخذها عاصمة لمملكته .

---

(١) ظفر الإسلام خان : تاريخ فلسطين القديم ٢٤ ـ ط ٢ سنة ١٩٧٩ ـ دار النفائس .
(٢) قضاة ١ : ١٩ .
(٣) تثنية ٢٣ : ٤ ، ٦ .
(٤) فلسطين تاريخها وحضارتها ١٨٣ .

فعرب فلسطين اليوم هم أخلاف الفلستينيين والكنعانيين واليبوسيين الصامدين في الأرض رغم كل الطغيان اليهودي والغزوات الخارجية المستمرة .

ونعود إلى التوراة التي فصلت غزو اليهود لفلسطين غزاة طارئين غرباء ، وغزوهم هذا هو أساس كل غزو لهم على طول تاريخهم كله ، وهذا لا يكون إلا في الظلام والخديعة والدسيسة والقتل والوحشية .

ويشوع به نون هو الذي أوكل إليه غزو فلسطين باليهود . وتوراتهم تصف هذا الغزو فتقول « وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف . وقال يشوع للرجلين اللذين تجسسا الأرض أدخلا بيت الزانية وأخرجا من هناك المرأة وكل مالها كما حلفتما لها . فدخل الغلامان الجاسوسان وأخرجا راحاب وأباها وأمها وإخوتها وكل مالها وأخرجا كل عشائرها وتركاهم خارج محلة اسرائيل وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها . إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب . . فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها . لم يبق شارداً بل حرم كل نسمة كما أمر الرب الى اسرائيل . فضربهم يشوع من قادش برنيع إلى غزه وجميع أرض حوشن إلى صعون »[١] .

ويحلل غوستاف لوبون العلل الكامنة وراء تلك الوحشية واللاإنسانية التي صاحبت الغزو والاسرائيلي الأول لفلسطين فيقول « إن عدد بني اسرائيل واحتياجاتهم وبؤسهم في مصر وحرمانهم الهائل في التيه مما جمع بينهم ، فصاروا كقطيع من الذئاب الهزيلة التي دفعها الجوع إلى الاقتراب حتى من المدن »[٢] .

أما سبب نجاح العبريين في هذا الغزو لبعض أجزاء فلسطين فمرده الانقسام العظيم الذي كانت تعاني منه العشائر الكنعانية ، بل إن العبريين أنفسهم كانوا

---

(١) يشوع من الاصحاحين ٦ و ١٠ .

(٢) تاريخ فلسطين القديم ٣٤ .

منقسمين إلى عدة عشائر لم تمكنهم من إكمال الفتح . حتى إن جميع دور القضاة ـ وهو دور بطولة العبريين التاريخي ـ مضى في القتال الجزئي ، وذلك بدفاع كل جماعة صغيرة عما استولت عليه من أرض .

وهذا يعني أنه لم يكن هناك ذلك الفتح المبين وتلك الانتصارات المنفوخة التي تصورها توراتهم . بل إن القبائل العبرية لم تستطع الاستيلاء على كل فلسطين والتوراة تؤكد ذلك « وقد بقيت أرض كثيرة جداً للامتلاك . هذه هي الأرض الباقية كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الشيحور (شرق النيل) الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون (مدينة جنوب شرقي يافا) شمالاً تحسب للكنعانيين أقطاب الفلسطينيين الخمسة الغَزّيّ والأشدودي والأشقلوني والجَتّيّ والعقروني والعويّين . من التَّيمن كل أرض الكنعانيين ومُغارة التي للصيدونيّين إلى أفيقَ إلى تخم الأموريّين »[١] .

أما كيفية غزو العبريين لفلسطين فيمثل الوحشية والهمجية والشراسة التي تضجُّ بها توراتهم ، وكان الرب رجل حرب مثلهم يأمرهم بالقتل والذبح والإبادة والتعذيب والحقد « وأخذ يشوع مقيّدة في ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرم ملكها وكل نفس بها . لم يبق شارداً وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك أريحا . ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل اسرائيل معه إلى لبنة وحارب لِبنة . فدفعها الرب هي أيضا بيد اسرائيل مع ملكها فضربها بحد السيف وكل نفس بها لم يبق بها شارداً وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا »[٢] .

وهكذا تمضي التوراة في وصف أول غزو يهودي لفلسطين ، وقد عمل يشوع في أهلها التقتيل والتدمير والإفناء والإبادة . وهذه الصورة نموذج لكل غزوٍ قامت بها بها اسرائيل على طول تاريخها حتى عصرنا الحاضر . وعمليات الإبادة

(١) يشوع ١٣ : ٢ ـ ٤ .

(٢) يشوع ،ظ ؛ ـطـ ٣١ .

في فلسطين المحتلة وفي الضفة الغربية وفي لبنان صورة لعمليات يشوع في فلسطين .

وأهل فلسطين آنذاك هم سكانها العرب الذين وجدوا قبل غزو اسرائيل بثلاثة آلاف عام . ففي الوقت الذي غزا فيه اليهود فلسطين كانت فيها ثلاثة شعوب سامية عربية تستوطن جنوبي شرقي الأردن وهم الإيدوميون العرب ، والموآبيون ويسكنون جنوبي البحر الميت ، وفي جنوب جلعاد على حافة الصحراء السورية كان يسكن العمونيون[1] . وكان الكنعانيون في وسط البلاد والفلستينيون في شمالها وجنوبها .

والعصر الذي قاد فيه اليهود وحشيتهم في فلسطين هو عصر القضاة ، وتباهي إسرائيل بوحشية هذا العصر وهمجيته ، ويحلله لوبون تحليلا يقول فيه « والحق أنك لا تجد قاضيا استطاع أن يبسط سلطانه على جميع بني إسرائيل ؛ فكل واحد من هؤلاء الحكام أو الشيوخ كان يتسلم قيادة زمرة واحدة عندما تهدد هذه الزمرة تهديدا مباشرا . وهو إذا ما كتب له النصر لم يحتفظ حتى بتلك القيادة .

ولكن اليهود بالغوا في الأمر وجسّموه وجعلوا منه عصرا مزدهراً اختلاقاً وتزويراً .

وكان اليهود حين غزوا فلسطين في حالة صراعات عنيفة أدت إلى تفككهم ، ولكن هجمات جيرانهم المستمرة أوجدت فيهم شاؤول الذي تمكن من توحيدهم مؤقتاً تحت حكم رجل واحد ، وأصبح هذا ملكهم سنة ١٠٢٠ ق.م . ومع هذا فلم يخل حكمه من تنافر القبائل وأحقادهم مما أدى إلى خلخلة حكمه ، وقتل شاؤول على أيدي الفلستينيين سنة ١٠٠٠ ق.م .

وتزخر توراة اليهود بالحروب التي كانت تنشب بينهم وبين الفلستينيين وكلها

(١) تاريخ فلسطين القديم ٣٩ .

(٢) السابق ٤١ .

تكشف جحودهم وعنادهم « ثم عاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عيني الرب فدفعهم ليد الفلستينيين أربعين سنة »[1] .

والتوراة تفصل هذا الجانب من حروب الفلستينيين لشاؤول ، ولكن يبدو أن يهود اليوم لم يقرأوا التوراة ـ وهي من وضع أيديهم ، إلا فيما يتعلق بانتصاراتهم المزعومة المختلقة .

« وحارب الفلسطينيون اسرائيل فهرب رجال اسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل جلبوع . فشد الفلسطينيون وراء شاول وبنيه ، وضرب الفلسطينيون يوناثان وأبيناداب وملكيشوع أبناء شاول . واشتدت الحرب على شاول فأصابه الرماة رجال القسيّ فانجرحَ جدا من الرماة ، فقال شاول لحامل سلاحه استلّ سيفك واطعنّي به لئلا يأتي هؤلاء الغلف ويطعنوني ويقبحوني . فلم يشأ حامل سلاحه لأنه خاف جدا . فأخذ شاول السيف وسقط عليه . ولما رأى حامل سلاحه أنه قد مات شاول سقط هو أيضا على سيفه ومات معه . فمات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم معا . ولما رأى رجال اسرائيل الذين في عبر الوادي والذين في عبر الأردن أن رجال اسرائيل قد هربوا وأن شاول وبنيه قد ماتوا تركوا المدن وهربوا فأتى الفلسطينيون وسكنوا بها .

وفي الغد لما جاء الفلسطينيون ليعروا القتلى وجدوا شارل ونبيه الثلاثة ـ ساقطين في جبل جلبوع . فقطعوا رأسه ونزعوا سلاحه وأرسلوا إلى أرض الفلسطينيين في كل جهة لأجل التبشير في بيت أصنامهم وفي الشعب ووضعوا سلاحه في بيت عشتاروت وسمروا جسده على سور بيت شان . ولما سمع سكان يابيش جلعاد بما فعل الفلسطينيون بشاول قام كل ذي بأس وساروا الليل كله وأخذوا جسد شاول وأجساد بنيه عن سور بيت شان وجاءوا بها إلى يابيش وأحرقوها هناك وأخذوا عظامهم ودفنوها تحت الأثلة في يابيش وصاموا سبعة أيام»[2] .

---

(١) قضاة ١٣ : ١ .

(٢) صموئيل الأول اصحاح ١

وتسلم داود الأمر بعد شاول « وكان بعد ذلك أن داود سأل الرب قائلاً أصعد إلى إحدى مدن يهوذا . فقال له الرب اصعد . فقال داود إلى أين أصعد ؟ فقال إلى حبرون . فصعد داود إلى هناك . . وأصعد داود رجاله الذين معه كل واحد وبيته وسكنوا في مدن حبرون . وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكا على بيت يهوذا »(١) .

ويرى المؤرخون منهم روبنسون وجفريز أنّ أجداد عرب فلسطين المعاصرين قد ساعدوا داود في الوصول الى الملك ، كما أنهم اسهموا بالنصيب الأكبر في إعطاء العرش لسليمان الذي يمثل أوج العصر السياسي لاسرائيل .

وحتى هذه الفترة التي يفخر بها اسرائيل فإن المؤرخين يقولون فيها إن داود قد حكم أربعين سنة بدءاً من تاريخ ١٠١٦ ق. م ، وخلفه سليمان الذي حكم مثل مدة أبيه . وبعد هذا انهار كل شيء حتى إن سليمان قد أخذ يبيع قبل نهاية حكمه أجزاء من مملكاته أو يفقدها . كما لم يصب القحطثلثي البلاد إلا في بحر هذه الفترة الزمانية من حكم الأب وابنه .

وأما هذه الحدود التي كانت لزمن داود فيقول فيها وأيد في كتابه (العهد القديم) إن امبراطورية داود لم تلامس البحر إلا في مكان قريب من يوبا (يافا) ، وتركت مدينتا صور وصيدا الفنيقيتان دون أن يتحرَّش بها أحد . كما احتفظ الفلسطينيون في الجنوب الشرقي من هذه البلاد (فنيقية) باستقلالهم بالرغم من أنهم كانوا مضعضعين .

فحدود هذه المملكة الاسرائيلية المزعومة في أوجها لم تكن ذات قيمة في داخل فلسطين نفسها حيث يصفها المؤرخون بأنها كانت مائة وعشرين ميلا في أطول أطوالها وستين ميلا في أعرض عرضها، بل أقل من ذلك بكثير في اغلب الأحيان (٢) .

---

(١) صموئيل الثاني ٢ : ١ ـ ٤

(٢) تاريخ فلسطين ٤٨

وما ان غاب الملكان عن المسرح حتى سقط الجزء الواقع على تخوم هذه المملكة أولاً ثم تهاوى البناء كله عند أول لمسه من اختبار حقيقي . لقد وخزت الفقاعة فترك بيت داود وليس في يده إلا رقعة ضئيلة وجديبة يقاسي من استشراء البغي والحروب .

ولكن ما سعت وتسعى إليه اسرائيل هو تضخيم هذا التاريخ الوهمي ، وباتوا يلفقون الأكاذيب ويصدقونها ، ويخلعون عليها أثواباً براقة لا توجد إلا في عقولهم المريضة ، التي تظن ان بمقدورها خلق مملكة من العدم ، أخذوا يطلقون عليها شعارات « العلاقة التاريخية ، » « والحق التاريخي » « والأرض الموعودة». وسواها وسواها وهذه لا تتعدى كونها خيالات وأوهاما ، وتوراتهم نفسها تنسف ادعاءاتهم فيما لو قرأوها بميزان العقل لا بميزان التعصب الأعمى وقسوة القلوب وغلاظة الرقاب. ولكنهم لن يعقلوا ولن يعوا لأنهم كما قال فيهم سبحانه «فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية»(١) .

وليس ذلك انطلاقا من عقيدة دينية توراتية هم مختلقوها ، وإنما صدوراً عن فكرة سياسية عسكرية. وقال في ذلك ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي في محاضرة له في مدينة مونتريال في كندا عام ١٩٤٧ إن اليهود لم يختاروا فلسطين لمعناها التوراتي والديني بالنسبة لهم . ولا لأن مياه البحر تعطي بفعل التبخر ما قيمته ثلاثة آلاف مليار دولار من المعادن وأشباه المعادن . وليس أيضاً لأن مخزون أرض فلسطين من البترول يعادل عشرين مرة من مخزون الأمريكتين مجتمعتين ، بل لأن فلسطين هي ملتقى طرق أوربا وآسيا وأفريقيا ، ولأن فلسطين تشكل في الواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم ولأنها المركز الاستراتيجي العسكري للسيطرة على العالم(٢) .

وفي المعنى ذاته يؤكد العقاد أن قضية صهيون كلها من أقدم عصورها إلى

---

(١) المائدة ١٣

(٢) تاريخ فلسطين ٧

أحدثها قضية أناس متعصبين لا يقنعون بما دون السيطرة على العالمين»[١] .

فالارض لم تكن في يوم من الأيام لهم ، ولن تكون فهم غرباء طارئون . ولا جذور في الأرض للغريب الطارىء النزيل « ومتى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي حلف لآبائك ابراهيم واسحق ويعقوب أن يعطيك. إلى مدن عظيمة جيدة لم تبنها. وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها وآبار محفورة لم تحفرها وكروم وزيتون لم تغرسها . وأكلت وشبعت فاحترز لئلا تنسى الرب »[٢].

ولكن توراتهم تضع لهؤلاء نهايتهم المحتومة في فلسطين، وقد هيئت فلسطين مهبطاً للرسالات وملتقى للرسل والأنبياء ، ولن تكون للكفر والشرك الذي يمحق الله أصحابه « يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أفعالك إذ تركتني يلصق بك الرب الوبأ حتى يبيدك عن الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها . يضربك الرب بالسلِّ والحُمّى والحرّ والبُرَداء والالتهاب والجفاف واللفح والذّبول فتتبعك حتى تفنيك . وتكون سماؤك التي فوق رأسك نحاساً والأرض التي تحتك حديداً . ويجعل الرب مطر أرضك غباراً وترابا ينزِّل عليك من السماء حتى تهلك . يجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك. في طريق واحدة تخرج عليهم وفي سبع طرق تهرب أمامهم . وتكون قلقا في جميع ممالك الأرض .

وتكون جثتك طعاماً لجميع طيور السماء ووحوش الأرض وليس من يزعجها. يضربك الرب بقرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكة حتى لا تستطيع الشفاء . يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب . فتتلمس في الظهر كما يتلمس الأعمى في الظلام ولا تنجح في طرقك بل لا تكون إلا مظلوماً مغصوباً كل الأيام وليس مخلّص.

الغريب الذي في وسطك يستعلي عليك متصاعداً وأنت تنحط متنازلاً . هو

---

(١) عباس العقاد الصهيونية وقضية فلسطين ٥ ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت .

(٢) تثنية ٦ : ١٠ ـ ١٢

يقرضك وأنت لا تقرضه . هو يكون رأساً وأنت تكون ذنباً . وتأتي عليك جميع هذه اللعنات وتتبعك وتدركك حتى تهملك لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحفظ وصاياه وفرائضه التي أوصاك بها . فتكون فيك آية وأعجوبة وفي نسلك إلى الأبد . من أجل أنك لم تعبد الرب إلهك بفرح وطيبة وبطيبة قلب لكثرة كل شيء . تستعبد لأعدائك الذين يرسلهم الرب عليك في جوع وعطش وعري وعوز كل شيء . فيجعل نير حديد على عنقك حتى يهلكك»(١) .

تلك هي نهاية اسرائيل من خلال حتمية التوراة ان كانوا يؤمنون بالتوراة ، وتلك هي حقيقة الواقع والتاريخ والحياة التي تأبى تغيير أدوار أهلها بالقهر والاستبداد .

ووصولاً إلى هذه النتيجة الحتمية والنهاية المرتقبة أعود من خلال التوراة الى خطوات اسرائيل في فلسطين منذ أن غزوها ، وهي خطوات متسلسلة مترابطة ترابطاً محكماً أدى بهم تلقائياً إلى مثل تلك النهاية ، وهي نهاية لا تكون إلا لشعب اسرائيل ، لأنه شعب فريد في الكفر والجحود والعناد .

وأبدأ هنا بخطوات الغزو، ونحدد الزمان بما بعد موت يشوع حيث تقدم غزو يشوع لفلسطين بالقتل والذبح والحقد والإبادة .

وقد أصبح اليهود متهددين بالفناء بعد موت يشوع بن نون فأرسل الرب لهم قضاة لتخليصهم فسمِّي هذا العصر عصر القضاة ، ويقدره المؤرخون بحوالي قرن كامل بين سنة ١١٢٥ ـ ١٠٢٥ ق . م.(٢) وهذا العصر عصر اضطراب كما تحدث التوراة، وفيه بلغ الكنعانيون والفلسطينيون من القوة التي مكنتهم من اخضاع الموسويين تحت حكمهم .

وصمد الفلسطينيون في بلادهم ، ولم يستطع الموسويون الغزاة طردهم

---

(١) تثنية ٢٨ : ٢٠ ـ ٣٠، ٤٣ ـ ٤٨

(٢) المفَصَّلُ ٥٦٦

حتى إن الموسويين اضطروا إلى العيش بين السكان الأصليين في فلسطين والتعايش معهم إلى درجة عبدوا معها أوثانهم. « فهؤلاء هم الأمم الذين تركهم الرب ليمتحن بهم اسرائيل كل الذين لم يعرفوا جميع حروب كنعان إنما لمعرفة أجيال بني اسرائيل لتعليمهم الحرب الذين لم يعرفوها قبل قط. أقطاب الفلسطينيين الخمسة وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحوّيين سكان جبل لبنان. ... كانوا لامتحان اسرائيل بهم لكي يعلم هل يسمعون وصايا الرب التي أوصى بها آباءهم عن يدموسى.

فسكن بنو اسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحوّيين واليبوسيين. واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم. فعمل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسواري»(1).

وتؤكد التوراة صمود الفلسطينيين في أرضهم، فهم لم يتركوها رغم وحشية اسرائيل في غزوها وتدعي التوراة أن الرب كان معهم، فلو كان كذلك لما صمد الفلسطينيون في أرضهم، ولكان رب اسرائيل قد أخرجهم منذ ذلك الحين بيد اسرائيل. ولكن الرب قد تخلى عنهم منذ اللحظة التي مات فيها موسى. « وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل ولكن لم يطرد سكان الوادي لأن لهم مركبات حديد. وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان اورشليم. فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أورشليم الى هذا اليوم.

ولم يطرد منسّى أهل بيت شان وقراها ولا اهل تعنكَ وقراها ولا سكان دور وقراها ولا سكان يِبْلَعام وقراها ولا سكان مجدو وقراها. فعزم الكنعانيون على السكن في تلك الأرض... وأفرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في جازر فسكن الكنعانيون في وسطه في جازر.

زبولون لم يطرد سكان قطرون ولا سكان نهلول فسكن الكنعانيون في

---

(1) قضاة ٣ : ١ ـ٧

وسطه . ولم يطرد أشير سكان عكو ولا سكان صيدون وأحلب وأكزيب وجلْبَةَ وأفيق ورحوب . فسكن الأشيريون في وسط الكنعانيين سكان الأرض لأنهم لم يطردوهم . و نفتالي لم يطرد سكان بيت شمس ولا سكان بيت عناة بل سكن في وسط الكنعانيين سكان الأرض»[١] .

ونلاحظ مما تقدم أن اسرائيل كانوا يدخلون فلسطين غزاة ، وفي مقدمة أهدافهم القضاء على سكان الأرض ، ولكن هؤلاء قد وجدوا صموداً واستبسالاً من سكان فلسطين لا يلبثون معه ان يخضعوا للفلسطينيين والكنعانيين ويعيشوا بينهم .

وقد اتخذت القبائل اليهودية الغازية الجبال وتحصنت فيها دون السهول . وفي هذا يعلق المؤرخ دين ستانلي فيقول « إن فلسطين تعكس الآية المألوفة . هذه الآية التي يلجأ فيها أهل البلاد إلى التلال حين يُغْلبون . لقد قهر اليهود التلال لكنهم أخفقوا في الاستيلاء على السهول»[٢] .

وهذا التعليق من المؤرخ يدل على أنه ممن لا يعرفون النفسية اليهودية حق المعرفة وإلا لما استغرب هذا الوضع . فاليهود يغزون كل ارض طمعاً في خيرها وموقعها ، وهذا الغزو ليس نتيجة بسالة أوجرأة أو إقدام .فما ان يدخلوا أرضاً حتى تطير نفوسهم شعاعاً خوفاً من أدنى مقاومة ، وتنخلع قلوبهم هلعاً ممن غزوهم حيث يجدون منهم المقاومة والصمود، وهذا يدفعهم إلى الفرار من أمام اهل الأرض واللجوء الى الجبال للتحصن فيها . وقد وصفتهم توراتهم بصفة الهلع عند أدنى حركة ، حتى وإن كانت حركة ورقة أمامهم .

كما وصفهم القرآن الكريم فقال فيهم « لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر»[٣] . وهذا ما فعله بنو اسرائيل في الجبال « وعمل بنو

(١) قضاة ١ : ٢٧ ـ ٣٣

(٢) تاريخ فلسطين القديم ٤٩

(٣) الحشر ١٤

اسرائيل الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليدمديان سبع سنين . فاعتزت يد مديان على اسرائيل . بسبب المديانيين عمل بنو اسرائيل لانفسهم الكهوف التي في الجبال والمغاير والحصون . وإذا زرع اسرائيل كان يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق يصعدون عليهم . وينزلون عليهم ويتلفون غلة الأرض إلى مجيئك الى غزة ولا يتركون لإسرائيل قوت الحياة ولا غنما ولا بقرا ولا حميراً . ودخلوا الارض لكي يخربوها . فذل اسرائيل جدا من قبل المديانيين . وصرخ بنو اسرائيل الى الرب»[١] .

وتكثر استغاثات بني اسرائيل بالرب ولكن الرب يتركهم لايدي الفلسطينيين والكنعانيين ، وتمضي الحروب بينهم سجالاً ، ويكون بنو اسرائيل في معظم هذه الحروب الطرف الخاسر، فلا رب يقاتل معهم ، ولا معجزات تقويهم ، وقد انتهت المعجزات بموت موسى. فعليهم أن يقطفوا ثمار ما جنت أيديهم من كفر وفساد وإفساد وعناد . ولم يعد يجدي أن يتمسحوا بابراهيم الخليل أبا لهم ، ولا اسحق ويعقوب. لأنهم كفروا ، وليس ابراهيم للكافرين أبا و« إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين»[٢] .

(١) قضاة ٦ : ١ - ٦

(٢) النحل ١٢٠ .

أورشليم القدس في التاريخ والتوراة

نالت القدس من القداسة ما لم تنله مدينة أخرى في العالم حتى يومنا هذا ، منذ أسسها اليبوسيون الكنعانيون العرب قبل خمسة آلاف سنة .

وجاء اسمها من التقديس أي التطهير من الأدناس[1]، وهو دنس الشرك بالله العلي القدير .

واليبوسيون هم بناة القدس الأولون. وكانت على عهدهم تدعى يبوس . وملكي صادق أحد ملوكهم هو أول من اختط يبوس وبناها . وكان قبل ذلك يسكن في كهف من كهوف جبالها . وكانت له سلطة على مجاوريه من الملوك والرؤساء . وكان قومه يطلقون عليه لقب (كاهن الرب الأعظم) .

وذكر ابن العبري[2] أن ملكي صادق هو باني قرية السلام . ومنه جاء اسمها سالم وشاليم وأوروسالم ، فسكنها باقي أيامه يتعبد. فما غشى امرأة قطولا أراق دماً وما أكل سوى الخبز والخمر ، وكان يطلق عليه ملك السلام. وقد اجتمع بابراهيم عند مجيئه إلى هذه البلاد في طريقه الى مصر ، فخرج ملكي صادق لاستقباله وقدم له الخبز والخمر.

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ٤ : ١٠٠ ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر . (تراثنا) .

(٢) مختصر الدول ١٦

وقد سماها الكنعانيون سكان البلاد الأصليون يروشالم أو يروشَليم . وشالم وشلم اسم إله كنعاني معناه السلام وسموها أيضاً أورسالم[1] .

وأنشأ الكنعانيون في أرض كنعان مدناً كثيرة غير يبوس منها شكيم (نابلس)، وبيت شان ((بيسان) ومجد و (تل المتسلم) وبيت إيل (بيتين) وجيزر (تل الجزر) وأشقلون (عسقلان) وتعْنك وغزه . وهذه كلها لا تزال باقية .

وقد مهر الكنعانيون في بناء المدن ، وفي قطع الحجارة الفخمة ، وهذا يدل على ما كان لمدنهم من تحصينات ولأسوارهم .

والكنعانيون أول من عرف زراعة الزيتون وعلموها من جاء بعدهم منهم بنو اسرائيل. كما عرفوا صناعة الفخار والنسيج والمعادن والتعدين. وسنوا الشرائع والقوانين ، وعنهم أخذ بنو اسرائيل. كما اخترع الكنعانيون حروف الهجاء وأوجدوا الكتابة ونشروها في بلادهم .

وكانت لهم كتب ومؤلفات في عدد من العلوم والفنون، ومن هذه الكتب نقف على انه كان لهم إله يعبدونه يسمى (بعل) أي السيد أو الرب، ولا تزال هذه الكلمة تستخدم اليوم بمعنى الزوج والسيد .

وقد اقتبس الكنعانيون من البابليين والمصريين والحثيين والفنيقيين حضارتهم وأعملوا فيها تفكيرهم وزادوا عليها نفعا وإتقانا لا سيما في الاسلحة والثياب وتفوقوا على غيرهم فيها[2].

ومع الزمن ظهر بين الكنعانيين ملوك بنوا القلاع والحصون ، ومن ملوكهم غير ملكي صادق الملك « عبد خيبا» وقد ورد اسمه في وثائق تل العمارنة في ست رسائل وجهها إلى فرعون أمنحوتب الرابع وهو المسمى أختاتون صاحب عقيدة التوحيد. وقد طلب عبد خيبا الكنعاني منه النجدة لصد هجمات البادية (العبيرو)

---

(١) المفصل ٧١٦

عارف العارف : المفصل في تاريخ القدس ٢ . ط ١ ـ سنة ١٩٦١ ـ مطبعة المعارف القدس.

Apiru أو الهبيرو أو الخبيرو ـ التي شاع استعمالها خطأ على اليهود في العصور التالية ـ عن اورشليم. وفي هذه الرسالة يقول عبدخيبا «إلى الملك سيدي: هذا عبد خيبا خادمك تحت أقدام سيدي الملك أسجد سبع مرات وسبع مرات . لقد لاموني أمام الملك سيدي قائلين : ثار عبد خيبا على الملك سيده . أما من جانبي فإنني اعترف أنه ليس والدي ولا والدتي هما اللذان أجلساني على هذا العرش. ان سلاح الملك القوي هو الذي جاء بي إلى عرش والدي. لماذا أرتكب خطيئة ضد الملك سيده ؟لقد ثارت كل بلاد الملك فهذا الميلكو Ilmilka حاكم جزَر الواقعة غرب أورشليم ، قد كان سبباً في فقدان كل أملاك الملك .

ليت الملك سيدي يبعث إلينا بوحدات من رماة السهام ، وإذا كان هناك رماة في هذه السنة لسوف تبقى أرض الملك دون ان يمسها سوء . لكن إذا لم يكن هناك رماة سهام ضاعت أرض الملك . . . »[1] .

وفي رسالة اخرى يقول عبدخيبا الكنعاني الفلسطيني « انظر لقد وضع الملك اسمه على أرض أورشليم إلى الآن حتى إنني لا يمكن ترك أرض أورشليم»

وفي رسالة اخرى « إنهم (أي الأعداء) الآن يحاولون الاستيلاء على أورشليم ، وإذا كانت هذه الأرض ملكاً للملك هل تترك اورشليم تسقط؟ ليت الملك يرسل لنا خمسين رجلاً كحامية ليقوموا بحراسة البلاد . لقد ثارت أرض الملك كلها» .

وتشمل بعض رسائل عبد خيبا إشارات تلقي أضواء على الأحوال السياسية والاقتصادية والحربية في اورشليم ، وقدرات حاكمها المحلي . كما تذكر عملة الشيقل التي وردت فيما بعد في التوراة مما يدل على مدى ما أخذه العبرانيون عن الكنعانيين « لقد أرسلت هدايا إلى الملك سيدي . . أسرى . . خمسة آلاف شيقل ، وثمانية حمالين لقوافل الملك»[2] .

(١) الدكتور عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ٤٢ ، ٤٣ ـ سنة ١٩٧٤ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) المرجع السابق ٤٤

وخرج بنو اسرائيل من مصر على عهد فرعونها رعمسيس الثاني وولـده مرن بتاج وكان ذلك عام ١٣٥٠ ق . م. وقد سمعوا بأرض كنعان وخيراتها ، فراحوا يغيرون عليها .

وكان الكنعانيون قد استعدوا لمقاومة العبرانيين ، فاستنفر ملك أوروسالم (أدوني صادق) قومه وتحالف مع الملوك المجاورين له . فلم يتمكن يشوع تلميذ موسى من إخضاع الكنعانيين والفلسطينيين ومات دون أن يتمكن من اخضاع أوروسالم المحصنة ، وبعد موت يشوع تولى قيادة بني اسرائيل يهوذا وأخوه شمعون وفي عهدهما غزوا الكنعانيين وتمكنوا من الزحف الى اورشليم فأخذوها وضربوها بحد السيف وأشعلوا فيها النار.

وفقد الكنعانيون في هذه المعركة عشرة آلاف رجل، وفقد ملكهم أدوني صادق الكنعاني الأورشليمي أباهمَ يديه ورجليه ، إلا أن بني اسرائيل أرغموا على ترك المدينة تحت ضغط اليبوسيين .

وعاد اليبوسيون إلى أرضهم وبقي الحصن بيدهم مدة عهد القضاة وعهد الملك شاؤل حتى تبوأ داود العرش ، فاحتل الحصن يوآب قائد جيشه وسكن داود المدينة واتخذها عاصمة له وسماها مدينة داود .

ولما كان مجيء جماعة موسى إلى فلسطين يقع في حوالي سنة ١٢٩٠ ق . م وأن عصر داود يبدأ في حوالي سنة ١٠١٠ . ق. م فتكون المدينة قد بقيت بيد اليبوسيين حوالي ثلاثمائة عام بعد ظهور موسى حتى احتلها داود[٢] .

وتذكر التوراة أن بني بينامين الذين صارت أورشليم في تخمهم لم يطردوا اليبوسيين « فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أورشليم إلى هذا اليوم»[٣] أي قبل السبي البابلي .

---

(١) المفصل في تاريخ القدس ٩

(٢) المفصل في تاريخ العرب واليهود ٧٢٢

(٣) صموئيل الثاني ٥ : ٧ ، ٩

وفي الوقت ذاته تعترف التوراة بأن اليهود لم يستطيعوا طرد اليبوسيون من اراضيهم ، بل سكنوا معهم في اورشليم الى هذا اليوم[١] .

ويؤيد ذلك ان داود حين اراد ان ينشىء الهيكل في أورشليم قام بشراء الأرض التي اختارها لبنائه من أصحابها اليبوسيين[٢].

وذلك يؤكد تأكيداً قاطعاً أن مدينة القدس كانت منذ خمسة آلاف عام مدينة عربية كنعانية . وقد بقيت بيد سكانها اليبوسيين أكثر من ألفي عام قبل عهد موسى. كما بقيت بيد أهلها ثلاثمائة عام بوجود الموسويين في فلسطين.

ثم ان اليبوسيين بقوا في أراضيهم وفي بيوتهم بعد دخول اليهود إليها في عهد داود ، وعاشوا بين السكان الاصليين اليبوسيين فئة قليلة حتى تم سبيهم إلى بابل في عهد الكلدانيين فعاد سكان أورشليم واستقلوا بمدينتهم استقلالاً تاماً . كما ان اليهود الذين رجعوا من السبي الى أورشليم في عهد الأخمينيين الفرس كانوا أقلية ضئيلة ، وقد منعهم سكان أورشليم العرب من إعادة بناء هيكلهم واستمر وجودهم أقلية ضئيلة في المدينة حتى أزيلوا نهائياً منها في عهد الرومان فرجعت المدينة الى أهلها كالسابق .

من الواضح إذن ان اليهود هم الأقلية بين سكان اورشليم العرب، ودليل ذلك انحرافهم عن ديانة موسى وممارستهم هم وملوكهم الوثنية ، وبناؤهم المرتفعات لعبادة الأصنام في اورشليم نفسها ، وظلوا على ذلك ثلاثمائة عام ، مما يؤيد فرض سكان اورشليم على الأقلية اليهودية ديانتهم خلال فترة وجودهم فيها .

أورشليم في التوراة :

وردت كلمة أورشليم الكنعانية العربية كثيراً في التوراة . كما وردت أسماء

---

(١) قضاة : ١ : ٢١

(٢) يشوع : ١٥ - ٦٣

أخرى مثل ساليم « كانت في ساليم مظلته ومسكنه في صهيون»[١].

ووردت باسم شاليم « وملكي صادق ملك شاليم اخرج خبزا وخمراً ، وكان كاهناً لله العلي»[٢].

وهي مدينة الله « نهر سواقية تفرح مدينة الله مقدس مساكن العلي»[٣].

ومدينة داود «وأخذ داود حصن صهيون . هي مدينة داود . وأقام داود في الحصن وسماه مدينة داود»[٤].

وقد ورد في إنجيل لوقا أن مدينة داود هي بيت لحم « فصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته»[٥].

ويقول الإنجيل « . . . أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب»[٦].

وأورشليم أيضاً هي مدينة إلهنا «عظيم هو الرب وحميد جدا في مدينة إلهنا جبل قدسه . من فرح أقاصي الشمال مدينة الملك العظيم»[٧]

وهي أريئيل « ويل لأريئيل قرية نزل عليها داود ، وأنا أضايق أريئيل فيكون فرح وحزن»[٨].

وهي أيضاً مدينة العدل « بعد ذلك تدعين مدينة العدل القرية الأمينة»[٩]

والمدينة « تتمايل مثل لبنان ثمرتها ، ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض»[١٠].

---

(١) مزمور ٧٦ : ٢
(٢) تكوين ١٤ : ٨
(٣) مزمور ٤٦ : ٤
(٤) صموئيل الثاني ٥ : ٧ ، ٩
(٥) لوقا ٢ : ٤
(٦) لوقا ٢ : ١١
(٧) مزمور ٤٨ : ١ ، ٢
(٨) اشعياء ٢٩ : ١ ـ ٢
(٩) إشعياء ١ : ٢٦
(١٠) مزمور ٧٢ : ١٦

وقد احتلت أورشليم في التوراة حيزاً كبيراً ، في كل وجه من وجوهها، وهي في معظمها المدينة التي صبت عليها لعنات الرب وغضبه لصلابة رقارب غزاتها اليهود، وكان ادوني صادق الأورشليمي الكنعاني هو ملك أورشليم في زمن غزو اليهود لأورشليم .

«فلما سمع أدوني صادق ملك اورشليم أن يشوع قد أخذ عاي وحرّمها كما فعل بأريحا وملكها فعل بعاي وملكها . وأن سكان جبعون قد صالحوا اسرائيل . وكانوا في وسطهم خاف جداً لأن جبعون مدينة عظيمة كإحدى المدن الملكية وهي اعظم من عاي وكل رجالها جبابرة. فأرسل أدوني صادق ملك أورشليم إلى هوهام ملك حبرون وفرآم ملك يرموت ويافيع ملك لخيش ودبير ملك عجلون يقول: اصعدوا إليّ وأعينوني فنضرب جبعون لأنها صالحت يشوع وبني اسرائيل . فاجتمع ملوك الأموريين الخمسة ملك أورشليم وملك حبرون وملك يرموت وملك لخيش وملك عجلون وصعدوا وكل جيوشهم ونزلوا على جبعون وحاربوها»(١) .

ولم يخضع الكنعانيون لبني اسرائيل مما جعل أورشليم مسرحاً لحروب طويلة بينهما « وكان بعد موت يشوع أن بني اسرائيل سألوا الرب قائلين من منا يصعد إلى الكنعانيين أولاً لمحاربتهم. فقال الرب يهوذا يصعد . هوذا قد دفعت الارض ليده . فقال يهوذا لشمعون أخيه اصعد معي في قرعتي لكي نحارب الكنعانيين فأصعد أنا أيضاً معك في قرعتك . فذهب شمعون معه . فصعد يهوذا ودفع الرب الكنعانيين والفرزيين بيدهم فضربوا منهم في بازق عشرة آلاف رجل. ووجدوا أدوني بازق في بازق فحاربوه وضربوا الكنعانيين والفرزيين . فهرب أدوني بازق فتبعوه وأمسكوه وقطعوا أباهم يديه ورجليه . فقال أدوني بازق سبعون ملكا مقطوعة أباهم أيديهم وأرجلهم كانوا يلتقطون تحت مائدتي . كما فعلت كذلك جازاني الله وأتوا به إلى أورشليم فمات هناك»(٢) .

---

(١) يشوع ١٠ : ١ ـ ٥

(٢) قضاة ١ : ١ ـ ٧

وكان اليهود في اورشليم أقلية بين اليبوسيين ، وقد تأثروا بسكان أورشليم في كل شيء . حتى في عبادة الأصنام «وفعل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم . وتركوا الرب إله آبائهم . الذي أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب . تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت . فحمي غضب الرب على اسرائيل فدفعهم . بأيدي ناهبين نهبوهم وباعهم بيد أعدائهم حولهم ولم يقدروا بعد على الوقوف امام أعدائهم جيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر كما تكلَّم الرب وكما أقسم الرب لهم . فضاق بهم الأمر جداً . وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم . ولقضاتهم أيضا لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها »(1) .

واستمرت الحروب بين اليبوسيين الأورشليميين وبين اليهود ، ورأى اليهود ـ رغم كرههم لتمليك ملك عليهم ـ أن يكون لهم ملك لمواجهة الفلسطينيين وملكوا عليهم شاؤل . واستطاع هذا في النصف الأخير من القرن الثالث عشر أن ينجح في صد الفلسطينيين وبعض الجيران الآخرين ، ونجح الفلسطينيون في مقاومة شاؤل في موقعة جبل جلبوع Mount Gilboa «وحارب الفلسطينيون اسرائيل فهرب رجال اسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل جلبوع . فشد الفلسطينيون وراء شاؤل وبنيه . وضرب الفلسطينيون يوناثان وأبينا داب وملكيشوع أبناء شاول . واشتدت الحرب على شاول فأصابه الرماة رجال القسيٌ فانجرح جدا من الرماة فقال شاول لحامل سلاحه استلَّ سيفك واطعنّي به لئلا يأتي هؤلاء الغلف ويطعنوني ويقبِّحوني . فلم يشأ حامل سلاحه لأنه خاف جدا . فأخذ شاول السيف وسقط عليه» (2) .

وملك داود بعد شاول « وكانت المدة التي ملك فيها داود في حبرون على بيت يهوذا سبع سنين وستة أشهر . وفي أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة . وذهب

---

(1) قضاة ٢ : ١١ ـ ١٧

(2) صموئيل الأول ٣١ : ١ ـ ٥ .

الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض . فكلموا داود قائلين لا تدخل إلى هنا ما لم تنزع العميان والعرج أي لا يدخل داود إلى هنا . وأخذ داود حصن صهيون هي مدينة داود . وقال داود في ذلك اليوم إن الذي يضرب اليبوسيين ويبلغ إلى القناة والعرج والعمي المبغضين من نفس داود ، لذلك يقولون لا يدخل البيت أعمى أو أعرج . وأقام داود في الحصن وسماه مدينة داود »[٢] وكان ذلك عام ١٠٤٩ ق . م .

وامتنعت يبوس على بني اسرائيل زمناً طويلاً ، ولم يستطيعوا دخولها بل المرور منها . « وفي تلك الأيام حين لم يكن ملك في اسرائيل كان رجل لاويّ متغرباً في عقاب جبل أفرايم فاتخذ له امرأة سرية من بيت لحم يهوذا فزنت عليه سريته وذهبت من عنده إلى بيت أبيها في بيت لحم يهوذا .. فقام رجلها وسار وراءها ليطيب قلبها ويردها ومعه غلامه وحماران . ثم قام الرجل للذهاب هو وسريته وغلامه فقال له حموه . . إن النهار قد مال الى الغروب . بيتوا الآن هوذا آخر النهار بت هنا . وغدا تبكرون في طريقكم . فلم يرد الرجل أن يبيت بل قام وذهب وجاء إلى مقابل يبوس هي أورشليم .

وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر جداً قال الغلام لسيده تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها . فقال له سيده لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني إسرائيل هنا »[١] .

وحارب الكنعانيون اليهود أجيالاً طويلة ، ثم حاربهم المديانيون والعمونيون والفلسطينيون ، وكانت حروبهم مع الفلسطينيين أشد الحروب ضراوة وفتكاً . ووقف اليبوسيون من داود موقف المعارضة والمقاومة . وقد منعوا داود من الدخول إلى المدينة مما اضطر إلى فتح ثغرة في سور المدينة والاستيلاء عليها ، ولا بد لهذا العمل من رجل يتغلب على اليبوسيين . وعلى ذلك كان يوآب بن

---

(١) صموئيل الثاني ٥ : ٤ ـ ١٠ .

(٢) قضاة ١٩ : ١ ـ ١٢ .

زروية Joab on of Zeruiah وكان هذا أول من تقدم وأصبح قائداً للوحدات[1] . ويعرف هذا في التوراة يوآب بن صروية[2] .

واتخاذ داود أورشليم عاصمة لملكة إنما لكونها العنصر الرئيسي في اتحاد القبائل الشمالية والجنوبية . أما حبرون التي انتقل منها فتقع في الجنوب .

فانتقال داود إلى أورشليم كان بدافع سياسي عسكري ، ومن هذا لا يبقى مجال للشك في أنَّ أورشليم مدينة عربية فلسطينية ، وأن عرب فلسطين اليوم هم أخلاف الكنعانيين واليبوسيين والفلستينيين الذين صمدوا في الأرض رغم كل الطغيان اليهودي ، والغزوات الخارجية المستمرة .

وإذا حاولنا إبراز صورة اورشليم في عهد بني إسرائيل وجدنا أنها صورة الشر الذي طغى على ملوكها وشعبهم . وقد عملوا جميعاً الشر في عيني الرب .

ونفسرهذا من خلال التوراة فنقول لقد جبل هذا الشعب بالكفر والفجور والفساد والعناد ، ولكن حين ينزل بهم غضب الرب فإنهم يكفون عن شرورهم وآثامهم لفترة زمنية يسيرة ، لا يلبثون بعدها أن يعودوا إلى عناد أشد وكفر أعظم ، وتاريخهم الطويل يشهد على ذلك « وتكلم الرب عن يد عبيده قائلاً : من أجل أن منسّى ملك يهوذا قد عمل هذه الأرجاس وأساء أكثر من جميع الذي عمله الأموريون الذين مثله وجعل أيضاً يهوذا يخطىء بأصنامه . لذلك هكذا قال الرب إله إسرائيل هأنذا جالب شراً على أورشليم وأمسح أورشليم كما يمسح واحد الصحن ، يمسحه ويقلبه على وجهه . وأرفض بقية ميراثي وأدفعهم إلى أيدي أعدائهم فيكونون غنيمة ونهباً لجميع اعدائهم لأنهم عملوا الشر في عيني وصاروا يغيظونني من اليوم الذي فيه خرج آباؤهم من مصر إلى هذا اليوم . وسفك أيضاً منسّى دماً بَريّاً كثيراً جداً حتى ملأ أورشليم من الجانب إلى الجانب فضلاً عن

(١) القدس الخالدة ٤٨ .

(٢) صموئيل الثاني ١٤ : ١

خطيته التي بها جعل يهوذا يخطىء بعمل الشر في عيني الرب »[1] .

وطالت أيام بؤس أورشليم وخرابها بسبب آثام بني إسرائيل ، وقد حدث في أيام يهوياقم الذي عمل الشر في عيني الرب أن « صعد نبوخذنصر ملك بابل فكان له يهوياقيم عبداً ثلاث سنين فتمرد عليه . فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيين وغزاة الأراميين وغزاة الموآبيين وغزاة بني عمون وأرسلهم على يهوذا ليبيدها حسب كلام الرب الذي تكلم به عن يد عبيده الأنبياء . إن ذلك كان حسب كلام الرب على يهوذا ينزعهم من أمامه لأجل خطايا منسّى حسب كل ما عمل . وكذلك لأجل الدم البريء الذي سفكه لأنه ملأ أورشليم دماً بريئاً . ولم يشأ الرب أن يغفر . . ثم اضطجع يهوياقيم مع آبائه وملك يهوياكين ابنه عوضا عنه . ولم يعد أيضاً ملك مصر يخرج من أرضه لأن ملك بابل أخذ من نهر مصر إلى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر .

. . في ذلك الزمان صعد عبيد نبوخذنصَّر ملك بابل إلى أورشليم ، فدخلت المدينة تحت الحصار . وجاء نبوخذناصّر ملك بابل على المدينة . وكان عبيده يحاصرونها فخرج يهوياكين ملك يهوذا الى ملك بابل هو وأمه وعبيده ورؤساؤه وخصيانه . وأخذه ملك بابل في السنة الثامنة من ملكه . وأخرج من هناك جميع خزائن بيت الرب . وخزائن بيت الملك وكسر كل آنية الذهب التي عملها سليمان ملك إسرائيل في هيكل الرب كما تكلم الرب . وسبى كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف مسبي وجميع الصناع والأقيان . لم يبق أحد إلا مساكين شعب الأرض . وسبي يهوياكين إلى بابل وأم الملك ونساء الملك وخصيانه ، وأقوياء الأرض سباهم من أورشليم إلى بابل وجميع أصحاب البأس . . سباهم ملك بابل إلى بابل . وملّك ملك بابل متنيّا عمه عوضاً عنه وغير اسمه إلى صدقيّا . . وعمل الشر في عيني الرب . . لأنه لأجل غضب الرب على

---

(١) الملوك الثاني ٢١ : ١ - ١٦ .

أورشليم وعلى يهوذا حتى طرحهم من أمام وجهه ، كان أن صِدْقيّا تمرد على ملك بابل .

وفي السنة التاسعة لملكه في الشهر العاشر في عاشر الشهر جاء نبوخذنصّر ملك بابل وكل جيشه على أورشليم ونزل عليها وبنوا عليها أبراجاً حولها . ودخلت المدينة تحت الحصار إلى السنة الحادية عشرة للملك صِدْقِيّا . في تاسع الشهر اشتد الجوع في المدينة . ولم يكن خبز لشعب الأرض فثغرت المدينة وهرب جميع رجال القتال ليلاً .

وكان الكلدانيون حول المدينة مستديرين فذهبوا في طريق البرية فتبعت جيوش الكلدانيين الملك فأدركوه في برية أريحا وتفرقت جميع جيوشه عنه . فأخذوا الملك وأصعدوه إلى ملك بابل إلى ربلة وكلموه بالقضاء عليه . وقتلوا بني صدقيا أمام عينيه وقلعوا عيني صدقيا وقيدوه بسلسلتين من نحاس . وجاءوا به إلى بابل .

وفي الشهر الخامس في سابع الشهر وهي السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذناصر ملك بابل جاء بنو زرادان رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار وجميع أسوار أورشليم مستديراً هدمها كل جيوش الكلدانيين مع رئيس الشرط . وبقية الشعب الذين بقوا في المدينة والهاربون الذين هربوا إلى ملك بابل . وبقية الجمهور سباهم نَبوزَرادان رئيس الشرط . ولكن رئيس الشرط أبقى من مساكين الأرض كرامين وفلاحين .

وأخذ رئيس الشرط سرايا الكاهن الرئيس وصَفَنْيا الكاهن الثاني وحارسي الباب الثلاثة . . وسار بهم إلى ملك بابل إلى ربلة فضربهم ملك بابل وقتلهم في ربلة في أرض حماة . فسبى يهوذا من أرضه »[1] .

(١) الملوك الثاني لاصحاحان ٢٤ و٢٥ .

ليس من شك في أن يهود اليوم يطبقون ما لاقوا من تعذيب وتشريد وسبي على يد الكلدانيين على أهل فلسطين الشرعيين من خلال القتل والذبح وسفك الدماء بالطريقة ذاتها التي لاقوها في تاريخهم الطويل كله .

وأورشليم منذ وجدت قبل خمسة آلاف سنة على يد اليبوسيين العرب الكنعانيين حتى وقتنا الحاضر ، لم تكن لها الصورة الآثمة العاصية الجاحدة كالتي كانت لها حين غزاها اليهود ، حتى إنه لم تترك لغة من اللعنات إلا صبت عليها نتيجة آثام بني إسرائيل ورجاساتهم وقد كان هؤلاء على دين ملوكهم الذين لم يتركوا إثماً ولا معصية إلا ارتكبوها « وكان منسّى ابن اثنتي عشرة سنة حين ملك . وملك خمساً وخمسين سنة في أورشليم وعمل الشر في عيني الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل . وعاد فبنى المرتفعات التي هدمها حَزَقيّا أبوه ، وأقام مذابح لِلْبَعْليم وعمل سواري وسجد لكل جُنْد السماء وعبدها . وبنى مذابح في بيت الرب الذي قال عنه الرب . في أورشليم يكون اسمي إلى الأبد . وبنى مذابح لكل جُنْد السماء في داري بيت الرب . وعبّر بنيه في النار في وادي ابن هنوم وعاف وتفاءل وسحر واستخدم جانًا وتابعة وأكثر عمل الشر في عيني الرب لإغاظته . ووضع تمثال الشكل الذي عمله في بيت الله الذي قال الله عنه لداود ولسليمان ابنه في هذا البيت وفي أورشليم التي اخترت من جميع أسباط اسرائيل أضع اسمي الى الأبد . ولا أعود أزحزح رجل اسرائيل عن الأرض التي عينت لآبائهم وذلك **إذا حفظوا وعملوا كل ما أوصيتهم به . كل الشريعة والفرائض والأحكام عن يد موسى** . ولكن منسّى أضل يهوذا وسكان أورشليم ليعملوا أشر من الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل »[1] .

وتشتت بني إسرائيل آت بلا شك كما تحدث توراتهم ، وهو تشتت أبدي لا يقيم لهم كياناً ولا يبني لهم دولة أو دويلة يقول نحميا « لقد أفسدنا أمامك ، ولم نحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التي أمرت بها موسى عبدك . اذكر الكلام الذي

---

(١) أخبار الأيام الثاني ٣٣ : ١ - ١٠ .

أمرت به موسى عبدك قائلاً إن خنتم فإني أفرقكم في الشعوب »[1] .

ويشاء الرب ألا تقوم لأورشليم لعهد بني اسرائيل قائمة ، لأن أول لبنة وضعها اليبوسيون لأورشليم كانت بتوحيد الله العلي القدير ، ولتبقى أورشليم رمز التوحيد الذي توجَّهَ إليه الموحدون بادىء ذي بدء بالصلاة قبلة لهم . ليعلم من خلال توجه الوجوه والقلوب إليها المؤمنون حقاً ، وكفر بنو إسرائيل وأثمت أورشليم بهم ، وحقت عليها كلمة الله في الخراب حتى يقضى فيها على آثار الوثنية والشرك .

وفي رسالة إلى أَرْتَحْشَشْتا ملك فارس كتب رحوم صاحب القضاء وشمشاي الكاتب ضد أورشليم بعد أن عاد إليها اليهود من السبي تقول الرسالة « عبيدك القوم الذين في عبر النهر إلى آخره . ليُعْلَم الملك أن اليهود الذين صعدوا من عندك إلينا قد أتوا إلى أورشليم ويبنون المدينة العاصية الرديّة ، وقد أكملوا أسوارها ورمموا أسسها . ليكن الآن معلوماً لدى الملك أنه إذا بنيت هذه المدينة وأكملت أسوارها لا يؤدون جزية ولا خراجا ولا خِفارة فأخيراً تضر الملوك . والآن بما أننا نأكل ملح دار الملك ولا يليق بنا أن نرى ضرر الملك لذلك أرسلنا فأعلمنا الملك لكي يفتش في سفر أخبار آبائك فتجد في سفر الأخبار وتعلم أن هذه المدينة مدينة عاصية ومضرة للملوك والبلاد وقد عملوا عصيانا في وسطها منذ الأيام القديمة لذلك أخربت هذه المدينة . ونحن نعلم الملك انه إذا بنيت هذه المدينة وأكملت أسوارها لا يكون لك عند ذلك نصيب في عبر النهر »[2] .

وهذا يفسر النفسية اليهودية التي تتخذ من العصيان والفجور والتمرد مطية تمتطيها حين تصيبها نعمة من النِّعم . وعلاجهم كما عرف التاريخ هو أن يبقى بنو إسرائيل تحت القهر والمذلة ، وهذا ما كتب عليهم في كتاب الله العزيز .

ويرد الملك أَرْتَحْشَشْتا على رسالة رحوم صاحب القضاء في رسالة يقول فيها

---

(١) نحميا ١ : ٧ ـ ٩ .

(٢) عزرا ٤ : ١٢ ـ ١٦ .

« سلام إلى آخره . الرسالة التي ارسلتموها إلينا قد قرئت بوضوح أمامي . وقد خرج من عندي أمر ففَتَّشوا ووجد أن هذه المدينة منذ الأيام القديمة تقوم على الملوك وقد جرى فيها تمرد وعصيان . وقد كان ملوك مقتدرون على أورشليم وتسلطوا على جميع عبر النهر وقد أُعْطوا جزية وخَراجا وخفارة . فالآن أخرجوا أمراً بتوقيف أولئك الرجال فلا تُبنى هذه المدينة حتى يصدر مني أمر . فاحذروا من أن تقصروا عن عمل ذلك . لماذا يكثر الضرر لخسارة الملوك »(١) .

وأورشليم باتت أرض الزنا والرجاسات ببني اسرائيل ، وقد تَفَشَّى هذا الإثم واستفحل هذا الداء فيها حتى بات الجميع يتساءلون « كيف صارت القرية الأمينة زانية . ملآنة حقاً كان العدل يبيت فيها . وأما الآن فالقاتلون . صارت فضتك زغلا وخمرك مغشوشة بماء . رؤساؤك متمردون ولغفاء اللصوص . كل واحد منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا لا يقضون لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل إليهم »(٢) .

وتوبخ أورشليم توبيخاً آخر في صورة أخرى ولكنه يؤدي بها إلى خراب ودمار ، فهي كرم أعطي من اسباب النماء والخير ، ولكن الثمر الذي أعطاه كان رديئاً فقد «كان لحبيبي كرم على أكمة خصبة. فنقبه ونقّى حجارته وغرسه كرم سورق وبنى برجاً في وسطه ونقر فيه أيضاً مِعْصرةً فانتظر أن يصنع عنباً فصنع عنباً رديئاً .

والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا احكموا بيني وبين كرمي . ماذا يصنع أيضاً لكرمي وأنا لم أصنعه له . لماذا إذ انتظرت أن يصنع عنباً صنع عنباً رديئاً . فالآن أعرفكم ماذا أصنع بكرمي . أنزع سياجه فيصير للرعي . أهدم جدرانه فيصير للدوس . وأجعله خراباً لا يُقْضَبُ ولا يُنْقبُ فيطلع شوك وحسك وأوصي الغيم أن لا يمطر عليه مطراً » . في أذنيّ قال رب الجنود ألا إن بيوتاً كثيرة تصير خراباً بيوتاً

(١) عزرا ٤ : ١٨ ـ ٢٢ .

(٢) إشعْياء ١ : ٢١ و٢٢ .

كبيرة وحسنة بلا ساكن »[1].

وباتت أورشليم بولاتها بؤرة فساد ورذيلة ، وكأنهم عقدوا جميعاً مع الموت ميثاقاً ، وهذا يُلَمِّحُ إلى الشك في يوم الحساب لدى بني إسرائيل . « لذلك اسمعوا كلام الرب يا رجال الهزء ولاة هذا الشعب الذي في أورشليم . لأنكم قلتم قد عقدنا عهداً مع الموت وصنعنا ميثاقاً مع الهاوية . السوط الجارف إذا عبر لا يأتينا لأننا جعلنا الكذب ملجأنا وبالغش استترنا . لذلك هكذا يقول السيد الرب . هأنذا أؤسس في صهيون حجراً حجر امتحان حجر زاوية كريماً أساساً مؤسساً . من آمن لا يهرب . وأجعل الحق خيطاً والعدل مطماراً فيخطف البردُ ملجأ الكذب ويجرف الماء الستارة . ويمحى عهدكم مع الموت ولا يثبت ميثاقكم مع الهاوية . السوط الجارف إذا عبر تكونون للدوس . كلما عبر يأخذكم فإنه كل صباح يعبر في النهار وفي الليل ويكون فهم الخبر فقط انزعاجاً . . فالآن لا تكونوا متهكمين لئلا تشدد ربطكم لأني سمعت فناء قُضي به من قبل السيد رب الجنود على كل الأرض »[2].

ولا بد لأورشليم من أن تعاقب نتيجة ضلالها وتضليلها وتزييفها وتحريفها ، وعقابها يأتي بغتة ، والويل كل الويل لها « ويل لأريئيل لأريئيل قرية نزل عليها داود . زيدوا سنة على سنة . لتدر الأعياد . وأنا أضايق أريئيل فيكون نوح وحزن وتكون لي كأريئيل . وأحيط بك كالدائرة وأضايق عليك بحصن وأقيم عليك متارس . فتتضعين وتتكلمين من الأرض ويخفض قولك من التراب ويكون صوتك كخيال من الأرض ويُشَقْشِقُ قولك من التراب . ويصير جمهور أعدائك كالغبار الدقيق وجمهور العتاة كالعصافة المارة ويكون ذلك في لحظة بغتة . من قبل رب الجنود تفتقد برعد وزلزلة وصوت عظيم بزوبعة وعاصف ولهيب نار آكلة . ويكون كحلم ٍكرؤيا الليل جمهور كل الأمم المتجندين على أريئيل كل المتجندين عليها وعلى قلاعها والذين يضايقونها . ويكون كما يحلم الجائع أنه

(١) إشعياء ٥ : ١ - ٦ ، ٩ - ١٠ .

(٢) إشعياء ٢٨ : ١٤ - ١٩ ، ٢٢ .

يأكل ثم يستيقظ وإذا نفسه فارغة . وكما يحلم العطشان أنه يشرب ثم يستيقظ وإذا هو رازح ونفسه مشتهية . هكذا يكون جمهور كل الأمم المتجندين على جبل صهيون .

توانوا وابهتوا تلذذوا واعموا . قد سكروا وليس من الخمر ترنحوا وليس من المسكر . لأن الرب قد سكب عليكم روح سَبَاتٍ وأغمض عيونكم . . يا لتحريفكم هل يحسب الجابل كالطين حتى يقول المصنوع عن صانعه لم يصنعني أو تقول الجبلة عن جابلها لم يفهم »[1] .

وفي غمرة هذه الآثام والرجاسات لأورشليم تكون أطياف البشارة ، بما ستكون عليه أورشليم النواة الموحدة ، فهي مهد التوحيد ، ومُسَبِّحي الرب ، هي أرض ذاكري ربهم ليل نهار ، ولا يكفون عن الذكر والتسبيح ، وستكون أورشليم القدس زينة الأمم وتاجها ، وهذه الصورة هي صورتها في زمن دين الله على الأرض ، الدين الحق الذي قال فيه سبحانه « إن الدين عند الله الإسلام » ، من هذا كله نقرأ البشارة بهذه القدس « من أجل صهيون لا أسكت ومن أجل أورشليم لا أهدأ حتى يخرج برها كضياء وخلاصها كمصباح يتقد . فترى الأمم برك وكل الملوك مجدك وتسمّيه باسم جديد يعينه فم الرب . وتكونين إكليل جمال بيد الرب وتاجا ملكيا بكف إلهك . لا يقال بعدلك مهجورة ولا يقال بعد لأرضك موحشة بل تدعين حفصيبة ، وأرضك تدعى بَعولة . لأن الرب يُسَرُّ بك وأرضك تصير ذات بعل لأنه كما يتزوج الشاب عذراء يتزوجك بنوك . وكفرح العريس بالعروس يفرح بك إلهك .

على أسوارك يا أورشليم **أقمت حراساً لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام** يا ذاكري الرب لا تسكتوا ، ولا تدعوه يسكت حتى يثبت ويجعل أورشليم تسبيحة في الأرض . حلف الرب بيمينه وبذراع عِزَّتِهِ قائلا إني لا أدفع بعد قمحك مأكلا لأعدائك ولا يشرب بنو الغرباء خمرك التي تعبت فيها . بل يأكله الذين جنوه

---

(١) إشعياء ٢٩ : ١ ـ ١٠ ، ١٦ .

ويسبحون الرب ويشربه جامعوه في ديار قدسي »[1] .

ويكون غرباء أورشليم القدس هم الكفار الذين كفروا بربهم ونعمه وجَحَدوا آياته . هم بنو إسرائيل الذين رفضوا شريعة السماء الموسوية ، ورفضوا بعدها شريعتي عيسى ومحمد ﷺ .

والذاكرون الله كثيرا والذاكرات هم من يرفع ذكر الله آناء الليل وأطراف النهار . الله أكبر . الله أكبر . لا إله إلا الله .

وبنو اسرائيل زرعوا في طريق الرب الأشواك ، فماذا سيجنون من أشواكهم غير الأشواك « لأنه هكذا قال الرب لرجال يهوذا وأورشليم احرثوا لأنفسكم حرثا ولا تزرعوا الأشواك . اختتنوا للرب وانزعوا غرل قلوبكم يا رجال يهوذا وسكان أورشليم . لئلا يخرج كنارٍ غيظي فيحرق وليس من يطفىءُ بسبب شر أعمالكم . أخبروا في يهوذا وسمّعوا في أورشليم وقولوا أضربوا بالبوق في الأرض »[2] .

فتلك البشارة هي لأمة غير بني إسرائيل ، وهي لشعب موحد من نسل إبراهيم ، ليس نسل الدم واللحم . إنما هو نسب الإيمان قبل أن يكون نسب الدم ، أمة محمد ﷺ - وأورشليم القدس المؤمنة ، هي ليست تلك التي تصفها توراة بني اسرائيل ، حيث لم يبق فيها عادل واحد ليصفح بسببه عنها « طوفوا في شوارع أورشليم وانظروا واعرفوا وفتشوا في ساحاتها ، هل تجدون إنسانا أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق فأصفح عنها . وإن قالوا حي هو الرب فإنهم يحلفون بالكذب . يا رب أليست عيناك على الحق فأصفح عنها . ضربتهم فلم يتوجعوا . أَفْنَيْتُهُم وأبوا قبول التأديب . صلبوا وجوههم أكثر من الصَّخْر . أبو الرجوع . كيف أصفح لك عن هذه . بنوك تركوني وحلفوا بما ليست آلهة . ولما أشبعتهم زنوا وفي بيت زانية تزاحموا . صاروا حصنا معلوفة سائبة . صهلوا كل واحد على امرأة صاحبه . أما أعاقب على هذا يقول الرب ؟أما تنتقم نفسي من أمة كهذه ؟ تقول

---

(١) إشعياء ٦٢ : ١ - ٥ .

(٢) إرميا ٤ : ٣ - ٥ .

لهم كما أنكم تركتموني وعبدتم آلهة غريبة في أرضكم . هكذا تعبدون الغرباء في أرض ليست لكم »[1] .

وكانت النذر إلى أورشليم من عدو يأتي من الشمال هو أشور ولكن اسرائيل لا تصغي ولا تريد أن تسمع ، وهي تنبع شرا كما تنبع العين . « اهربوا يا بني بنيامين من وسط أورشليم . ارفعوا علم نار لأن الشر أشرف من الشمال وكسر عظيم . الجميلة اللطيفة ابنة صهيون أهلكها . إليها تأتي الرعاة وقطعانهم ينصبون عندها خياماً . حواليها يرعون كل واحد في مكانه . . . لأنه هكذا قال رب الجنود . اقطعوا أشجاراً ، أقيموا حول أورشليم مترسة . هي المدينة المعاقبة . كلها ظلم في وسطها ، كما تُنبعُ العين مياهها هكذا تنبع هي شرها . ظلم وخطف يسمع فيها . أمامي دائما ممض وضرب . تأدّبي يا أورشليم لئلا تجفوك نفسي لئلا أجعلك خرابا أرضا غير مسكونة . . . وتتحول بيوتُهم إلى آخرين الحقول والنساء . كل واحد مولع بالربح . ومن النبي إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب . ويَشْفون كسر بنت شعبي على عثم قائلين سلام سلام ولا سلام . هل خزوا لأنهم عملوا رجساً . بل لم يخزوا خزيا ولم يعرفوا الخجل . لذلك يسقطون بين الساقطين في وقت معاقبتهم يعثرون قال الرب .

« اسمعي أيتها الأرض هأنذا جالب شرا على هذا الشعب ثمر أفكارهم لأنهم لم يصغوا لكلامي وشريعتي رفضوها . . لذلك هكذا قال الرب هأنذا جاعل لهذا الشعب معثرات فيعثر بها الآباء والأبناء معاً . . كلهم عصاة متمردون ساعون في الوشاية . . كلهم مفسدون »[2] .

ويبقى وعد الرب قائما للأمة الموحدة ، للشعب الذي يسلك طريق الرب والحق والعدل ، والأمة ليست بني اسرائيل بحال ، والشعب ليس شعبها . وشرط الرب قائم لا يتغير ، وهو مقترن بالوعد حتى تنتصر كلمة التوحيد فوق أورشليم نواة

---

(١) إرميا ٥ : ١ - ٥ ، ٧ - ٩ ، ١٩ .

(٢) إرميا ٦ : ١ - ٨ ، ١٢ - ١٤ ، ١٩ ، ٢٨ .

التوحيد وبذرتها وأرضها ، فعظمة هذا الوعد متساوية مع قسوة الامتحان وصعوبته ، والعلم المسبق بنتيجة الامتحان مكتوب في علم الغيب ، والرب يعلم أن الوعد بإرساء قواعد التوحيد لن تقوم بأيدي اسرائيل ، فالوعد لم يتحقق ولن يتقرر لأن شرط التوحيد لم يكن لاسرائيل ولكن لمن هم أبناء إبراهيم أبي الأنبياء بالإيمان .

وأي نقض للشريعة أعظم مما فعل بنو إسرائيل « ها إنكم متكلون على كلام الكذب الذي لا ينفع . أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذبا وتبخرون للبعل وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها . ثم تأتون وتقفون أمامي في هذا البيت الذي دعي باسمي عليه وتقولون قد أنقذنا حتى تعملوا كل هذه الرجاسات . هل صار هذا البيت الذي دعي باسمي عليه مغارة لصوص في أعينكم »(١) .

ونتيجة هذا وسواه كثير خراب يهوذا وأورشليم « وأجعل أورشليم رجما ومأوى بنات آوى . ومدن يهوذا أجعلها خرابا بلا ساكن »(٢) .

ومع هذا الخراب تمضي أورشليم في غيها وتتمادى في فجورها . وبنو إسرائيل لا يرعوون، فهم أنصار إبليس ، وما كان إبليس إلا ليمتحن من خلاله إيمان المؤمنين ، وما أوجد شعب اسرائيل إلا ليعرف من خلاله الشعب الموحد والأمة المؤمنة .

والمعصية في التوراة كلها واحدة هي رأس الموبقات ، إنه الكفر والشرك وما يندرج تحته من موبقات وآثام وخطايا . وحديث الرب إلى اسرائيل على يد موسى ومن تلاه من أنبياء وكهنة وملوك هو التمسك بالشريعة التي تدعو في المقام الأول إلى توحيد الله وتنزيهه عن كل شريك « اسمعوا كلام هذا العهد وكلموا رجال يهوذا وسكان أورشليم فتقول لهم هكذا قال الرب إله اسرائيل ملعون

---

(١) إرميا ٧ : ٨ ـ ١١ .

(٢) إرميا ٩ : ١١ .

الانسان الذي لا يسمع كلام هذا العهد الذي أمرت به آباءكم. . . ناد بكل هذا الكلام في مدن يهوذا وفي شوارع أورشليم قائلاً. اسمعوا كلام هذا العهد واعملوا به . . فلم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم بل سلكوا كل واحد في عناد قلبه الشرير .

وقال الرب لي . توجد فتنة بين رجال يهوذا وسكان أورشليم . قد رجعوا إلى آثام آبائهم الأولين الذين أبوا أن يسمعوا كلامي . وقد ذهبوا وراء آلهة أخرى ليعبدوها . قد نقض بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدي الذي قطعته مع آبائهم . لذلك هكذا قال الرب . هأنذا جالب عليهم شرا لا يستطيعون أن يخرجوا منه ويصرخون إليّ فلا أسمع لهم . فينطلق مدن يهوذا وسكان أورشليم ويصرخون إلى الآلهة التي يبخرون لها فلن تخلصهم في وقت بليتهم . لأنه بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا .وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزي مذابح للتبخير للبعل »[1] .

ورب إسرائيل لا يلبث أن يندم على ما فعل لأورشليم ،«ومن يعزّيك ومن يميل ليسأل عن سلامتك . أنت تركتني يقول الرب . إلى الوراء سرت فأمد يدي عليك وأهلكك . مللت من الندامة وأذريهم بمذراة في أبواب الأرض . أثكل وأبيد شعبي لم يرجعوا عن طرقهم . كثرت لي أراملهم أكثر من رمل البحار . جلبت عليهم على أم الشبان ناهبا في الظهيرة . أوقعت عليها بغتة رعدة ورُعُبات . . أما بقيتهم فللسيف أدفعها أمام أعدائهم . يقول الرب »[2] .

وتتوالى امتحانات أورشليم ، ومن هذه الامتحانات ما هو يسير الإنجاز ، ولكن اسرائيل بجحودها وعقوقها وكفرها أبت إلا الفشل فيها جميعها والسقوط « هكذا قال الرب لي اذهب وقف في باب بني الشعب الذي يدخل منه ملوك يهوذا ويخرجون منه وفي كل أبواب أورشليم وقل لهم . اسمعوا كلمة الرب يا ملوك يهوذا وكل يهوذا وكل سكان أورشليم الداخلين من هذه الأبواب . هكذا قال

---

(١) إرميا ١١ : ١ ـ ١٤ .

(٢) إرميا ١٥ : ٥ ـ ٩ .

الرب . تحفظوا بأنفسكم ولا تحملوا حملا يوم السبت ولا تدخلوه في أبواب أورشليم ولا تخرجوا حملاً من بيوتكم يوم السبت ولا تعملوا شغلا ما بل قدسوا يوم السبت كما أمرت آباءكم . فلم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم بل قَسَّوْا أعناقهم لئلا يسمعوا ولئلا يقبلوا تأديبا . . . ولكن إن لم تسمعوا لي لتقدسوا يوم السبت لكيلا تحملوا حملا ولا تدخلوه في أبواب أورشليم يوم السبت فإني أشعل نارا في أبوابها فتأكل قصور أورشليم ولا تنطفىء »(١) .

السبت كما ورد في توراتهم هو « فأكملت السموات والأرض وكل جُنْدها . وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقنا »(٢) .

وذكر القرآن الكريم أن بني اسرائيل لم ينجحوا في امتحان السبت فقال فيهم سبحانه وتعالى « وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظاً »(٣) .

ويقول « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين »(٤) .

ويقول « واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون »(٥) .

ويقول سبحانه « إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون »(٦) .

ونعود إلى أورشليم الغارقة في خطاياها « يا ابن آدم عرف أورشليم برجاساتها

---

(١) إرميا ١٧ : ١٩ - ٢٧ .

(٢) تكوين ٢ : ١ - ٣ .

(٣) النساء ١٥٤ .

(٤) البقرة ٦٥ .

(٥) الأعراف ١٦٣ .

(٦) النحل ١٢٤ .

وقل هكذا قال السيد الرب لأورشليم فَخْرَجُكِ ومولدك من أرض كنعان . أبـوك أموري وأمك حثية . أما ميلادك يوم ولدت فلم تقطع سرتك ولم تغسلي بالمـاء للتنظف ولم تملحي تمليحا ولم تقمطي تقميطا . لم تشفق عليك عين لتصنع لك واحدة من هذه لترق لك . بل طرحت على وجه الحقل بكراهة نفسك يوم ولدت . فمررت بك ورأيتك مدوسة بدمك فقلت لك بدمك عيشـي . قلـت لك بدمـك عيشي . جعلتك ربوة كنبات الحقل فربوت وكبرت وبلغت زينة الأزيان . نهـد ثدياك ونبت شعرك وقد كنت عريانة وعارية . فمررت بك ورأيتك وإذا زمنك زمن الحب فبسطت ذيلي عليك وسترت عورتك . وحلفت لك ودخلت معك في عهد يقول السيد الرب فصرت لي . فحمَّمتك بالماء وغسلت عنك دماءك ومسحتـك بالزيت . . وخرج لك اسم في الأمم لجمالك لأنه كان كاملاً ببهائي الذي جعلته عليك يقول السيد الرب .

فاتكلت على جمالك وزنَيْتِ على اسمكِ وسكبتِ زناكِ على كل عابر فكان له . وأخذت من ثيابك وصنعت لنفسكِ مرتفعاتٍ موشاة وزنيت عليها . أمـر لم يأت ولم يكن ، وأخذت أمتعة زينتك من ذهبي ومن فضتي التي أعطيتك وصنعت لنفسك صور ذكور وزنيتِ بها . .

وفي كل رجاساتك وزناك لم تذكري أيام صباك إذ كنت عريانة وعـارية . وكنت مدوسة بدمك وكان بعد كل شرِك . ويلٌ ويلٌ لك يقول السيد الرب . أنك بنيت لنفسك قبة وصنعت لنفسك مرتفعة في كل شارع . وفي رأس كل طريق بنيت مرتفعتك ورجَّسْت جمالك . .

فهأنـذا قد مددت يدي عليك ومنعـت عنـك فريضتـك وأسلمتـك لمـرام مبغضاتك بنات الفلسطينيين اللواتي يخجلن من طريقك الرذيلة . وزنيت مع بني أشور إذ كنت لم تشبعي فزنيت بهم ولم تشبعي أيضا . وكثَّـرتِ زنـاك في أرض كنعان إلى أرض الكلدانيين وبهذا أيضا لم تشبعي .ما أمرضَ قلبك يقول السيد الرب إذ فعـلت كل هذا فعل امرأة زانية سليطة . ببنائك قبَّتك في رأس كل طريق ،

وصنعك مرتفعتك في كل شارع . ولم تكوني كزانية بل محتقرة الأجرة . أيتها الزوجة الفاسقة تأخذ أجنبيين مكان زوجها . لكل الزواني يعطون هدية . أما أنت فقد أعطيت كل محبيك هداياك ورشيتهم ليأتوك من كل جانب للزنا بك . وصار فيك عكس عادة النساء في زناك إذ لم يُزْنَ وراءك بل أنت تعطيه أجرةً ولا أجرةَ تعطى لك فصرتِ بالعكس .

فلذلك يا زانية اسمعي كلام الرب . هكذا قال السيد الرب . من أجل أنه قد أُنفِقَ نجاسُكِ وانكشفت عورتك بزناك بمُحِبّيك وبكل أصنام رجاساتك ولدماء بنيك الذين بذلتهم لها . لذلك هأنذا أجمع جميع محبيك الذين لذذت لهم وكل الذين أحْبَبْتِهم مع كل الذين أبغضتهم فأجمعهم عليك من حولك وأكشف عورتك لهم لينظروا كل عورتك . وأحكم عليك أحكام الفاسقات السافكات الدم وأجعلك دم السخط والغيْرة . وأسلمك ليدهم فيهدمون قبتك ويهدِّمون مرتفعاتك . وينزعون عنك ثيابك ويأخذون أدوات زينتك ويتركونك عريانة وعارية . ويصعدون عليك جماعة ويرجمونك بالحجارة ويقطعونك بسيوفهم . ويحرقون بيوتك بالنار ويجرون عليك أحكاما قدام عيون نساء كثيرة . وأكفك عن الزنا وأيضا لا تُعْطين أجرة بعد . وأحلُّ غضبي بك »[1] .

وليس غريبا أن تغالي اسرائيل في الاثم والخطيئة والشر ، فهم مجبولون بها ، مفطورون عليها . ولم يجد معهم نصح أو إرشاد أو تقريع ، ولم يترك أنبياؤهم وقضاتهم وملوكهم وسيلة إلا استخدموها معهم ، وهؤلاء لا يُرْجى لهم صلاح ، وقد تبرأ منهم موسى ومن تلاه « قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين »[2] .

ولم يعد لأنبياء اسرائيل حيلة إلا التوجه إلى رب اسرائيل معترفين بالآثام والخطايا ونقض الشريعة وهدم فرائضها . وما كان سبي بابل إلا عقابا من الرب

---

(١) حزقيال إصحاح ١٦ : ٢٠ - ٤٣ .

(٢) المائدة ٢٥ .

لهم ، وما سلط عليهم جبابرة الأمم إلا جزاء ما كفروا وأشركوا .

وهذا دانيال نبيهم يتوجه إلى الرب بعد سبعين سنة من خراب أورشليم « فوجهت وجهي إلى الله السيد طالباً بالصلاة والتضرعات بالصوم والمسح والرماد . وصليت إلى الرب إلهي واعترفت وقلت أيها الرب الإله العظيم المهوب حافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظي وصاياه . أخطأنا وأثمنا وعملنا الشر وتمردنا وحدْنا عن وصاياك وعن أحكامك . وما سمعنا من عبيدك الأنبياء الذين باسمك كلموا ملوكنا ورؤساءنا وآباءنا وكل شعب الأرض . لك يا سيد البر . أما لنا فخزي الوجوه كما هو اليوم لرجال يهوذا ولسكان أورشليم ولكل اسرائيل القريبين والبعيدين في كل الأراضي التي طردتهم إليها من أجل خيانتهم التي خانوك إياها . يا سيد لنا خزي الوجوه لملوكنا لرؤسائنا ولآبائنا لأننا أخطأنا إليك . . يا سيد صب كل رحمتك اصرف سخطك وغضبك عن مدينتك أورشليم جبل قدسك . إذ لخطايانا ولآثام أبائنا صارت أورشليم وشعبك عارا عند جميع الذين حولنا . أمِلْ أذنك يا إلهي واسمع افتح عينيك وانظر خرِبنا والمدينة التي دعي اسمك عليها لأنه لا لأجل برنا نطرح تضرعاتنا أمام وجهك بل لأجل مراحمك العظيمة . يا سيد اسمع يا سيد اغفر يا سيد أصغ واصنع لا تؤخر من أجل نفسك يا إلهي لأن اسمك دعي على مدينتك وعلى شعبك »[١] .

خزي وعارٌ تاريخ اسرائيل ـ فساد وآثام كانت أورشليم ، والرب ينزل بها الخراب تلو الخراب ، والدمار إثر الدمار ، علَّ هذا يطهرها لاستقبال عهد آخر . يهيىء لعهد الله الأبدي «ويل للمتمردة النجسة المدينة الجائرة . لم تسمع الصوت . لم تقبل التأديب. لم تتكل على الرب. لم تتقرب إلى إلهها. رؤساؤها في وسطها أسود زائرة . قضاتها ذئاب مساء يبقون شيئاً الى الصباح. أنبياؤها متفاخرون أهل غدرات . كهنتها نجسوا القدس خالفوا الشريعة . الرب عادل في وسطها لا يفعل ظلما . غداة غداة يبرز حكمه إلى النور لا يتعذر . أما الظالم فلا يعرف الخزي .

(١) دانيال ٩ : ٣ ـ ٨ ، ١٦ ـ ١٩ .

قطعت أمما خربت شرفاتهم . أقفرت أسواقهم بلا عابر . دمرت مدنهم بلا إنسان بغير ساكن . فقلت إنك لتخشيني تقبلين التأديب فلا ينقطع مسكنها حسب كل ما عينته عليها . لكن بكروا وأفسدوا جميع أعمالهم .

لذلك فانتظروني يقول الرب إلى يوم أقوم إلى السلب لأن حكمي هو بجمع الأمم وحشر الممالك لأصب عليهم سخطي كل حمو غضبي لأنه بنار غيرتي تؤكل كل الأرض. لاني حينئذ أحوِّل أحول الشعوب إلى شفة نقية ليدعو كلهم باسم الرب ليعبدوه بكتف واحدة. . في ذلك اليوم لا تخزين من كل أعمالك التي تعدّيت بها عليّ لأني حنيئذ أنزع من وسطك مبتهجي كبريائك . ولن ولن تعودي بعد إلى التكبر في جبل قدسي»[1] .

وأورشليم الجائرة الظالمة المتمردة العاصية هي ذاتها التي بدأت تستقبل من خلال خرابها ودمارها ترانيم فرح وابتهاج بالسلام . . إنه سلام البشارة برسول مرتقب بشرت به توراتهم ، لقد بشرت بالمسيح عيسى ابن مريم الذي جاء ليبشر بخاتم الرسل والانبياء رسول الله محمد ﷺ .

وبهذه البشارة تبدأ اورشليم في اتخاذ وجه آخر مغاير لوجهها الاول المغرق في الماديات والآثام والخطايا والرجاسات ، وفي هذا كله غرقوا ولجوا وطغوا وتجبروا وعتوا عُتوًّا عوقبوا فيه من الرب عقوبات لا يتصورها عقل ولا يدركها إدراك .

ومع هذا كله لم يتغير فيهم الطبع الغليظ عن غلظته ، ولا القلوب عن قسوتها .

وبهذه الغلظة وتلك القسوة التي جبلوا عليها لا تحفظ أمانة السماء المتمثلة في الشريعة المكتوبة وحيا من السماء ، وهي اول شريعة محررة إلى الأرض ، وإلى بني إسرائيل على وجه التحديد.

---

(١) صَفنْيا ٣ : ١ - ١١ .

وهم مع ما هم عليه من طفولـة نفسية وذهنية والتـواء طبـع ضيعـوا أمانـة السماء ، وهدموا الشريعة ، وزيفوا وحرفوا وضللوا . ونقضـوا العهـد مع الالـه العلي القدير الذي رأوا فيه ربا لاسرائيل فحسب عناداً وتكبُّرا . والرب مع هذا كله يساند ويؤازر ويدرب ويربي نفوساً وعقولاً . حتى يتسَنّى لذلك الشعب بذر بذرة التوحيد المحرر المكتوب على الارض .

والرب يعرض ذلك الشعب لامتحانات وآيات وابتلاءات ينصهر في بوتقتها ، فيصارع ويغالب ويجرب ويعاني ويصيب ويخطيء ، فيتمكن من خلال معاناته إدراك قيمة رسالة التوحيد . فيحافظ عليها ويعمل بهـا . ويتخذهـا دينـاً وخلقـاً وسلوكاً . ولكن هذا الشعب رفض وأنكر وكفر وأشرك مؤثراً السلامة في كل ما دفع إليه .

ولا يكف هذا الشعـب عن الصـراخ والاستغاثـة بالـرب أمام كل امتحان وابتلاء ، فقد طلبوا ان يروا الله جهرْه ، وطلبوا أن يظلل السماء بالغمام ، وطلبوا في البرية الطعام والشراب ، آيات محسوسة ، وكفروا بها وطلبوا الى الرب أن يقاتل عنهم . وليس هذا إلا من باب التواء الطبع الذي صور لهم اصطفاءهم بالرسالة دون العالمين ، وهم يعرفون حق المعرفـة من خلال توراتهـم أن هنـاك رسولاً بعد موسى ، ورسولاً آخر بشرت به توراتهم هو محمد ﷺ .

ولكنهم زيفوا الحقـائق التوراتية فجعلوا من أمر الرب لهم بمقاتلة سواهم تسخيراً للخلق جميعاً ، وفاتهم أن هذا الأمر إنما هو أمر بمقاتلة الأوثان حتى تكون المعركة بين حق وباطل ، بين ايمان وكفـر تمهيداً للـكون وتهيئـة للأرض كلهـا لاستقبال دين البشرية التي يربطها نسب الإيمان لا نسب اللحم والدم . وأورشليم القدس هي نموذج هذا الصراع الأبدي بين الإيمان والكفر .

وأورشليم في عهدها الجـديـد هي المدينة التي يتأكد اسمها الذي عرفت به منذ بناها اليبوسيون الكنعانيون العرب ، وهي مدينة السلام ، بدأت بالسلام ، ولابد

ان تنتهي بالسلام الذي شاءه الله لدينه الحق. إلى الأبد ـ الاسلام دين لا إله إلا الله .

والبشارة التي تتحدث عن المسيح ابن مريم تذكرها التوراة باسم زرُبّابـل حيث تقول « فالآن تشدد يازرُ بّابَل[1] يقول الرب وتشدد يايهـوشـع بن يهو صادق الكاهن العظيم وتشددوا يا جميع شعب الأرض يقول الرب . واعملوا فإني معكم يقول رب الجنود . حسب الكلام الذي عاهدتـكم به عنـد خروجـكم من مصـر وروحي قائم في وسطكم . لا تخافوا لأنه هكذا قال رب الجنود . هي مرة بعد قليل فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة . وأزلزل كل الأمم ويأتي مشتهى كل الأمم فأملأ هذا البيت مجداً ، وقال رب الجنود . لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود . مجد هذا البيت الأخير يكون اعظم من مجد الأول قال رب الجنود . وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود»[2] .

ويختار رب الجنود ـ زرُبّابل رسولاً جديداً إلى بني اسرائيل « كلِّم زَرُبّابل وإلي يهوذا قائلاً . إني أزلزل السموات والأرض . وأقلب كرسيَّ الممالك وأبيد قوة ممالك الأمم وأقلب المركبات والراكبين فيها . وينحط الخيل وراكبوها كل منهـا بسيف أخيه . في ذلك اليوم يقول رب الجنود آخذك يازَرُبّابل عبدي ابن شأَلْتئيـل يقول الرب وأجعلك كخاتم لأني قد اخترتك يقول رب الجنود»[3] .

وتستظل أورشليم بظل الرحمة في العهد الجديد : « هكذا قال رب الجنود غرت على أورشـليم وعلـى صهيون غيرة عظيمـة . . قد رجعـت إلـى أورشـليم بالمراحم . فبيتي يبنى فيها يقول رب الجنود . ويمد المطمار على أورشليم . . إن مدني تفيض بعد خيراً والرب يعزي صهيون بعد ويختار أورشليم»[4] .

---

(١) زرُبّابل ترمز إلى المسيح عليه السلام. عن القس وليم مارس من كتاب السنن القويم عن تفسير أسفار العهد القديم ٢ : ٤٤ سنة ١٩٣٧ ـ مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ـ بيروت .

(٢) حَجَّي ٢ : ٤ ـ ٩

(٣) حَجَّي ٢ : ٢٠ ـ ٢٣ .

(٤) زكريا ١ : ١٥ ـ ١٧

وهذه الرحمة الربانية لأورشليم تستدعي الترنُّمَ والفرح « ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأني هأنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب . فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعبا فأسكن في وسطك فتعلمين أن رب الجنود قد أرسلني إليك . والرب يرث يهوذا نصيبه في الأرض المقدسة ويختار أورشليم بعد . اسكتوا يا كلَّ البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه»[١] .

وفي العهد الجديد تدعى اورشليم مدينة الحق ، فبالمسيح أو زَرُبّابل سيكبح جماح المادية اليهودية المفرطة ، وتعطي الحياة معنى التوازن الذي لا تستقيم بدونه حياة ، بما تميز به العهد الجديد من روحانية وتسامح وشعاره « المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة»[٢] .

يقول الرب في اورشليم الجديدة الامنة « هكذا قال الرب . قد رجعت إلى صهيون وأسكن في وسط اورشليم فتدعى أورشليم مدينة الحق . وجبل رب الجنود الجبل المقدس .

هكذا قال رب الجنود . سيجلس بعد الشيوخ والشيخات في أسواق أورشليم كل إنسان منهم عصاه بيده من كثرة الأيام . وتمتلىء أسواق المدينة من الصبيان والبنات لاعبين في أسواقها .

هكذا قال رب الجنود . ها أنا اخلص شعبي من أرض المشرق ومن أرض مغرب الشمس . وآتي بهم فيسكنون في وسط اورشليم ويكونون لي شعبا وأنا أكون لهم إلها بالحق والبر»[٣] .

ومن خلال سفر زكريا نلاحظ أن الشعب الذي يقول عنه الرب إنه شعبه ليس شعب إسرائيل ، وإنما هي الفئة التي ستؤمن بدعوة التوحيد التي أكملها المسيح حيث قال « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل»[٤] .

---

(١) زكريا ٢ : ١٠ - ١٢
(٢) إنجيل لوقا ٢ : ١٣
(٣) زكريا ٨ : ٢ - ٥ ، ٧ - ٩
(٤) إنجيل متى ٥ : ١٧

والذين آمنوا بعيسى من بني اسرائيل الذين ارسل إليهم عيسى قليلون ، وهذه القلة المؤمنة قد شاب إيمانها شرك بتأليهها عيسى .

ويبقى شعب الله الذين آمنوا بالله واحداً أحداً . والذين حفظوا أمانة السماء التي جاءت إلى الأرض من خلال تسبيح الله وذكره في مشارق الأرض ومغاربها ، وقد ارسل روسل السلام إلى البشرية كافة في شرقها وغربها . وكانت أمة محمد هي شعب الله الذين كان لهم إلها بالحق والبر.

فالمسيح أو زربّابل هو حلقة مكملة في سلسلة رسالات السماء وهو الحلقة المتوسطة بين رسالات السماء . أكمل دعوة موسى . وبشر بدعوة محمد ﷺ .

ويمتلىء سفر زكريا بالبشارات بعيسى نبي السلام، وبأوصافه التي عرفناها من خلال أحاديث الرسول محمد ﷺ . وهي بشارات تنبىء بتخليص الإيمان من الكفر« ابتهجي جداً يا ابنة صهيون . اهتفي يا بنت أورشليم هوذا ملكك يأتي إليك . هو عادل ومنصور . وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان. واقطع المركبة من أفرايم والفرس من أورشليم وتقطع قوس الحرب . ويتكلم بالسلام للأمم وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض . وأنت ايضاً فإني بدم عهدك قد أطلقت أسراك من الجب الذي ليس فيه ماء . ارجعوا إلى الحصن يا أسرى الرجاء . اليوم أيضاً أصرح أني ارد عليك ضعفين»(١) .

ويشاء الله ان تكون اورشليم مهداً للتوحيد ، وموطن امتحان الموحدين وكفر المشركين ، وتكون النتيجة فشل اورشليم في امتحانات الرب لعهد اسرائيل ، وهو الفشل الذي يهيىء الطريق للسلام الجديد المفضي إلى السلام الأبدي الذي تنتصر به عزة الإله على الأرض. « يقول الرب باسط السموات ومؤسس الأرض وجابل روح الانسان في داخله. هأنذا أجعل أورشليم كأس ترنح لجميع الشعوب حولها وأيضاً على يهودا تكون في حصار أورشليم. ويكون في ذلك اليوم

---

(١) زكريا ٩ : ٩-١٢

أني أجعل أورشليم حجرا مشوالاً لجميع الشعوب وكل الذين يشيلونه ينشقون شقاً . ويجتمع عليها كل أمم الأرض . . في ذلك اليوم أجعل أمراء يهوذا كمصباح نار بين الحطب وكمشعل نار بين الحزم . . . فتثبت أورشليم أيضاً في مكانها بأورشليم . . في ذلك اليوم يستر الرب سكان اورشليم فيكون العاشر منهم في ذلك اليوم مثل داود وبيتُ داود مثل الله مثل ملاك الرب أمامهم»[١] .

ورسول السلام هو من نسل داود (يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم)[٢] . نسل الإيمان قبل نسب الدم . وأول دعوته ، بل أساس رسالته هو تحطيم الاصنام ، كما انه أساس دعوة كل نبي ورسول في ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحاً لبيت داود ولسكان اورشليم للخطية وللنجاسة . ويكون في ذلك اليوم يقول رب الجنود أني اقطع اسماء الأصنام من الأرض فلا تذكر بعد وأزيل الانبياء أيضاً والروح والنجس من الأرض »[٣] .

وتطوى من أورشليم صفحة الكفر الى الأبد ، وقد كانت أزمانها الطويلة على عهد اسرائيل آيات وعجائب وامتحانات ، لم تصرفهم عن الكفر والأصنام، ولم تستطع ان تربي نفوسهم وتنمي عقولهم لذلك الإيمان الغيبي الذي جسدوه في صورة إله اخترعوه على هواهم ويسير وفق هواهم. ولم يَجْنِ بنو اسرائيل في تلك الأزمان الطويلة غير الكفر « أقوالكم اشتدت عليّ قال الرب . وقلتم ماذا قلنا عليك . قلتم عبادة الله باطلة . وما المنفعة من أننا حفظنا شعائره وأننا سلكنا بالحزن قدام رب الجنود . والآن نحن مطوبون المستكبرين وأيضاً فاعلو الشر يبنون بل جربوا الله ونجوا»[٤] .

وطي صفحة من أورشليم ونشر أخرى يعني نهاية الكفر المعاند والمادية المغرقة ، وبطَيِّها يحرق كل فاعلي الشر حيث لا يبقى لهم أصل ولا فرع .

---

(١) زكريا ١٢ : ٢ ـ ٣ ، ٦ ـ ٩

(٢) إنجيل متى ١ : ١

(٣) زكريا ١٣ : ١ ـ ٢ .

(٤) ملاخي ٣ : ١٣ ـ ١٥

وتنشر صفحة الإيمان الممهدة للسلام والأمان الأحسان إلى خاتمة الرسالات لتعلن أورشليم القدس بلداً مقدساً باركه الله ، فهو اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين . وهو موطن الاسراء والمعراج ، وموطىء الأنبياء وتشريفهم بالصلاة خلف خير الورى محمد ﷺ .

« فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشا ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود فلا يبقي لهم أصلاً ولا فرعاً .

ولكم ايها المتقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أأنحتها وتدوسون الأشرار لأنهم يكونون رماداً تحت بطون أقدامكم يوم أفعل هذا قال رب الجنود»[1] .

صورة أورشليم في التوراة الحاضرة هي ذاتها التي كانت على عهد بني اسرائيل وهي نموذج لكل مدينة يدخلها اليهود ويعيثون فيها الفساد ليعملون فيها بالافساد . وساء أكانت التوراة فيها شيء يسير من حقيقة وسواء أكان في التوراة شيءٌ يسير من حقيقة او كانت من صنع ايديهم ـ وهذا هو الحق والصواب ـ فان أورشليم العربية منذ خمسة آلاف سنة قد تدنست باسرائيل في ذلك الزمن الغابر . وإذا كانت اورشليم القدس الآن في أحضان كفر اسرائيل فإن الله سبحانه وتعالى غالب على أمره . وتبقى الأرض لله ويرثها من عباده الصالحون . وستعلو عليها وفيها راية الحق والإيمان من جديد بعد أن ينتصر الحق « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً »[2] .

---

(١) ملاخي ٤ : ١ ـ ٣

(٢) الإسراء ٨١

الوعــد

كثيراً ما تتردد كلمة الوعد في ثنايا التوراة، بل تكاد تكون التوراة برمتها قائمة على هذا الوعد الذي عرف بنو إسرائيل سره، في أنه وعد الله إلى عباده المؤمنين بالأرض المقدسة التي وجدت فيها نواة التوحيد منذ الأزل، وهي نواة أرادها الله سبحانه في تلك الأرض أن تثمر وتؤتي أكلها بما شهدت من رسالات السمـاء ومـن أبنيائه المختارين ورسله المصطفين.

والوعد في ظاهره كما يريده التوراتيون أي كتبته التـوراة ووضاعهـا هو أن الرب وعدهم الأرض المقدسة لأنهم شعب الرب وأبناؤه وأحباؤه، ولأنهم الشعب المختار المتميز والمصطفى، ولأن الرب هو رب اسرائيل دون سواها من البشر.

هكذا فهموا الوعد أو هكذا أرادوا أن يفهموه فهما يوافق هواهم وأطماعهم.
ولكنه وعد مشروط منذ وجد بشرط الإيمان الذي يعلم الله سبحانه وتعالى أنه شرط لن يتوفر، بل لا يوجد شيء منه في نفوس بني إسرائيل وقلوبهم ولن يكون شيء منه في صدورهم وعقولهم إلى أن تحين الساعة.

فكل شيء مقدر للبشر منذ الأزل وقبل أن يخلق الله سبحانه الخلق. ومما هو مقدر لبني إسرائيل كما تذكر توراتهم ويذكر القرآن العزيز أن الوعد لن يتحقق لأنهم لا يستطيعون الوفاء بالشرط، لأنهم بقساوة قلوبهم وغلاظة رقابهم عاجزون عن الوفاء به، ولأن الله سبحانه وتعالى كتب في قرآنه العزيز « إن الذين يشترون

بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم »[١] .

يبدأ الوعد كما تذكر التوراة بخروج إبراهيم من أرض عشيرته في حاران، ولا يذكر مع الوعد الشرط مع إبراهيم لتوافر الشرط في صدر إبراهيم، فخروجه من أرض عشيرته إنما هو بدافع الإيمان المطلق « وقال الرب لابرام اذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك . فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك . وتكون بركة . وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه . وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض . فذهب أبرام كما قال له الرب وذهب معه لوط . وكان ابرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من أرض حاران . فأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطا ابن أخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا في حاران وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان . فأتوا إلى أرض كنعان .

واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم الى بلوطة مورة . وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض . وظهر الرب لأبرام **وقال لنسلك أعطي هذه الأرض** . . »[٢] .

لم يتحدد النسل بعدُ الذي سيرث الأرض . لأن إبراهيم لم يكن له وقتئذ أي أبناء . وحين يشاء الله له ذلك. يكون الإيمان هو الفاصل بين ذريته في الأفضلية والإرث .

وتبرق من خلال الوعد إشارات إلهية توحي بما سيكون على الأرض من ديانات ذات جوهر واحد وأصل وحيد هو توحيد خالق السموات والأرض ، ولا بد لذلك الجوهر من أن تعم أنواره حتى يعقد بين جهات الأرض « وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه . ارفع عينيك وانظر من الموضع **الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً** . لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد.

---

(١) آل عمران ٧٧ .

(٢) تكوين ١٢ : ١ - ٦ .

وأجعل نسلك كتراب الأرض . حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك ايضاً يعد . قم امش في الأرض طولها وعرضها لأني لك أعطيها »[١] .

ولوو كان الوعد غير مقترن بشرط الإيمان لسهل على الذين كفروا ان يمتلكوا الأرض بجهاتها الأربعة . ولكن الإيمان لا يبلغ الذروة في صدر صاحبه إلا إذا وضعت الروح معادلاً له ، والفداء منطلقاً .

ويبدأ أبرام ليكون له نسل في شيخوخته ، ومن نسله ورثة الأرض يقول الرب لأبرام « بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك . ثم أخرجه إلى خارج وقال انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعدها .

وقال الله لإبراهيم : وأما أنت فتحفظ عهدي . أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم . هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك »[٢] .

والميثاق الذي أمضاه الرب مع إبراهيم ماض في نسله ، ونقرأ عن إسحق « وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر اسكن في الأرض التي أقول لك . تغرب في هذه الأرض . فأكون معك وأباركك . لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك . وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطي نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض . من أجل أن إبراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي أوامري وفرائضي وشرائعي »[٣] .

ويمضي الميثاق في يعقوب ، والشرط هو التوحيد المطلق حيث لا يشوبه وثن أو صنم ، أو أي شيء مما يعبد ، فقد أخذ يعقوب حين عودته من فدان أرام في العراق الى أرض كنعان أخذ من أهل بيته كل الآلهة الغريبة والأقراط التي في آذانهم فطمرها تحت البطحة التي عند شكيم « وظهر الله ليعقوب حين جاء من فدان أرام

(١) تكوين ١٣ : ١٤ - ١٧ .
(٢) تكوين ١٧ : ١ - ١٠ .
(٣) تكوين ٢٦ : ٢ - ٦ .

وباركه . وقال له الله اسمك يعقوب . لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك اسرائيل . فدعا اسمه اسرائيل . وقال له الله القدير . أثمر وأكثرْ أمة وجماعة أمم تكون منك . وملوك سيخرجون من صلبك والأرض التي أعطيت إبراهيم واسحق لك أعطيها . ولنسلك من بعدك أعطي الأرض »[1] .

وبعد تبشير الرب أبرام بالنسل قطع معه الميثاق . والميثاق لغة من الائتمان على الشيء ، ولا يكون الميثاق إلا مع المؤتمن الذي يتشدد في الحفاظ على الأمانة . فمن مِن نسل إبراهيم سيكون المؤتمن على أمانة الرب ؟

« في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً لينسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات »[2] .

وبقي الوعد والميثاق بين الرب وأبرام قائماً دون أن يذكر شرط الإيمان صراحة أو ينص عليه . كان ذلك قبل أن تصبح لإبراهيم ذريته ، ولكن الميثاق قد اقترن بشرط اللازم بعد أن بشر إبراهيم بالنسل .

والذي في علم الغيب هم من يؤمنون ومن يكفرون ، ولكن لا بد لأولئك من التربية والتدريب والابتلاء والامتحان حتى يتأكد المؤمنون بأنفسهم من إيمانهم والكافرون من كفرهم .

وإلى أن يتبين المؤمنون إيمانهم ، ويتأكد للكافرين كفرهم يبقى شرط هذا الميثاق ماثلاً مع كل ابتلاء .

ورزق إبراهيم اسماعيل ، وبعد نجاح إبراهيم في ابتلاء ربه بذبح وحيده اسماعيل كانت البشرى بإسحق ثواباً وجزاء « ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير . سر أمامي وكن كاملاً . فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً . فسقط أبرام على وجهه وتكلم الله معه قائلاً . أما أنا فهو ذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم . فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون

---

(١) تكوين ٣٥ : ٩ـ١٢ .
(٢) تكوين ١٥ : ٨ .

اسمك إبراهيم . لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم . وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً . وملوك منك يخرجون . وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً . لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك . وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم .

ويتضح الشرط ويتأكد كلما مرت الأيام مع بني إسرائيل ، فقد أرسل الرب موسى إلى بني إسرائيل في مصر ليخرجهم منها بسبب ما لاقوه من ظلم فرعون وتسخيره لهم . وشرط إخراج موسى لهم كما أمره الرب هو أن يعبدوا الرب « ثم قال الرب لموسى ادخل إلى فرعون وقل له هكذا يقول الرب إله العبرانيين أطلق شعبي ليعبدوني »[1] .

ودعوة موسى أمام فرعون هو عبادة الرب الواحد « ثم قال الرب لموسى بكر في الصباح وقف أمام فرعون وقل له هكذا يقول الرب إله العبرانيين أطلق شعبي ليعبدوني »[2] .

ومضى موسى بأمر من الرب يدرب بني إسرائيل ويربيهم على العبودية للرب الخالق القدير ، ويقوي فيهم القلوب التي لا بد أن تؤمن بالرب ، مع كل ما أوتي موسى من آيات وعجائب وهم في طريقهم إلى أرض الفلسطينيين « وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة . لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا الى مصر »[3] .

ولا بد من التجارب الكثيرة والمعاناة والمكابدة لبني إسرائيل الذين هيأهم الرب لبدء رسالات السماء ، وفي خضم هذه المعاناة والمقاساة يلجأون إلى الرب يسألونه ويعبدونه ، وقد شاء الرب ألا يعرفوا الطريق إلى فلسطين فقد « استغلق عليهم القفر »[4] . وحين يصل بهم الحال من العذاب والمشقة أقصاه يظهر الرب

---

(١) خروج ٩ : ١ .
(٢) خروج ٩ : ١٣ .
(٣) خروج ١٣ : ١٧ .
(٤) خروج ١٤ : ٣ .

بخلاصه لهم ، حتى يكون ذلك أدعى لشكره وعبادته « فقال موسى للشعب لا تخافوا قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم »[1] . ويأتي إيمانهم بالرب وقتياً وبعبده موسى « ورأى اسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى »[2] .

ويمضي الابتلاء والامتحان والتربية لهذا الشعب ، والغاية المنشودة هي الإيمان بالله الخالق وحده لا شريك له ، وذلك حتى يمضي وعد الرب ، وهو سبحانه يعلم أنه غير ماض بكفرهم . فمع عجائب موسى ومعجزاته في برية شور ، حيث أحال موسى بأمر ربه الماء المر إلى ماء عذب شرب منه شعبه « فصار الماء عذباً . هناك وضع له فريضة وحكما وهناك امتحنه . فقال إن كنت تسمع لصوت الرب إلهك . وتصنع الحق في عينيه وتصغى إلى وصاياه وتحفظ جميع فرائضه فمرضا مّا مما وضعته على المصريين لا أضع عليك. فإني أنا الرب شافيك »[1] .

والعصيان والتمرد الذي أبداه شعب موسى علامة من علامات جحودهم وعدم التزامهم بشرط الإيمان .

وقد بدأ الوعد والميثاق مشافهة في مرحلة طويلة من مراحل هذا الشعب ، والربّ ماض في تربيتهم بيد أنبيائه ورسله ، والرب يغفر لهم ويغفر ، لأنهم في حالة أشبه بحالة طفولة ربوبية ، كان لهم فيها الرب هادياً ومرشداً ومربياً ، وكان يمضي معهم في رحلتهم الطويلة عمود سحاب في النهار وعمود نار في الليل .

ووصل موسى بشعب اسرائيل إلى جبل في سيناء وهناك أصبح الشرط بالإيمان نصاً مكتوباً محرراً لا فكاك منه ، إذ لا بد أن يكون ذلك الشعب قد اجتاز مرحلة طفولته ازاء الرب وعبادته ، وبات قادراً على وعي الشريعة المكتوبة

(١) خروج ١٤ : ١٣ . (٣) خروج ١٥ : ٢٥ - ٢٦

(٢) خروج ١٤ : ٣١ .

المحررة التي كانت أولى الشرائع السماوية المكتوبة .

« وأما موسى فصعد إلى الله فناداه الرب من الجبل قائلاً هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل . أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين . وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ . فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب »[١] .

ويزيد الرب الشرط توضيحاً وتفصيلاً لموسى حتى يبلغها شعب إسرائيل « أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية . لا يكن لك آلهة أخرى أمامي . لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحتُ وما في الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن »[٢] .

الشرط الأول والوصية الأولى من وصايا موسى العشر كان الإيمان بالله وحده لا شريك له ، ولو تحقق لهم هذا الشرط لسهل عليهم تحقيق الوصايا الأخرى ، فمن خلال الإيمان المطلق يكون الوفاء بالوعد بالأرض التي لم تكتب لهم لأن الله سبحانه عليم بكفرهم ، ولكنه امتحان الرب وابتلاؤه حتى يكون عقابهم نتيجة كفرهم بما صنعت أيديهم مع كل المعجزات السماوية لهم . و « إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون »[٣] .

وتعددت امتحانات الرب لإسرائيل ليفجر في أعماقهم مخافته فيرتدعوا عن الخطأ والضلال « فقال موسى للشعب لا تخافوا لأن الله إنما جاء لكي يمتحنكم ولكي تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا . . فقال الرب لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل . أنتم رأيتم أنني من السماء تكلمت معكم . لا تصنعوا معي آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب »[٤] .

---

(١) خروج ١٩ : ٣ ـ ٥ .
(٢) خروج ٢٠ : ٢ ـ ٤ .
(٣) يونس ٤٤ .
(٤) خروج ٢٠ ـ ٢٣ .

والوعد المشروط بالإيمان لدخول أرض فلسطين إنما هو إعلاء كلمة الإيمان المطلق والتوحيد الخالص على الأصنام التي كانت تعبد في تلك الأرض ، والوعد في المقام الأول هو انتصار التوحيد على الشرك تهيئة لتلك الأرض التي شاء الله لها منذ الأزل ان تكون أرض الرسالات ومهد الرسل والأنبياء .

ولكن أنّى لشعب اسرائيل أن ينصر التوحيد بما عرفوا من غلاظة الرقاب وقسوة القلوب والعناد .

يخاطب الرب موسى « فإن ملاكي يسير أمامك ويجيء بك إلى الأموريين والحثيين والفِرزّيين والكنعانيين والحوّيّين واليبوسيّين فأبيدهم . لا تسجد لآلهتهم ولا تعبدها ولا تعمل كأعمالهم . بل تبيدهم وتكسر أصنامهم . وتعبدون الرب إلهكم . . . إذا عبدت آلهتهم فإنه يكون لك فخاً »(١) .

وقطع موسى بأمر الرب العهد مع شعبه ، وأعلنت ألسنتهم دون قلوبهم العمل به ، وإن حاول موسى وجهد ليؤكد العهد معهم ويوثقه بالدم « وأخذ موسى الدم ورشّ على الشعب وقال هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال »(٢) .

ولم يمض على توثيق العهد الكثير حتى كان الشعب قد عبدوا العجل الذهب في سيناء ، كان ذلك في الفترة التي صعد فيها موسى الجبل يتلقى من ربه الشريعة . وكاد غضب الرب يفتك بهم لولا تضرع موسى ، حيث طلب من الرب أن يكمل وعده بدخول الأرض .

يقول موسى لربه « ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك . اذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد »(٣) .

---

(١) خروج ٢٣ : ٢٣ - ٢٥ ، ٣٣.

(٢) خروج ٢٤ : ٨ .

(٣) خروج ٣٢ : ١٢ - ١٤ .

وامتلاك الأرض لا يعني غير نشر دعوة التوحيد الى الخالق القدير، بتكسير الأصنام ،وانهزام سكان الأرض الأصليين من أمام هذا الشعب إنما يعني طرد الشرك وهدم المذابح وتكسير الأنصاب « احفظ ما أنا موصيك اليوم . ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحثيين والفِرزيين والحويين واليبوسيين احترز من ان تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصيروا فخا في وسطك . بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم . فإنك لا تسجد لإله آخر . احترز من ان تقطع عهداً مع سكان الأرض فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم . وتأخذ من بناتهم لبنيك فتزني بناتهم وراء آلهتهن ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن . لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة »[1] .

ولا يسير شعب إسرائيل خطوة دون ان يذكرهم الرب بميثاقه معهم « لا تصنعوا لكم أوثاناً ولا تقيموا لكم تمثالاً أو نصباً ولا تجعلوا في أرضكم حجراً مصوراً لتسجدوا له . لأني أنا الرب إلهكم . . .

إذا سلكتم في فرائضي وحفظتم وصاياي وعملتم بها . أعطي مطركم في حينه وتعطي الأرض غلتها . . وتسكنون في أرضكم آمنين . . وأجعل سلاماً في الأرض . . وألتفت إليكم وأثمركم وأكثركم وأفي ميثاقي معكم .

لكن إن لم تسمعوا لي ولم تعملوا كل هذه الوصايا وإن رفضتم فرائضي وكرهت انفسكم أحكامي فما عملتم كل وصاياي ، بل نكثتم ميثاقي فإني أعمل هذه بكم . أسلط عليكم رعباً وسلاً وحمى تفني العينين وتتلف النفس وتزرعون باطلاً زرعكم فيأكله أعداؤكم . وأجعل وجهي ضدكم فتنهزمون أمام اعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم وتهربون وليس من يطردكم .

وإن كنتم مع ذلك لا تسمعون لي أزيد على تأديبكم سبعة أضعاف حسب

---

(١) خروج ٣٤ : ١١ - ١٧ .

خطاياكم . فأحطم فخار عزكم وأصيّر سماءكم كالحديد وأرضكم كالنحاس فتفرغ باطلاً قوتكم وأرضكم لا تعطي غلتها وأشجار الأرض لا تعطي أثمارها .

وإن سلكتم معي بالخلاف ولم تشاءوا أن تسمعوا لي أزيد عليكم ضربات سبعة أضعاف حسب خطاياكم . أطلق عليكم وحوش البرية فتعدمكم الأولاد وتقرض بهائمكم وتقللكم فتوحش طرقكم .

وإن لم تتأدبوا مني بذلك بل سلكتم معي بالخلاف فإني أنا أسلك معكم بالخلاف وأضربكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم . أجلب عليكم سيفاً ينتقم نقمة الميثاق فتجتمعون إلى مدنكم وأرسل في وسطكم الوبأ فتُدفعون بيد العدو . .

وإن كنتم بذلك لا تسمعون لي بل سلكتم معي بالخلاف فأنا أسلك معكم بالخلاف ساخطاً وأؤدبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم فتأكلون لحم بنيكم ولحم بناتكم تأكلون . وأضرب مرتفعاتكم . . وألقي جثثكم على جثث أصنامكم وترذلكم نفسي . وأصيّر مدنكم خربة ومقادسكم موحشة . . وأوحش الأرض فيستوحش منها أعداؤكم الساكنون فيها . وأذريكم بين الأمم وأجرد وراءكم السيف فتصير أرضكم موحشة ومدنكم تصير خربة . . . والباقون منكم ألقي الجبانة في قلوبهم في أراضي اعدائهم فيهزمهم صوت ورقة مندفعة فيهربون كالهرب من السيف ويسقطون وليس طارد . ويعثر بعضهم ببعض كما من أمام السيف وليس طارد ولا يكون لكم قيام امام أعدائكم . فتهلكون بين الشعوب وتأكلكم أرض أعدائكم . وأيضاً بذنوب آبائهم معهم يفنون . لكن إن أقروا بذنوبهم وذنوب آبائهم في خيانتهم التي خانوني بها وسلوكهم معي الذي سلكوا بالخلاف . وإني أيضاً سلكت معهم بالخلاف وأتيت بهم الى أرض أعدائهم إلا أن تخضع حينئذ قلوبهم الغلف ويستوفوا حينئذ عن ذنوبهم . أذكر ميثاقي مع يعقوب وأذكر ايضاً ميثاقي مع إسحق وميثاقي مع إبراهيم وأذكر الأرض . والأرض تترك منهم . . لأنهم قد أبوا أحكامي وكرهت أنفسهم فرائضي . . لأني أنا

الرب إلههم »[١] .

تلك ألوان العقاب الإلهي إلى شعب إسرائيل لأنهم فعلوا خلاف ما شاء الرب ، والأيام لا بد أن تكشف هذه الألوان لونا لونا حتى يستكمل عقابهم في الحياة الدنيا . وأما في الآخرة فهم « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون »[٢] .

عشر مرات جرب شعب اسرائيل الرب ، ومع ذلك كفروا وجحدوا ، والرب قد وعد الوعد المشروط بالإيمان لدخول الأرض ، ونشر دعوة التوحيد فيها ، ولكن الكفر قد جعل منهم شعبا عاصيا غليظا قاسيا وعاتيا ، فهم لا يريدون دخول الأرض لأنهم يخافون أهل الأرض ويخشون بأسهم ، وطلب هذا الشعب رجم الرجلين اللذين ذهبا ليتجسسا الأرض ، وعادا « ولكن قال كل الجماعة أن يرجما بالحجارة . ثم ظهر مجد الرب في خيمة الاجتماع لكل بني إسرائيل . وقال الرب لموسى حتى متى يهينني هذا الشعب . وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم . إني أضربهم بالوباء وأبيدهم وأصيرك شعبا أكبر وأعظم منهم . فقال موسى للرب فيسمع المصريون الذين أصعدت بقوتك هذا الشعب من وسطهم . ويقولون لسكان هذه الأرض الذين قد سمعوا أنك يا رب في وسط هذا الشعب الذين أنت يا رب قد ظهرت لهم عينا لعين وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهارا وبعمود نار ليلا . فإن قتلت هذا الشعب كرجل واحد يتكلم الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين لأن الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب إلى الأرض التي حلف لهم قتلهم في القفر . فالآن لتعظم قدرة سيدي كما تكلمت قائلا . الرب طويل الروح كثير الاحسان يغفر الذنب والسيئة لكنه لا يبرىء بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع . اصفح

---

(١) لاويين ٢٦ : ١ ـ ٤٤ .

(٢) البقرة ١٦١ ـ ١٦٢ .

عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك وكما غفرت لهذا الشعب من مصر إلى ههنا . فقال الرب قد صفحت حسب قولك . ولكن حي أنا فتملأ كل الأرض من مجد الرب . إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر وفي البرية وجربوني الآن عشر مرات ولم يسمعوا لقولي لن يروا الأرض التي حلفت لآبائهم . وجميع الذين أهانوني لا يرونها . . . قل لهم حي أنا يقول الرب لأفعلن بكم كما تكلمتم في أذنيّ . في هذا القفر تسقط جثثكم جميع المدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعداً الذين تذمروا علي . لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكننكم فيها . . . وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في القفر . . . أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة عليّ . في هذا القفر يفنون وفيه يموتون »(١) .

الآباء كفروا فأفناهم الرب في القفر ، وهل يكون الأبناء أفضل من الآباء ؟ شر خلف لشر سلف .

ويسير الشعب نحو الأرض ، ويعلمهم موسى أن الرب سيتخلى عنهم في دخولهم ، ولن يكون معهم ، وسينهزمون أمام العمالقة والكنعانيين سكان الأرض الأصليين . وهذا درس من الرب ، يتعلمون منه أنهم بدخولهم الأرض لنشر دعوة التوحيد سيواجهون أهلها مواجهة أصحاب دعوة ورسالة لعابدي الأصنام ، ولن يكون الرب معهم ، بعد أن تكون التجارب الكثيرة والابتلاءات العظيمة قد ربتهم وأعطتهم المناعة التي يحمون بها دعوة الرب وينشرونها في الأرض التي شاء لها الرب أن تطهر من الأصنام تهيئة لها وتمهيدا لدورها الإنساني العظيم .

وستكون نصرة الرب لهم ما نصروا هم الرب ودعوته الموحدة بتحطيم الأصنام في المقام الأول ، وقال لهم موسى « لماذا تتجاوزون قول الرب . . لا تصعدوا . لأن الرب ليس في وسطكم لئلا تنهزموا أمام أعدائكم . لأن العمالقة والكنعانيين هناك قدامكم . تسقطون بالسيف . إنكم قد ارتددتم عن الرب .

---

(١) عدد ١٤ : ١٠ ـ ٣٨ .

فالرب لا يكون معكم . لكنّهُم تجبروا وصعدوا إلى رأس الجبل . . فنزل العمالقة والكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم إلى حرمة »[1] .

وعاند شعب اسرائيل الرب ، وخالفوه في أساس دعوته حين « أقام اسرائيل في شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب . فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهم فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهم . وتعلق إسرائيل ببعل فغورَ . فحمي غضب الرب على إسرائيل . فقال الرب لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرتد حمو غضب الرب عن اسرائيل . فقال موسى لقضاة إسرائيل اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور »[2] .

ويشاء الرب أن يحرم موسى من د خول الأرض عبرة لشعبه ، وعلامة تؤكد شرط الايمان في هذا الشعب حتى يستقر في الأرض : وهذه العلامة بلا شك تنفي تماماً هذا الاستقرار وإن طال وجودهم في هذه الأرض .

أليس الله سبحانه بقادر على أن يدخل موسى تلك الأرض لو كانت مشيئته تقضي بتملك اسرائيل للأرض تملكاً أبديا دون شرط ؟

تقضي حكمة الله سبحانه أن يموت موسى دون أن يدخل تلك الأرض ، لأن دخوله معهم يعني ألا يتخلى الرب عنهم ما دام موسى بينهم ، لأن الله لا يخلف وعده رسله . ولكن مضي الشعب بدون رسول الله تقفهم وجها لوجه مع سكان الأرض ، بل يقف التوحيد أمام الشرك والكفر . ولا بد من الصراع الرهيب بينهما ، إذا كان الموحدون أصحاب الدعوة . مؤمنين حقا . ولكن ما حدث كان غريبا على المنطق البشري ما عدا منطق اسرائيل ؛ فقد ذاب هذا الشعب في عبادة الأصنام ، وتعلقوا بها وعبدوها ، بل إنهم فاقوا عبّاد الأصنام في عبادتهم لها ، فحرمت على موسى عبرة لمن لم يكتب لهم دخولها أبدياً . « قال الرب لموسى اصعد الى جبل

---

(١) عدد ١٤ : ٤١ - ٤٥ .

(٢) عدد ٢٥ : ١ - ٥ .

عباريم هذا وانظر الأرض التي أعطيت بني إسرائيل . ومتى نظرتها تضم إلى قومك أنت أيضا كما ضم هرون أخوك . لأنكما في برية صين عند مخاصمة الجماعة عصيتما قولي أن تقدساني بالماء أمام أعينهم »[1].

ومع كل الوصايا التي أوصى الرب بها اسرائيل لدخول الأرض لنشر الدعوة الموحدة عارضوا وتلكأوا وأخذوا يدورون ويدورون دون أن يجرؤوا على الاقتراب من الأرض لأن فيها قوما أعظم واطول ، والمدن عظيمة ومحصنة الى السماء . وتذمروا ، وتمردوا ، وموسى لا يستطيع أن يدخل القوة الى قلوبهم ، لأن القوة تنبثق عن الايمان ، ولا إيمان عندهم يصدرون عنه « ثم كلمني الرب قائلا كفاكم دوران بهذا الجبل تحولوا نحو الشمال . . »[2].

وموسى يتضرع الى الرب ليدخله الأرض « لكن الرب غضب علي بسببكم ولم يسمع لي بل قال لي الرب كفاك . لا تعد تكلمني أيضا في هذا الأمر » .[3]. ولن يدخل موسى الأرض ، وعلى شعب اسرائيل أن يدخل ولن يؤمنوا ، يقول موسى : « فالآن يا اسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التي أنا أعلمكم لتعلموها لكي تحيوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي الرب إله آبائكم يعطيكم . لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به ولا تنقصوا منه لكي تحفظوا وصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها . أعينكم قد أبصرت ما فعله الرب ببعل فغور . إن كل من ذهب وراء بعل فغور أباده الرب إلهكم من وسطكم . وأما أنتم الملتصقون بالرب إلهكم فجميعكم أحياء اليوم . انظر . قد علمتكم فرائض وأحكاما كما أمرني الرب إلهي لكي تعملوا هكذا في الأرض التي أنتم داخلون إليها لكي تمتلكوها . فاحفظوا واعملوا . لأن ذلك حكمتكم وفطنتكم أمام أعين الشعوب الذين يسمعون كل هذه الفرائض فيقولون هذا الشعب العظيم إنما هو شعب حكيم وفطن . لأنه أي شعب هو عظيم له آلهة قريبة منه كالرب إلهنا في كل أدعيتنا إليه . وأي شعب

---

(١) عدد ٢٧ : ١٢ - ١٤ .

(٢) تثنية ٢ : ٣ .

(٣) تثنية ٣ : ٢٦ .

هو عظيم له فرائض وأحكام عادلة مثل هذه الشريعة التي أنا واضع أمامكم اليوم .

إنما احترز واحفظ نفسك جدا لئلا تنسى الأمور التي أبصرت عيناك ولئلا تزول من قلبك كل أيام حياتك وعلمها أولادك وأولاد أولادك . في اليوم الذي وقفت فيه أمام الرب إلهك في حوريب حين قال لي الرب اجمع لي الشعب فأسمعهم كلامي لكي يتعلموا أن يخافوني كل الأيام التي هم فيها أحياء على الأرض ويعلموا أولادهم . فتقدمتم ووقفتم في أسفل الجبل والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب . فكلمكم الرب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوتا . **وأخبركم بعهده الذي أمركم أن تعملوا به الكلمات العشر** وكتبه على لوحي حجر . وإياي أمر الرب في ذلك **الوقت أن أعلمكم فرائض وأحكاما لكي تعملوها في الأرض التي أنتم عابرون إليها لتمتلكوها** . فاحتفظوا جدا لأنفسكم . فإنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب في حوريب من وسط النار . لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالاً منحوتا صورة مثَال ما شبه ذكر أو أنثى . شبه بهيمة ما مما على الأرض . شبه طير ما ذي جناح مما يطير في السماء . شبه دبيب ما على الأرض شبه سمك مما في الماء من تحت الأرض . ولئلا ترفع عينيك إلى السماء وتنظر الشمس والقمر والنجوم كل جند السماء التي قسمها الرب إلهك لجميع الشعوب التي تحت كل السماء فتغتر وتسجد لها وتعبدها . وأنتم قد أخذكم الرب وأخرجكم من كور الحديد من مصر لكي تكونوا له شعب ميراث كما في هذا اليوم . وغضب الرب عليّ بسببكم وأقسم إني لا أعبر الأردن ولا أدخل الأرض الجيدة التي الرب إلهك يعطيك نصيبا . فأموت أنا في هذه الأرض لا أعبر الأردن . وأما أنتم فتعبرون وتمتلكون تلك الأرض الجيدة . احترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذي قطعه معكم وتصنعوا لأنفسكم تمثالاً منحوتا . صورة كل ما نهاك عنه الرب إلهك »[1] .

واسرائيل لن يحفظوا العهد ولن يفوا بأمانة السماء ولن يرعوها ، والله

---

(١) تثنية ٤ : ١ - ٢٣ .

سبحانه وتعالى يعلم ـ وهو خير العالمين ـ أن اسرائيل لن يؤمنوا بالله الواحد ، ولن يؤدوا فرائضه ويحفظوا أحكامه ووصاياه ، لذلك فهو سبحانه يعلمهم مسبقا بما سيفعلونه في الأرض التي كتب عليهم أنهم لن يمتلكوها إلى الأبد ، لأنهم خانوا العهد وجحدوه وكفروا وأشركوا بالله .

وهو سبحانه قد وعدهم وعدا يعلم سبحانه أن ثمين هذا الوعد هو المستحيل ، مما لا يستطيعه هذا الشعب الغليظ الرقبة ، لذلك كان مستقبلهم الذي كتب في علم الغيب هو ما أعلمهم به الرب « إذا ولدتم أولادا وأولاد أولاد وأطلتم الزمان في الأرض وفسدتم وصنعتم تمثالاً منحوتا صورة شيء ما وفعلتم الشر في عيني الرب إلهكم لإغاظته . أشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعاً عن الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها لا تطيلون الأيام عليها بل تهلكون لا محالة . ويبددكم الرب في الشعوب فتبقون عددا قليلا بين الأمم التي يسوقكم الرب إليها . وتصنعون هناك آلهة صنعة ايدي الناس من خشب وحجر مما لا يبصر ولا يسمع ولا يأكل ولا يشم »[1] .

لقد اكتسب شعب اسرائيل في رحلته عبر التاريخ في عهود أنبيائه ، تجارب عظيمة أراد الرب أن تكون لهم صلابة تحصنهم ضد الشرك وعبادة الوثن . ولكن هذه استحالت فيهم إلى قساوة قلوب وإلى غلاظة رقاب ، وإلى لجاجة وعناد ومشاكسة ، وانقلبوا بذلك كله على الرب خالقهم وخالق السموات والأرض .

وقد كان أولئك أول شعب يحمّلون أمانة التوحيد في رسالة مكتوبة من السماء ، وقد كان الأقوام قبلهم يُدْعَون الى التوحيد مشافهة من أنبيائهم الذين أرسلهم الرب إليهم ، وكانت نتيجة تلك الأقوام التي كفرت العذاب والإبادة والفناء ، وليس قوم نوح وهود وصالح ولوط وسواهم إلا بعض تلك الأقوام .

وكان شعب اسرائيل بن اسحق ابراهيم ، وكان من اولئك المحسن والظالم

---

(١) تثنية ٤ : ٢٥ ـ ٣٠ .

لنفسه ، وقد أرسل إليهم العدد الجم من الأنبياء وليس ذلك إلا لعنادهم وعصيانهم وفسوقهم ، وقد مروا في حياتهم مع أنبيائهم بتجارب وآيات وعجائب ، انتهت بهم الى تضييع الأمانة مع كل تلك العجائب ، فقد كفروا وأشركوا وصنعوا كل ما حرم الرب عليهم ، وكأن محرماته هي الحلال عندهم ، وأما الحلال فقد أنكروه وأوّلوه وزيفوه ، وصموا عن سماع وصية الرب التي تدعوهم في المقام الأول إلى توحيده وهو الواحد الاحد خالق السموات والأرض ، ولكن ظل أولئك في طغيانهم يعمهون .

« فاسأل عن الأيام الأولى التي كانت قبلك من اليوم الذي خلق فيه الانسان على الأرض ومن أقصاء السماء إلى أقصائها هل جرى مثل هذا الأمر العظيم أو هل سمع نظيره . هل سمع شعب صوت الله يتكلم من وسط النار كما سمعت أنت وعاش . أو هل شرع الله أن يأتي ويأخذ لنفسه شعبا من وسط شعب بتجارب وآيات وعجائب وحرب ويد شديدة وذراع رفيعة ومخاوف عظيمة مثل كل ما فعل لكم الرب إلهكم في مصر أمام أعينكم . **إنك قد أريت لتعلم أن الرب هو الإله . ليس آخر سواه** . من السماء أسمعك صوته لينذرك . وعلى الأرض أراك ناره العظيمة وسمعت كلامه من وسط النار . ولأجل أنه أحب آباءك واختار نسلهم من بعدهم أخرجك بحضرته بقوته العظيمة من مصر لكي يطرد من أمامك شعوبا أكبر وأعظم منك ويأتي بك ويعطيك أرضهم نصيبا كما في هذا اليوم . فاعلم اليوم وردد في **قلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه** . واحفظ فرائضه ووصاياه التي انا أوصيك بها اليوم لكي يحسن اليك وإلى أولادك من بعدك »[1] .

سمع اسرائيل صوت الرب ، ورأى ناره العظيمة وسمع كلامه من وسط النار ، وجاء لهم بآيات وعجائب ، ومع هذا لم يؤمنوا وهل يكون بعد الرب من أمل في رسول أو نبي . العدد الكبير من الأنبياء الذين أرسلوا الى بني اسرائيل لم

---

(١) تثنية ٤ : ٣٣ ـ ٤٠ .

يستطيعوا ان يجنوا شيئاً من خير منهم . فما الأمل بعد ذلك بل ما الرجاء في مثل هذا الشعب الذي مات رسولهم موسى وهو يدعوهم ويهديهم ، ولكن بلا استجابة منهم .

الأنبياء جميعاً يعرفون ما هو في علم الغيب من أن شعب اسرائيل لن يؤمنوا ، ويعلمون انهم سيعبدون الصنم .

وموسى لا يتوانى ينتقل إليهم كلام الرب مباشرة ، وكلها تدعوهم الى عبادة الله وحده ، وهي في مجموعها تنذرهم وتتوعدهم اذا هم عبدوا الصنم دون الرب . « لا يكن لك آلهة أخرى امامي ، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً صورة ما مما في السماء من فوق ومما في الأرض من أسفل وما في الماء من تحت الأرض . لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور »[١] .

أراد الرب ان يكون اسرائيل أول الدعاة إلى التوحيد من خلال وصايا مكتوبة وفرائض محررة لنشرها في الأرض التي هم عابرون إليها . وهي ارض اختصت منذ الأزل بروحانية خاصة بها هي نواة للتوحيد المطلق المرتقب .

وكانوا يؤكدون لموسى أنهم سيعملون بوصايا الرب ولكن بألسنتهم دون قلوبهم ، لأن قلوبهم غلف ، والرب يعلم ذلك فيهم فيقول لموسى « ياليت قلبهم كان هكذا فيهم حتى يتقوني ويحفظوا جميع وصاياي كل الأيام . . . وأما انت فقف هنا معي فأكلمك بجميع الوصايا والفرائض والأحكام التي تعلمهم فيعلمونها في الأرض التي انا اعطيكم ليتملكوها فاحترزوا لتعملوا كما أمركم الرب إلهكم . لا تزيغوا يمينا ولا يساراً. في جميع الطريق التي أوصاكم بها الرب إلهكم تسلكون لكي تحيوا ويكون لكم خير وتطيلوا الأيام في الأرض التي تمتلكونها .

اسمع يا اسرائيل . الرب إلهنا رب واحد . فتحبّ الرب إلهك من كل قلبك

---

(١) تثنية ٥ : ٧ - ٩

ومن كل نفسك ومن كل قوتك [1] » .

ويعلم الرب أن اسرائيل سيضيعون وصاياه حين يعبرون الى الأرض وسينسيهم الربَّ ما سيجدونه في ارض كنعان ، أرض فلسطين . فلقد نسوا الرب قبل دخولهم ومنذ أن أخرجهم من مصر ، لقد نسوا الرب مع كل نعمة أعطوها ، ومع كل آية ومعجزة ، وهم سينسونه مع خيرات فلسطين التي قدرها الله لتكون لهم امتحانا وابتلاء في إيمانهم ، هكذا هم من خلال توراتهم وفي تاريخهم الطويل وحاضرهم ، ينسون الرب مع النعم ويتذكرونه حين تنزل بهم النوائب ، ولكن ليعودوا إلى الكفر والضلال سريعاً بعد ان تنقشع هذه المصائب عنهم .

« ومتى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي حلف لآبائك ابراهيم واسحق ويعقوب أن يعطيك . إلى مدن عظيمة جيدة لم تبنها . وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها وآبار محفورة لم تحفرها وكروم وزيتون لم تغرسها وأكلت وشبعت . فاحترز لئلا تنسى الرب الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية . الرب إلهك تتقي وإياه تعبد وباسمه تحلف . لا تسيروا وراء الهة اخرى من الهة الأمم التي حولكم . لأن الرب إلهكم إله غيور في وسطكم لئلا يحمي غضب الرب إلهكم عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض . . . احفظوا وصايا الرب إلهكم وشهاداته وفرائضه التي أوصاكم بها . واعمل الصالح والحسن في عيني الرب لكي يكون لك خير وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التي حلف الرب لآبائك . [2] .

ورغم التجارب الكثيرة في برية سيناء بقي الشعب على ما هو عليه ـ عصيان وتمرد وعناد ، بقوا جامدين ومتجمدين عند حدود القبيلة التي بدأوا منها دون ان يكون للهداية اي مكان بينهم « جميع الوصايا التي انا أوصيكم بها اليوم تحفظون لتعملوها لكي تحيوا وتكثروا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم . وتتذكر كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة في القفر لكي يذلك ويجربك ليعرف ما في قلبك أتحفظ وصاياه أم لا . فأذلّك وأجاعك وأطعمك

---

(١) تثنية ٥ : ٢٩ ـ ٣٣ ـ و ٦ : ٤

(٢) تثنية ٦ : ١٠ ـ ١٩

المن الذي لم تكن تعرفه ولا عرفه بآؤك لكي يعلمك انه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الانسان . ثيابك لم تبل عليك ورجلك لم تتورم هذه الأربعين سنة . فاعلم في قلبك انه كما يؤدب الإنسان ابنه قد أدبك الرب إلهك . واحفظ وصايا الرب إلهك لتسلك في طرقه وتَتَّقيه . لأن الرب إلهك آت بل إلى أرض جيدة أرض أنهار من عيون وغمار تنبع في البقاع والجبال . . احترز من أن تنسى الرب إلهك ولا تحفظ وصاياه وأحكامه وفرائضه التي انا أوصيك بها اليوم لئلا إذا أكلت وشبعت وبنيت بيوتاً جيدة وسكنت . وكثرت بقرك وغنمك وكثرت لك الفضة والذهب وكثر كل مالك ، يرتفع قلبك وتنسى الرب إلهك ... ولئلا تقول في قلبك قوتي وقدرة يدي اصطنعت لي هذه الثروة . بل اذكر الرب إلهك أنه هو الذي يعطيك قوة لاصطناع الثروة لكي يفي بعهده الذي اقسم به لآبائك كما في هذا اليوم . وإن نسيت الرب إلهك وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها أشهد عليكم اليوم أنكم تبيدون لا محالة »[1] .

وكانت وصايا الرب تتتابع وتتلاحق بسرعة كلما اقترب اسرائيل من عبور الاردن إلى الارض . وكأن الرب يريد ان يذكرهم بأعظم وصاياه حتى آخر لحظة في رحلتهم هذه ، وهي الوصية التي كانت الشرط الفاصل بينهم في تحقيق الوعد .

والوعد بهذا الامتلاك ليس نتيجة اختيار او اصطفاء لشعب اسرائيل ، بل بسبب إثم الشعوب التي تسكن تلك الأرض التي تهيأ للخلود والتوحيد. والامتلاك ليس امتلاك الارض مع لقاء هذا الشعب مشركاً وإنما هو امتلاك لنشر دعوة التوحيد.

ولو لم يكن الامتلاك مشروطاً بالتوحيد لبقيت تلك الأقوام التي ذكرت التوراة أن الرب قد ملكها ارضاً ميراثا لها مثل قوم لوط وقوم عيسو أخي يعقوب بن اسحق.

نقرأ في التوراة أن الرب قال لموسى « وأوص الشعب قائلاً . أنتم ما رون

(١) تثنية٨ : ١ ـ ٧ ، ١١ ، ١٤ ، ١٧ ـ ٢٠

بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعير فيخافون منكم فاحترزوا جداً . لا تهجموا عليهم . لأني لا اعطيكم من أرضهم ولا وطأة قدم لأني لعيسو قد اعطيت جبل سعير ميراثا»[1] .

ومن هذه الوصية تقول التوراة « فقال لي الرب لا تعاد موآب ولا تُثْره عليهم حربا لأني لا اعطيك من أرضهم ميراثا . لأني لبني لوط قد اعطيت عارَ ميراثا»[2] .

فالميراث للأرض لا يعني امتلاك اسرائيل لأنها اسرائيل ـ لها ، ولكنه امتلاك لله عن طريق اسرائيل التي شاء الرب ان تكون بداية التوحيد ، والعلم الإلهي أنها لن تفي بدعوة الرب وأمانته .الأرض إذن لله، لرسالة السماء، وللتوحيد ، ورفع راية لا إله إلا الله ، لأن الأرض في النهاية لله يرثها من عباده الصالحون « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»[3] .

وما دام التوحيد والايمان هو الشرط فإن ميراث الله لا يدوم فيمن كفر وأشرك ، والله سبحانه يقول في اسرائيل الذين كان لهم من الآيات ما فيه بلاء مبين « كذلك وأورثناها بني اسرائيل»[4] . وما دام شرط الميثاق قد استحال عليهم يقول سبحانه « كذلك وأورثناها قوماً آخرين»[5] .

ولقد تأكد عدم تحقيق الشرط من ذلك الشعب ، وذلك معلوم عند الله سبحانه ، ومعلوم كفرهم وشركهم وعنادهم فيما هو حق « ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين . من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين. ولقد اخترناهم على علم على العالمين . وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين. إن هؤلاء ليقولون. إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين . فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين. أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين. وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين . وما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون . إن

---

(١) تثنية ٢ : ٤ ـ ٥
(٢) تثنية ٢ : ٩
(٣) الأعراف ١٢٨
(٤) +الله‹ ٥٩
(٥) الدخان ٢٨

يوم الفصل ميقاتهم أجمعين»[١].

الأرض ميراث لمن يؤمن ، كما ان الشعب المؤمن هو ميراث الله . وقد افترض أنبياء اسرائيل ورسلهم في هذا الشعب ان يؤمنوا وقال لهم موسى « الذي بلّغهم دعوة التوحيد يا سيد» الرب لا تهلك شعبك وميراثك الذي فديته بعظمتك الذي اخرجته من مصر بيد شديدة . اذكر عبيدك إبراهيم وإسحق ويعقوب . لا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيته . لئلا تقول الأرض التي أخرجتنا منها لأجل ان الرب لم يقدر ان يدخلهم الارض التي كلمهم عنها ولأجل انه أبغضهم أخرجهم لكي يميتهم في البرية . وهم شعبك وميراثك»[٢].

والايمان بالله رأس كل الفضائل ، وشرط الميثاق هو ألا يقوم الإيمان على التوحيد المجرد عن التطبيق العملي في النفس والجماعة . فقد جاء رجل الى رسول الله محمدﷺ يسأله عمّا يجب ان يعمله ليكون مؤمناً إيمانا صحيحاً فقال له الرسول (ص) قل آمنت بالله ثم استقم» .

وهذا الايمان المقترن بالاستقامة . فصّلته التوراة لشعب اسرائيل الغليظ الرقبة من خلال موسى رسولهم حيث يقول لهم « وأنا مكثت في الجبل كالأيام الأولى اربعين نهاراً وأربعين ليلة ، وسمع الرب لي تلك المرة ايضاً ولم يشأ الرب أن يُهلك. ثم قال لي الرب قم اذهب للارتحال امام الشعب فيدخلوا ويمتلكوا الأرض التي حلفت لآبائهم ان اعطيهم .

فالآن يا اسرائيل ماذا يطلب منك الرب إلهك إلا أن تتقي الرب إلهك لتسلك في كل طرقه وتحبه وتعبد الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك . وتحفظ وصايا الرب وفرائضه التي أنا أوصيتك بها اليوم لخيرك . هوذا للرب إلهك السموات وسماء السموات والأرض وكل مافيها . ولكن الرب إنما التصق بآبائك

---

(١) الدخان ٣٠ ـ ٤٠

(٢) تثنية ٩ : ٢٦ ـ ٢٩

ليحبهم فاختار من بعدهم نسلهم الذي هو أنتم فوق جميع الشعوب كما في هذا اليوم . فاختتنوا غرلة قلوبكم ولا تصلبوا رقابكم بعد . لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب الإله العظيم الجبار المهيب الذي لا يأخذ بالوجوه ولا يقبل رشوة الصانع حق اليتيم والأرملة والمحب الغريب ليعطيه طعاماً ولباساً. فأحبوا الغريب لأنكم كنتم غرباء في ارض مصر . الرب إلهك تتقي . إياه تعبد وبه تلتصق وباسمه تحلف. هو فخلأك وهو إلهك الذي صنع معك تلك العظائم والمخاوف التي أبصرتها عيناك.

فأحببت الرب إلهك واحفظ حقوقه وفرائضه وأحكامه ووصاياه كل الأيام .

فإذا سمعتم لوصاياي التي أنا أوصيتكم بها اليوم لتحبوا الرب إلهكم وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم . اعطي مطر أرضكم في حينه المبكر والمتأخر. فاحترزوا من أن تنغوي قلوبكم فتزيغوا وتعبدوا آلهة اخرى وتسجدوا لها . فيحمى غضب الرب عليكم ويغلق السماء فلا يكون مطر ولا تعطي الأرض غَلَّتها . فبيدون سريعاً عن الأرض الجيدة التي يعطيكم الرب»[1].

لقد بات الشرط واضحاً ، والميثاق بين الرب واسرائيل لن يمضي مالم يتحقق هذا الشرط . لقد وضعهم الرب أمام طريقين لا وسط بينهما ، ووضع الشرط الذي لا يقبل المساومة ، ولاوسط بين الايمان والكفر ، أو بين الحق والباطل ، أو بين الخير والشر ، فإما هذا وإما ذاك ، لذلك كانت وصية الرب لاسرائيل بلسان موسى « انظر . أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة . البركة إذا سمعتم لوصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها اليوم .واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم وزغتم عن الطريق التي أنا وصيكم بها اليوم لتذهبوا وراء آلهة اخرى لم تعرفوها»»[2].

وتذكر التوراة حدود الأرض التي يدعونها ، وهذه « من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم»[3] .

---

(١) تثنية ١٠ : ١٢ ـ ٢٢ و ١١ : ١ ، ١٣ ـ ١٧

(٢) تثنية ١١ : ٢٦ ـ ٢٨

(٣) تثنية ١١ : ٢٤

بل ان التوراة تفصل هذه الحدود تفصيلاً يشمل الأرض العربية كلها . ولكن قلب هذه الأرض هي فلسطين.

ومن خلال هذه الحدود التي تشدد عليها التوراة. نرى ان هذه الأرض هي التي شهدت نزول رسالات السماء كلها ، والتي شاء الله سبحانه أن تكون مهد الديانات التي يكمل بعضها بعضا حتى تكتمل برسالة الاسلام ورسولها محمدﷺ .

ومن ثم تكون هذه الارض منطلق الاسلام ، دين السماء والأرض الخالد إلى البشرية جمعاء .

وهذا يعكس ملحماً توراتيا ذلك هو الأطماع الصهيونية ليس في الأرض العربية، وإنما في كل الارض المسلمة في المقام الأول ،وذلك يفسر خريطة صهيون الجديدة التي أوجدوها بعد حرب لبنان ووزعوها على صحفيي العالم ، وهي تشمل الحدود التي تصل الى تركيا وأفغانستان وباكستان .

وهذا بلا شك يرمي الى هدم الاسلام والأديان ، لتسهل عليهم ـ كما يظنون ـ إقامة مملكة الكهانة التي يحلمون بها .

ولو وضعنا هذا كله في منطق توراتهم لأدركنا دون شك أن الرب حين وعدهم بالأرض التي قدروها إنما كان ذلك لنشر التوحيد بالقضاء على الأصنام وإن القوة الوحيدة الجبارة التي ستخضع شعوب هذه الأرض وتحطم أصنامهم هو الايمان .

ولكن الكفر الذي سير اسرائيل في ذلك الوقت هو ما قهرهم وملأ نفوسهم بالجبن والهلع من دخول الأرض، وبخاصة بعد ان تجسسوا على الأرض وعلموا أن اهلها عمالقة ، وبيوتهم محصنة ومدنهم عظيمة . .

وكان وصول اسرائيل الى حدود نهر الأردن وهم على ما هم عليه من الكفر قد أكد لهم انهم لم ينجحوا في امتحان الرب لهم مع آياته العظيمة وعجائبه الهائلة . وأثبت لهم أن الكفر قد جرى فيهم مجرى الدماء . وحرمت على هرون

وموسى دخول الأرض، وأعلن لهم موسى ان الرب قد تخلى عنهم ، وكانت نتيجة ذلك آنئذ انهزامهم أمام الفلسطينيين والكنعانيين .

وبقي الوعد المشروط قائماً، وهو أنهم سيدخلون الأرض ولكن لن يكون فيهم تلك القوة التي قال الرب إنها ستهزم اعداءهم ، هزيمة الإيمان للكفر . ولكن فلم يكن بنو اسرائيل المؤمنين كما ارادهم الرب، فقد عبدوا أصنام الأرض، بل فاقوا اولئك في هذه العبادة والشرك.

وكانت بعد رسالة موسى رسالة موحدة اخرى هي رسالة عيسى ، وقد كانت مكملة للناموس الأول ، وهي في الوقت ذاته الممهدة لما يليها ، رسالة محمد ﷺ ، وقد انبثقت من أرض التوحيد الاول ، أرض مكة وابراهيم واسماعيل، وشاء الله سبحانه أن يربط بين اطراف هذه الأرض العربية المقدسة فكانت رحلة محمد ﷺ من مكة الى المسجد الأقصى في رحلة الاسراء . إشعاراً بأنها الأرض التي قدست وطُهرِّت برسلات السماء ، وإعلانا بأنها ميراث الأمة الموحدة ابد الدهر. وتوحيد هذه الأمة هو التوحيد المطلق الذي لا يشوبه شرك مهما كان نوعه . واعلن القرآن الكريم ان « الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد» رداً على ما شاب رسالتي موسى وعيسى .

ونعود إلى التوراة،وإلى الوعد المشروط بالإيمان المطلق الذي تزلزل له الجبال وتدك به معاقل الكفر . وهو ليس إيمان اسرائيل بحال،لأنهم ما آمنوا بموسى ولا برب موسى . فكان الجبن والهلع بعض ما جبلت عليه طباعهم ، وكان الكفر عنوانهم ، ولم يستطع انبياؤهم الكثيرون ، ولم يقدر موسى ان يزحزح قلوبهم عن كفرها لأن من يضلل الله فلا هادي له .

« هذه هي الفرائض والأحكام التي تحفظون لتعملوها في الأرض التي أعطاك الرب إله آبائك لتمتلكها . . تخربون جميع الأماكن حيث عبدت الأمم التي ترثونها آلهتها على الجبال الشامخة وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء . وتهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتحرقون سواريهم بالنار وتقطعون تماثيل

آلهتهم وتمحون اسمهم من ذلك المكان . لا تفعلوا هكذا للرب إلهكم »[1] .

ويعلم موسى إسرائيل وهم على حدود الأردن أنهم سيعبدون صنم الأرض ، لأن تاريخهم الطويل منذ خروجهم من مصر يشهد عليهم اعوجاج طباعهم وقساوة قلوبهم .

« متى قرض الرب إلهك من أمامك الأمم الذين أنت ذاهب إليهم لترثهم وورثتهم وسكنت أرضهم . فاحترز من أن تصاد وراءهم من بعد ما بادوا من أمامك . ومن أن تسأل عن آلهتهم قائلاً كيف عبد هؤلاء الأمم آلهتهم . أيضاً أفعل هكذا فأنا لا تعمل هكذا للرب إلهك لأنهم قد عملوا لآلهتهم كل رجس لدى الرب مما يكرهه إذا أحرقوا حتى بنيهم وبناتهم بالنار لآلهتهم. كل الكلام الذي أوصيكم به احرصوا لتعملوه. لا تزد عليه ولا تنقص منه »[2] .

وسيمتحن شعب إسرائيل من الرب بعد دخولهم الأرض ، وهي امتحانات تكشف عن مدى وفائهم بشرط الرب « إذا قام في وسطك نبيّ أو حالم حلماً وأعطاك آية أو أعجوبة . ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلاً لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم . وراء الرب إلهكم تسيرون وإياه تتقون ووصاياه تحفظون وصوته تسمعون وإياه تعبدون وبه تلتصقون . وذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم يقتل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر وفداكم من بيت العبودية لكي يطوحكم عن الطريق التي أمركم الرب إلهكم ان تسلكوا فيها . فتنزعون الشر من بينكم »[3] .

فالكافر يقتل في شرائع السماء ، والمرتد يقتل حسبما جاء في دعوة

(١) تثنية ١٢ : ١ ـ ٤ .

(٢) تثنية ١٢ : ٢٩ ـ ٣٣ .

(٣) تثنية ١٣ : ١ ـ ٥ .

التوحيد . فالكفر يفرق بين المرء وابنه إن كان أحدهما مؤمناً والآخر كافراً ، والإيمان هو الذي يجمع البشر ، والهداية هي التي توحدهم .

هذا هو الأصل في رسالات السماء بدءاً بموسى ومروراً بعيسى وانتهاء . ﷺ . ولكن بني إسرائيل زاغوا فأزاغ الله قلوبهم « وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين »[1] .

يقول موسى لشعبه في وصايا الرب لهم « وإذا أغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها . فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترقّ له ولا تستره . بل قتلا تقتله . يدك تكون عليه أولاً لقتله ثم أيدي جميع الشعب اخيراً ترجمه بالحجارة حتى يموت . لأنه التمس أن يطوحك عن الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية فيسمع جميع اسرائيل ويخافون . ولا يعودون يعملون مثل هذا الأمر الشرير في وسطك »[2] .

وكانت وصايا الرب لأول شعب حُمِّل التوحيد ثم لم يحمله ، وكان وعده لهم ، وكان رد الشعب أنهم سيفون بالشرط . وهكذا نرى من خلال التوراة ،وعداً يعلم الرب أنه لن يتحقق ، لأن الشرط وهو الإيمان معدوم في نفوس القوم وقلوبهم . هكذا قال موسى لهم :

« هذا اليوم قد أمرك الرب إلهك أن تعمل بهذه الفرائض والأحكام فاحفظ واعمل بها من كل قلبك ومن كل نفسك . قد واعدت الرب اليوم ان يكون لك إلهاً وأن تسلك في طرقه وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وتسمع لصوته . واعدك

---

(١) الصف ٥ .

(٢) تثنية ١٣ : ٦ - ١١ .

الرب اليوم أن تكون له شعباً خاصاً كما قال لك وتحفظ جميع وصاياه »[1] .

ولم يترك رب إسرائيل داء إلا هيأه لهم إن هم لم يفوا بشرطه ، ولن يفوا به « ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا موصيك بها اليوم تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك . ملعونا تكون في المدينة وملعونا تكون في الحقل . ملعونة تكون سلتك ومعجنك . ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك نتاج بقرك وإناث غنمك . ملعونا تكون في دخولك وملعونا تكون في خروجك . يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أفعالك إذ تركتني . يلصق بك الرب الوبأ حتى يبيدك عن الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها . يضربك الرب بالسل والحمى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتبعك حتى تفنيك . وتكون سماؤك التي فوق رأسك نحاساً والأرض تحتك حديداً . . يجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك . في طريق واحدة تخرج عليهم وفي سبع طرق تهرب امامهم وتكون قلقاً في جميع ممالك الأرض . . يضربك الرب بقرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكة حتى لا تستطيع الشفاء . يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب . ثمر أرضك وكل تعبك يأكله شعب لا تعرفه فلا تكون إلا مظلوماً ومسحوقاً كل الأيام . . الغريب الذي في وسطك يستعلي عليك متصاعداً وأنت تحطُّ متنازلاً . وتأتي عليك جميع هذه اللعنات وتتبعك وتدركك حتى تهلكك لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحفظ وصاياه وفرائضه التي أوصاك بها . . »[2] .

والعقاب دائماً واحد لا يتغير ، وهو عقاب التبديد والخوف والقلق على مدى تاريخهم الطويل ، ولن تقوم لهم قائمة كما يذكر رب التوراة ـ وإن تعسفوا وتعسف العالم معهم في خلق دويلة موزعة أهواء أهلها . مشتتة قلوبهم ، لأن قول الله سبحانه وحكمه قد مضى فيهم « بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى[3] » .

(١) تثنية ٢٦ : ١٦ ـ ١٩ .

(٢) تثنية ٢٨ : ١٥ ـ ٢٩ ، ٤٣ ، ٤٥ ـ ٤٦ .

(٣) الحشر ١٤ .

ولا راد لحكم الله في اسرائيل « وإذا أراد بقوم سوءاً افلا مرد له ومالهم من دون من وال »[1] . وهم لابد سيستأصلون من الأرض التي ادعوها ويدعونها « وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم فتُستّأصلون من الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها. ويبددك الـرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض الى أقصائها وتعبد هناك آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من خشب وحجر. وفي تلك الأمم لا تطمئن ولا يكون قرار لقدمك بل يعطيك الرب هناك قلباً مرتجفاً وكلال العينين وذبول النفس . وتكون حياتك معلقة قدامك وترتعب ليلا ونهاراً ولا تأمن على حياتك. في الصباح تقول ياليته المساء وفي المساء تقول ياليته الصباح من ارتعاب قلبك الذي ترتعب ومن منظر عينيك الذي تنظر . ويردك الرب إلى مصر في سفن في الطريق التي قلت لك لا تعد تراها فتباعون هناك لأعدائك عبيدا وإماء وليس من يشتري»[2] .

ويكون شعب اسرائيل بما تنصب عليه من لعنات الرب محور الأحاديث والتساؤلات . وهي تساؤلات تخوض فيها الأمم التي يعيش فيها مجموعات شعب اسرائيل . ولعنة التبديد هو ما خاضت فيه اسرائيل وبحثتها ودرستها ، وشكلت لأجلها المؤتمرات . وكانت النتيجة التي خلصوا اليها هو أن تبديد شعب اسرائيل وتشتيته في العالم نعمة إلهية ينتشر معها الشعب في كل الأرجاء من العالم ليكونوا سبب صلاح هذا العالم .

فقد خطر لبعض مصلحي اسرائيل أن يعالجوا شعبهم من أدوائهم ودعاواهم فجمعوا مؤتمر الإصلاح المشهور في فيلادلفيا بأمريكا سنة ١٨٦٩ م . وكتبوا برنامج الإصلاح على حسب العقيدة العصرية التي تليق بالمعاصرين . فإذا بالمادة الثانية منه تقول « نحن لا ننظر إلى خراب المجتمع اليهودي الثاني كأنه عقوبة لإسرائيل على خطاياها ، ولكننا ننظر إليه كأنه نتيجة التدبير الإلهي الموحى به إلى

---

(١) الرعد ١١ .

(٢) تثنية ٢٨ : ٦٣ - ٦٨ .

إبراهيم والذي اتضح جليّاً في سياق التاريخ . وغايته نشر اليهود في جوانب الأرض لتحقيق رسالة الكهانة العليا وقيادة الأمم إلى العلم الصحيح بعبادة الله »[1] .

والإله الذي يدعون إليه ويسعون إلى جر العالم إلى عبادته هو بلا شك إلههم الذي تعودوا أن يصنعوه بأيديهم من الذهب أو الفضة أو الحجر أو الخشب . . هكذا . إنهم يرمون إلى القضاء على الأديان وإرجاع العالم إلى وثنية القرون الغابرة . ولكن الله خالق السموات والأرض لهم بالمرصاد « ولا يحسبن الذين كفروا أنّما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مُهين »[2] .

« ويقول جميع الأمم لماذا فعل الرب هكذا بهذه الأرض . لماذا حمّو هذا الغضب العظيم . فيقولون لأنهم تركوا عهد الرب إله آبائهم الذي قطعه معهم حين أخرجهم من أرض مصر وذهبوا وعبدوا آلهة أخرى وسجدوا لها . آلهة لم يعرفوها ولا قسمت لهم . فاشتعل غضب الرب على تلك الأرض حتى جلب عليها كل اللعنات المكتوبة في هذا السفر . واستأصلهم الرب من أرضهم بغضب وسخط وغيظ عظيم وألقاهم إلى أرض أخرى كما في هذا اليوم »[3] . وهذا اليوم هو عهد السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد .

وليست كلمة الإيمان عسيرة على الذين تلين قلوبهم لذكر الله ، ولكنهم باتوا مثلاً في الكفر وقسوة القلوب « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون »[4] .

« إن هذه الوصية التي أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك .

---

(١) عباس العقاد : الصهيونية وقضية فلسطين ٣٣٢ .

(٢) آل عمران ١٧٨ .

(٣) تثنية ٢٩ : ٢٤ ـ ٢٨ .

(٤) الحديد ١٦ .

ليست هي في السماء حتى تقول من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها . ولا هي في عبر البحر حتى تقول من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها . بل الكلمة قريبة منك جداً في فمك وفي قلبك لتعمل بها .

انظر . قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر بما أني أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك في طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكي تحيا وتنمو ويباركك الرب إلهك في الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها . فإن انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها فإني أنبئكم اليوم أنكم لا محالة تهلكون لا تطيل الأيام على الأرض التي أنت عابر الأردن لكي تدخلها وتمتلكها . أشهد عليكم السماء والأرض »[1] .

وعلى بني إسرائيل كما شاء الرب أن يدعوا إلى التوحيد المطلق، وأن يبلغوا الوصايا التي أمرهم موسى بها ، وتبليغها لا يكون لشعب إسرائيل فحسب ، وإنما لكل غريب بينهم يعبد الوثن وكانت آخر وصية موسى أن تقرأ هذه الوصايا في جمع اسرائيل والغرباء حين يجتمعون « في نهاية السبع السنين في ميعاد سنة الإبراء في عيد المظال . حينما يجيء جميع إسرائيل لكي يظهروا أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره تقرأ هذه التوراة أمام كل اسرائيل في مسامعهم . اجمع الشعب الرجال والنساء والأطفال والغريب الذي في أبوابك لكي يسمعوا ويتعلموا أن يتقوا الرب إلهكم ويحرصوا ان يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة . وأولادهم الذين لم يعرفوا يسمعون ويتعلمون أن يتقوا الرب إلهكم كل الأيام التي تحيون فيها على الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها »[2] .

شريعة موسى الحقيقة التي ضيعها أهلها وحرفوا ما بقي منها تدعو إلى التبشير بها . ونشرها ليعمل بها من يبلّغُها ، وهي في جوهرها الإيمان بالله الواحد الأحد ،

---

(١) تثنية ٣٠ : ١١ - ١٩ .

(٢) تثنية ٣١ : ١٠ - ١٣ .

وهذا الإيمان المطلق هو رأس كل خير لبني البشر . ولكن تحريف إسرائيل بلغ حداً خيَّل إليهم أن هذه الشريعة هي لهم وحدهم دون سواهم وتوهموا أنهم الشعب المختار رغم آثامه وكفره ورجاساته مغفلين شرط الإيمان بالله خالق السموات والأرض .

ومصدر هذا الوهم أو التوهم في أن الشريعة لهم وحدهم « هو أن اليهود لا يزالون يعتبرون الرابطة بينهم هي رابطة القبيلة أو رابطة اللحم والدم . وذلك ظاهر من احتكارهم لعقيدتهم الدينية كما تحتكر القبيلة أنساب أبنائها . فما من عقيدة دينية إلا وأبناؤها يهتمون بنشرها والتبشير بها والدعوة إليها . ويفرحون بمن يدخل فيها من الغرباء عنها . إلا اليهودية أو الصهيونية على الخصوص فإن أهلها لا يعتبرونها هداية ينشرونها على جميع الأمم بل ينظرون إليها كما ينظرون إلى النسب الذي ينفي الغرباء عنه ويأنف من المشاركة فيه »[1] .

وتحرم الأرض على هرون وموسى ، ويفسر وضاع التوراة هذا التحريم تفسيراً يتناسب مع نفسيتهم وينسبون إلى الرب قوله لموسى « اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نبو الذي في أرض موآب الذي قبالة أريحا وانظر أرض كنعان . . ومت في الجبل الذي تصعد إليه وانضم الى قومك كما مات هرون أخوك في جبل هور وضمَّ إلى قومه . **لأنكما خنتماني في وسط بني إسرائيل** . . إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل »[2] .

ويقول وضاع التوراة « ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه »[3] . مما يؤكد وضعهم واختلاقهم للتوراة وتحريف الشريعة الموسوية بما يناسب أطماعهم ويحقق خيالاتهم المريضة . ويقطع بأن التوراة الموضوعة كانت بعد موسى في عهد سبيهم ، لأنهم يتحدثون عمن جاء بعد موسى

---

(١) الصهيونية وقضية فلسطين ٣٢٧ .

(٢) تثنية ٣٢ : ٤٨ ـ ٥١ .

(٣) تثنية ٣٤ : ١٠ .

من أنبياء لاسرائيل .

وعبر يشوع بن نون بإسرائيل نهر الاردن . وكان دخوله بالقتل والحرق والتدمير والصلب ، ولم تسلم مدينة فلسطينية من حقدهم وكفرهم الذي فاق كفر عباد الصنم في الأرض .

ورغم هذا التقتيل والتدمير والتحريق لم تترك البقية الباقية من أهل الأرض مدنهم « ولم يطرد بنو إسرائيل الجشوريين والمعكيّين . فسكن الجشوري والمعكي في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم »(١) - يوم السبي البابلي - (ق ٦ ق . م) .

ويمضي امتحان الرب الى النهاية حتى يستوفي الله عذابهم إذ « ولو يُعَجِّلُ الله للناس الشرا استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون »(٢).

« فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها »(٣) .

وكانت وصية يشوع لشعب إسرائيل عندما شاخ هي وصية موسى نفسها ، وهي وصية رب موسى ، وكانت الوصية بعدما تغلب شعبه على أهل فلسطين بالحقد والتقتيل والحرق والمكيدة .

ولم يكن انتصارهم مصدره الإيمان في قلوب إسرائيل ، ولكنه الحقد وغلظة الطباع وقسوة القلوب التي شحذها الوعد المزعوم منذ خروجهم من مصر ، وقد أحاط أنبياؤهم ذلك الوعد بالحقد وسفك الدماء والقتل والتدمير يشحنون به شعب إسرائيل في رحلتهم الطويلة عبر التاريخ في طريقهم الى فلسطين .

فما أن تم لاسرائيل ذلك ووصلوا إلى أرض فلسطين بقوة التدمير والتخريب

(١) يشوع ١٣ : ١٣ .
(٢) يونس ١١ .
(٣) يشوع ٢١ : ٤٣ .

وسفك الدماء حتى تفجر هذا في صور الدمار والموت التي صبوها على كل بقعة نزلوا عليها مستندين الى عنصر المفاجأة المدمرة.

ويبقى شرط الوعد قائماً . وليس غير الايمان المطلق وتوحيد الخالق ، وعدم عبادة أصنام الأرض التي دخلوها، ولكن وضاع التوراة في عهد السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد ضيعوا الحقيقة التي لا يمارى فيها، وجعلوا الوعد حقاً موروثاً لهم دون قيد أو شرط . فأضافوا ما أضافوا ، وزيفوا ما زيفوا ، ولكن تظهر الحقيقة من بين ثنايا هذا التخبط المزيف ـ وتعلن الحقيقة نفسها وهي ان الوعد قائماً لمن سيكون هو المؤمن الموحد ، ويمضي هذا الارث في النسل الواحد ، وهو نسل المؤمنين الموحدين ، وقد جعل الله سبحانه الهداية والايمان هي الرابطة بين البشر ، وهي رابطة تفوق الرابطة العنصرية التي يؤمن بها اليهود ، فإن رابطة اللحم والدم هي التي تجمع بين الأب المؤمن والابن الكافر أو العكس، ولكن الأيمان والهداية الانسانية العامة تفرق بين المؤمن والكافر في الأسرة الواحدة، وتجمع بين المؤمنين على اختلاف أجناسهم وأمصارهم .

فالأمة الاسلامية الموحدة كلها من أقصاها إلى أقصاها كالجسد الواحد صدوراً عن رسول الله ﷺ « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» .

فالأرض لله يورثها عباده المؤمنين حافظي أمانة «لا إله إلا الله» .

وجوهر شريعة موسى بينة واضحة مهما زيف المزيفون جوهرها ، فإن جوهرها هو جوهر الرسالات كلها . ويبقى القياس بين البشر جميعا هو التقوى و « إن اكرمكم عند الله أتقاكم » وليس أشدكم كفرا ، وليس أعظمكم شركا وصلافة وعناداً .

والتوراة رغم تزييفها تعطي اليهود صورتهم الحقيقية من الكفر والشرك ، ووصية يشوع هي وصية الرب ذاتها « حينما تتعدون عهد الرب إلهكم الذي أمركم به وتسيرون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها يحمى غضب الرب عليكم ،

فتبيدون سريعا عن الأرض الصالحة التي أعطاكم»[1]

وتحقَّقَ لاسرائيل أنفسهم ما أعلمهم به الرب عن طريق موسى عن كفرهم وشركهم حين يدخلون الأرض ـ لم يعد الأمر حربا بين الإيمان والكفر ، ولكنه الكفر المتعاظم بما فعله اسرائيل هناك وكفروا بعد يشوع كما كفروا مع موسى . وتحارب الكفر مع الكفر . ولم يبق وعد ، ولن يقوم ميثاق وعهد ما دام طرفا الميثاق على طرفي نقيض ـ الرب الوطنية المطلقة ، واسرائيل الكفر «وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم. وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب . تركوا الرب وعبدوا البعل وعشتاروت . فحمي غضب الرب على اسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم وباعهم بيد أعدائهم حولهم ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم . حيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر كما تكلم الرب وكما أقسم الرب لها . فضاق بهم الأمر جدا . وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم . ولقضاتهم أيضاً لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها . حادوا سريعا عن الطريق التي سار بها آباؤهم لسمع وصايا الرب»[2].

آثام متواصلة وعناد دائم وكفر لا رجعة معه إلى أي طريق سواه ، فكان كفرهم يتجدد ، وآثامهم تتعاظم مع موت كل قاض من قضاتهم . وسيتركهم الرب يواجهون مصيرهم مع أهل الأرض في قتال دائم حتى يكون ذلك امتحانا لإيمان اسرائيل وهل يحفظون طريق الرب أو لا .

« وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويُفْسِدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجُدوا لها . لم يكفوا عن أفعالهم وطريقهم القاسية . فحمي غضب الرب على اسرائيل وقال من أجل أن هذا الشعب قد تعدوا عهدي الذي أوصيت به آباءهم ولم يسمعوا لصوتي . فأنا أيضاً لا أعود أطرد إنسانا من

---

(١) يشوع ٢٣ : ١٦ .

(٢) قضاة ٢ : ١١ ـ ١٧

أمامهم من الأمم الذين تركهم يشوع عند موته . لكي أمتحن بهم إسرائيل أيحفظون طريق الرب ليسلكوا بها كما حفظها آباؤهم أم لا . فترك الرب أولئك الأمم ولم يطردهم سريعاً ولم يدفعهم بيد يشوع»(١) .

كان أهل فلسطين إذا ببأسهم وقوتهم وعظم أجسامهم وبراعتهم في القتال مجالاً يمتحن به اسرائيل أو كفر اسرائيل الذين لم تستجب قلوبهم للايمان، ولم تعِ عقولهم وحدانيته سبحانه .

وبقي أهل فلسطين على طول تاريخهم مع أولئك الغزاة شعبا يقارع اسرائيل ويقضُ مضجعها إلى درجة نراهم عندها يعيشون الخوف والهلع والرعب عند ذكر أولئك العرب الذين لن يغير التاريخ حقيقة كونهم أهلا لأرض فلسطين .

وخير دليل على ذلك تلك الفئة القليلة المؤمنة الصابرة التي وقفت أمام اسرائيل في حرب لبنان وقفة شهد لها العالم كله بالبطولة والصمود ، باتت اسرائيل بعدها تحسب لهم ألف حساب وحساب ، مما اضطر وزير دفاعهم سفاح قبية اريئيل شارون الى ان يعلن بأن على اسرائيل ان تغير حساباتها للمستقبل إزاء الفلسطينيين المقاتلين .

وما أشبه حرب لبنان الأخيرة بين مقاتلي فلسطين في المقام الأول واللبنانيين وبين اسرائيل بحروب التوراة التي مضت على طول التاريخ سجالاً بين هؤلاء وهؤلاء، والحقيقة التي تعرفها اسرائيل جيداً ويعرفها مشايعوها أن النصر كان في معظم الحروب التوراتية لصالح سكان الأرض أهل فلسطين، ولم يستطع سفاحو إسرائيل في توراتهم أن يقضوا على هذا الشعب الفلسطيني ولكن عاش بنو إسرائيل مع سكان الأرض الأصليين، لأن سنة التاريخ والحياة لا تتغير ، في إعطاء الحق لأهل الحق ، مهما اختلّت مقاييس الحياة ، ومهما اضطربت سنن التاريخ .

«فهؤلاء هم الأمم الذين تركهم الرب ليمتحن بهم اسرائيل كل الذين لم

(١) قضاة ٢ : ١٩ ـ ٢٣

يعرفوا جميع حروب كنعان . إنما لمعرفة أجيال بني اسرائيل لتعليمهم الحرب ، الذين لم يعرفوها قبل فقط . أقطاب الفلسطينيين الخمسة وجميع الكنعانيين . . . كانوا لامتحان اسرائيل بهم لكن يعلم هل يسمعون وصايا الرب التي أوصى بها آباءهم عن يد موسى .

فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحِوِّيّين واليبوسيين . واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم . فعمل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والسواري . فحمي غضب الرب على اسرائيل فباعهم بيد كوشان رشعتايم ملك أرام النهرين . فعبد بنوا اسرائيل كوشان رشعتايم ثماني سنين»[1]

ولم يترك اسرائيل إلهاً من آلهة الشعوب التي نزلوا بينها إلا عبدوه . ولم تجد توسلاتهم إلى الرب ليخلِّصهم ممّا يلاقونه من أهل الأرض، وتركهم لآلهتهم التي يعبدونها لتخلصهم مما هم فيه .

« وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم وعشتاروت وآلهة أرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بني عمّون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه . فحمي غضب الرب على إسرائيل وباعهم بيد الفلسطينيين وبيد بني عمون . . . فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب قائلين أخطأنا إليك لأننا تركنا إلهنا وعبدنا البعليم . فقال الرب لبني إسرائيل أليس من المصريين والأموريين وبني عمون والفلسطينيين خلصتكم . . . وأنتم قد تركتموني وعبدتم آلهة أخرى . لذلك لا أعود أخلصكم . امضوا واصرخوا إلى آلهة الآلهة التي اخترتموها لتخلصكم هي في زمان ضيقكم»[2]

وكان عقاب بني اسرائيل الدائم على كفرهم وعبادتهم الأصنام أن الرب يدفعهم ليد الفلسطينيين ليكون عقابهم على أيديهم . فشرط الرب منتقض ، ولكن

(١) قضاة ٣ : ١ - ٨

(٢) قضاة ١٠ : ٦ - ٧ ، ١٠ - ١٤

لابد من عقاب بني اسرائيل بيد أهل الأرض الذين ادعوا الوعد بأرضهم إذا هم وفوا بشرط الايمان. « ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة»[١].

وامتحن اسرائيل امتحاناً آخر بيد الفلسطينيين « فحارب الفلسطينيون وانكسر اسرائيل وهربوا كل واحد إلى خيمته وكانت الضربة عظيمة جداً . وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف رجل . وأخذ تابوت الله»[٢].

ولم يكن شيء ليخلص اسرائيل من يد الفلسطينيين غير العودة الى الإيمان وإلى الرب الواحد الذي كانت وحدانيته والإيمان بها شرطا على اسرائيل حتى لا يعاقبهم بيد أهل الأرض، ولكن ما أن يخفف الرب عنهم يد الفلسطينيين حتى يعودوا إلى آثامهم وكفرهم «وكلم صموئيل كل بيت إسرائيل قائلاً إن كنتم بكل قلوبكم راجعين إلى الرب فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروت من وسطكم وأعدوا قلوبكم للرب واعبدوه وحده فينقذكم من يد الفلسطينيين فنزع بنو اسرائيل البعليم والعشتاروت وعبدوا الرب وحده . . . وقال بنو إسرائيل لصموئيل لا تكف عن الصراع من أجلنا إلى الرب إلهنا فيخلصنا من يد الفلسطينيين»[٣].

وانتصر اسرائيل بداود على الفلسطينيين مرة وانتصروا عليه مرات وسبوا نساءه وبكى داود وبكوا حتى لم تبق لهم قوة للبكاء «ولما جاء داود ورجاله إلى صِقْلغ في اليوم الثالث كان العمالقة قد غزوا الجنوب وضربوا صقلغ وأحرقوها بالنار وسبوا النساء اللواتي فيها . لم يقتلوا أحداً لا صغيراً ولا كبيراً بل ساقوهم ومضوا في طريقهم . فدخل داود ورجاله المدينة وإذا هي محرقة بالنار ونساؤهم وبنوهم وبناتهم قد سبوا . فرفع داود والشعب الذين معه أصواتهم وبكوا حتى لم تبق لهم قوة للبكاء . وسبيت امرأتا داود أخينوعم اليزرعيلية وأبيجايل امرأة نابال الكرملي .

---

(١) قضاة ١٣ : ١

(٢) صموئيل الأول ٤ : ١٠ ـ ١١

(٣) صموئيل الأول ٧ : ٣ ـ ٤ ، ٨

. فتضايق داود جداً لأن الشعب قالوا برجمه لأن أنفس جميع الشعب كانت مرة كل واحد على بنيه وبناته»[1]

لقد توقفت نصرة الرب لشعب اسرائيل بموت موسى وعبورهم النهر إلى الأرض. لأنه لم يعد الشرط قائماً ، من خلال ما نرى من هزائم اسرائيل المتوالية أمام الفلسطينيين، لأن حروبهم لم تكن بين مؤمنين ومشركين، إذا لكان النصر حليف اسرائيل أبدا ، ولكنها حروب يتقابل فيها كفار وكفار، وعباد أصنام وآخرون مثلهم، فالقوة النفسية والجسدية وبأس القتال والاستعداد بالعدة يبقى هو الفاصل في مثل هذه الحروب .

وكانت الدائرة تدور في معظم الحروب على اسرائيل « وحارب الفلسطينيون إسرائيل فهرب رجال إسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل جلبوع . فشد الفلسطينيون وراء شاول وبنيه . . فمات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم معاً . ولما رأى رجال إسرائيل الذين في عبر الوادي والذين في عبر الأردن أن رجال اسرائيل قد هربوا وأن شاول وبنيه قد ماتوا تركوا المدن وهربوا فأتى الفلسطينيون وسكنوا بها»[2]

وتمضي الحرب سجالاً بين الفلسطينيين وإسرائيل في عهد داود وينهزم إسرائيل في كثير من حروبهم لأنهم كفروا مع وجود الأنبياء بينهم. وكانت وصية الرب وشرط ميثاقه يبلغه السلف للخلف . وكلها تذهب أدراج الرياح لأن الله طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون .

وكانت وصية داود لابنه سليمان قائلاً « أنا ذاهب في طريق الأرض كلها . فتشدد وكن رجلاً. احفظ شعائر الرب إلهك إذ تسير في طرقه وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وشهاداته كما هو مكتوب في شريعة موسى لكي تفلح في كل ما تفعل وحيثما توجهت . لكي يقيم الرب كلامه الذي تكلم به عني قائلاً إذا حفظ

---

(١) صموئيل الأول ٣٠ : ١ - ٦

(٢) صموئيل الأول ٣١ : ١ - ٣ ، ٦ - ٧

بنوك طريقهم وسلكوا أمامي بالأمانة من كل قلوبهم وكل أنفسهم قال لا يعدم لك رجل عن كرسي إسرائيل»[١].

ووصايا الرب لم يكن لاسرائيل فحسب ، فقد كان عليهم أن يبلغوا الفرائض والوصايا لأهل الأرض التي دخلوا إليها لنشر دعوة التوحيد التي ما بلغوها ولا عملوا بها . يقول سليمان في صلاته للرب أمام المذبح في هيكله « فكل صلاة وكل تضرع تكون من أي إنسان كان من كل شعبك اسرائيل . . . فاسمع أنت من السماء . . لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بني البشر . لكي يخافوك كل الأيام التي يحيون فيها على وجه الأرض . . . وكذلك الأجنبي الذي ليس من شعبك اسرائيل هو جاء من أرض بعيدة من أجل اسمك . لأنهم يسمعون باسمك العظيم . . فمتى جاء وصلى في هذا البيت فاسمع أنت من السماء مكان سكناك وافعل حسب كل ما به إليك الأجنبي لكي يعلم كل شعوب الأرض اسمك فيخافوك كشعبك اسرائيل»[٢].

التوراة تجعل من الأجنبي الذي يدين بشريعة موسى واحداً منهم . والأجنبي إذا يكون من نسل اسرائيل الذين يدعون امتيازه واختياره لأنهم من نسل يعقوب واسحق وإبراهيم باللحم والدم ـ فمن يدين بشريعة موسى يصبح من نسل إبراهيم الموحد والرابطة بينهم ليست رابطة النسب القائمة على اللحم والدم ، ولكن على الايمان بالله الواحد الأحد . أولئك المؤمنون الموحدون هم الذين يصبحون من نسل إبراهيم .

وأما من كان من نسل إبراهيم لحماً ودماً وكفروا بالله الواحد فهم يخرجون عن دائرة نسب إبراهيم لأن إبراهيم كما قال فيه القرآن الكريم « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين[٣] » .

لقد كفّرت التوراة سليمان وجعلته يجري وراء آلهة أخرى غير الله . وهذا

---

(١) الملوك الأول ٢ : ١ ـ ٤
(٢) الملوك الأول ٨ : ٣٨ ـ ٤٣
(٣) آل عمران ٦٧ .

الأمر يدين إسرائيل في كونها قد حادت عن طريق الرب ، وأزاغت معها نبيها وملكها سليمان . فأي عهد يبقى ؟ وأي وعد وميثاق يستقيم مع هذا الشعب « وكان في زمن شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء عشتورت إلاهة الصيدونيين وملكوم رجس العمّونيّين ، وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه . . فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى . فلم يحفظ ما أوصى به الرب . فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك »(١) .

ومع كل الآثام والخطايا التي خان بها إسرائيل الرب عاقبهم بيد الفلسطينيين أولاً . ولما تمادوا في غيهم وضلالهم كان لهم عقاب آخر بالمراصد . ذلك هو السبي الأول الأشوري ، وكان ذلك علامة صريحة كما أعلن الرب على تخليه عنهم .

يقول وضاع التوراة في أيام السبي الأشوري الأول في القرن السابع قبل الميلاد عن خيانة اسرائيل للرب « وكان أن بني إسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههم الذي أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر واتقوا آلهة أخرى . وسلكوا حسب فرائض الأمم الذين طردهم الرب من أمام بني إسرائيل وملوك إسرائيل الذين أقاموهم . وعمل بنو إسرائيل سراً ضد الرب إلههم أموراً ليست بمستقيمة وبنوا لأنفسهم مرتفعات في جميع مدنهم من برج النواطير إلى المدينة المحصنة . وأقاموا لأنفسهم أنصاباً وسواري على كل تل عالٍ وتحت كل شجرة خضراء . وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم الذين ساقهم الرب من

---

(١) الملوك الأول ١١ : ٤ ـ ١٢.

أمامهم وعملوا أموراً قبيحة لإغاظة الرب . وعبدوا الأصنام التي قال الرب لهم عنها لا تعملوا هذا الأمر . وأشهد الرب على إسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء وكل راءٍ قائلاً ارجعوا عن طرقكم الرديَّة واحفظوا وصاياي فرائضي حسب كل الشريعة التي أوصيت بها آباءكم والتي أرسلتها إليكم عن يد عبيدي الأنبياء . فلم يسمعوا بل صلبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلههم . ورفضوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آبائهم وشهاداته التي شهد بها عليهم وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً ووراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم . وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سواري وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل . وعبّروا بنيهم وبناتهم في النار وعرفوا عِرافة وتفاءلوا وباعوا أنفسهم لعمل الشر في عيني الرب لإغاظته . فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحاهم من أمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده . ويهوذا أيضاً لم يحفظوا وصايا الرب إلههم بل سلكوا في فرائض إسرائيل التي عملها . فرذل الرب كل نسل إسرائيل . وأذلهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه . . فسبي إسرائيل من أرضه إلى أشور إلى هذا اليوم »[1] .

ولم يشهد التاريخ منذ بدء الخليقة إلى هذا اليوم من هم في مثل صفات شعب إسرائيل . . وما وصفتهم به توراتهم لا يستطيع المرء إيجازه في كلمات ، لأنهم قد جبلوا بالدنايا والرذائل مما لا يمكن معه تحديد صفة معينة يعرفون بها .

ولكن أقل ما يمكن وصفهم به هو جحود نعمة الرب نيتجة كفرهم به ، ومن كان الكفر جوهره سهل عليه كل رذيلة . فنحن نقرأ في توراتهم ما يجعلنا نحار ونعجب من صفات هذا الشعب . فهم يكفرون حتى إذا نزل بهم عقاب الرب إذا بهم يستغفرون ، وما أن يرفع عنهم غضب الرب حتى يعودوا إلى الكفر بأسرع مما انصرفوا عنه وهكذا دواليك .

سبي هذا الشعب مرتين عقاباً لهم ، فكان في سبيهم كل المذلة والعبودية

---

(١) الملوك الثاني ١٧ : ٧ ـ ٢٣ .

والخنوع ، وعاقبهم بالفلسطينيين ، والمصريين وكل الشعوب التي نزلوا بينهـا ، ومع هذا لم يرتدعوا بل صلبوا رقابهم كما فعل آباؤهم ويفعل أبناؤهم من بعدهم .

فمع كل الآيات والمعجزات والعجائب على يد موسى منذ خروجهـم من مصر لم يؤمنوا بالرب الواحد ، وهو شرط الوعد لنشر التوحيد في الأرض التي شاء الرب أن تكون مهد رسالاته ، ومنطلق التوحيد الـى البشـرية جمعـاء ، بانتقـال الميراث عبر الشعوب والأمم التي توحد الرب حتى تكتمل الأمانة السماوية على الأرض بدءاً باليهود ومروراً بأمة عيسى وبالتحديد الفئة التي بقيت على التـوحيد الخالص دون ان يشوبه شرك أو تثليث وانتهاء بأمة الله الخالدة ـ أمة محمد ﷺ ، حيث ختم الله سبحانه به الرسل والأنبياء ، وبرسالته رسالات السماء .

ولم يبق ميثاق ولا عهد، فشعب إسرائيل كما يقول نبيهم نحميا « بغوا هم وآباؤنا وصلبوا رقابهم ولم يسمعوا لوصاياك . وأبوا الاستماع ولم يذكروا عجائبك التي صنعت معهم وصلبوا رقابهم وعند تمردهم أقاموا رئيساً ليرجعوا إلى عبوديتهم .وأنت إله غفور وحنان ورحيم طويل الروح وكثير الرحمة فلم تتركهم . مع أنهم عملوا لأنفسهم عجلاً مسبوكاً وقالوا هذا إلهك الذي أخرجك من مصر وعملوا إهانة عظيمة . . وأتيت بهم إلى الأرض التي قلت لآبائهم أن يدخلوا ويرثوها . فدخل البنون وورثوا الأرض وأخضعت لهم سكان أرض الكنعانيين . . وأخـذوا مدنـاً حصينة وأرضاً سمينة وورثوا بيوتاً ملآنة كل خير وآباراً محفورة وكرومـاً وزيتونـاً وأشجاراً مثمرة بكثرة فأكلوا وشبعـوا وسمنـوا وتلـذذوا بخيرك العـظيم . وعصـوا وتمردوا عليك وطرحوا شريعتك وراء ظهورهم وقتلوا أنبياءك الذين أشهدوا عليهم ليردوهم إليك وعملوا إهانة عظيمة . فدفعتهم ليد مضايقيهم فضايقوهم وفي وقت ضيقهم صرخوا إليك وأنت من السماء سمعت وحسب مراحمك الكثيرة أعطيتهم مخلصين خلصوهم من يد مضايقيهم. ولكن لما استراحوا رجعوا إلى عمل الشر قدامك فتركتهم بيد أعدائهم فتسلطوا عليهم ثم رجعوا وصرخوا إليك وأنـت من السماء سمعت وأنقذتهم حسب مراحمك الكثيرة احياناً كثيرة . وأشهدت عليهم لتردهم إلى شريعتك . وأما هم فبغوا ولم يسمعوا لوصاياك وأخطأوا ضد أحكامك

التي إذا عملها إنسان يحيا بها . وأعطوا كتفا معاندة وصلبوا رقابهم ولم يسمعوا . فاحتملتهم سنين كثيرة وأشهدت عليهم بروحك عن يد أنبيائك فلم يصغوا فدفعتهم ليد شعوب الأراضي .

والآن يا إلهنا الإله العظيم الجبار المخوف حافظ العهد والرحمة لا تصغر لديك كل المشقات التي أصابتنا نحن وملوكنا ورؤساءنا وكهنتنا وأنبياءنا وآباءنا وكل شعبك من أمام ملوك أشور إلى هذا اليوم . .[1] وملوكنا ورؤساؤنا وكهنتنا وآباؤنا لم يعملوا شريعتك ولا أصغوا إلى وصاياك وشهاداتك التي أشهدتها عليهم . وهم لم يعبدوك في مملكتهم وفي خيرك الكثير الذي أعطيتهم وفي الأرض الواسعة السمينة التي جعلتها أمامهم ولم يرجعوا عن أعمالهم الردية . ها نحن اليوم عبيد والأرض التي أعطيت لآبائنا ليأكلوا أثمارها وخيرها ها نحن عبيد فيها . وغلاتها كثيرة للملوك الذين جعلتهم علينا لأجل خطايانا وهم يتسلطون على أجسادنا وعلى بهائمنا حسب إرادتهم ونحن في كرب عظيم »[2] .

وأحداث التوراة تؤكد ان الوعد بميراث الأرض ليس لبني اسرائيل ، لأنهم أحباب الرب ومختاروه ولكنه وعد الأمة التي تؤمن بالله إيماناً مطلقاً رأسه لا إله إلا الله ، وسيبقى الادعاء بالميراث قائماً حتى يحين زمن عيسى رسول الله ﷺ ، فيكون من بقي من إسرائيل هم المقصودون بهذه الرسالة الجديدة، فعيسى قد أرسل الى بني اسرائيل حسبما أكد القرآن الكريم .

فعيسى من جذع يَسَّىٰ أبي داود النبي ، وهذا يشير الى انتقال الميراث من شعب لم يؤمن إلى شعب آخر مؤمن ، وذلك الشعب الأخير الذي سيؤمن بعيسى لن يكون هو شعب إسرائيل الذين كفروا بشريعة موسى وخانوا الرب ، ولكنهم سَيُعْرَفون بشعب عيسى . الذي آمن به وبدعوته التي تدعو إلى ما دعا إليه موسى ، وهو عبادة الله الواحد الأحد . وسيكون اولئك المؤمنون في تلك الأرض ، التي

---

(١) سبي اليهود مرتين في مدى قرن من الزمان .

(٢) نحميا ٩ : ١٦ ـ ٣٨

أخذت تتهيأ شيئاً فشيئاً لنزول الرسالات ، وبات طبيعياً أن تتقبل هذا التدرج في استقبال رسالات السماء .

أصحاب شريعة موسى كفروا بموسى وبشريعته ، ولم يكونوا مؤثرين في أهل الأرض ولكن متأثرين حتى بأصنامهم ، وفاقوهم في ذلك .

وتهيأت الأرض تلقائياً لرسالة سماوية أخرى يستجيبون لها بفطرتهم ، حيث لم تتمكن شريعة موسى ـ بما أدخل عليها أهلها من تزييف وتحريف ـ من التأثير فيهم ، أو النفاذ إلى أعماقهم ، التي تبحث من خلال الأصنام إلى القوة الكبرى الفاعلة في هذا الكون العظيم ومخلوقاته ، وبرسالة عيسى لن يكون تنافس كما رأينا في بيت اسرائيل فالإيمان هو المقياس «ويخرج قضيب من جذع يَسَّىٰ وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة . روح المعرفة ومخافة الرب . ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه . ويكون البر منطقة مَتْنَيْه والأمانة منطقة حقويه .

فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدي والعجل والشبل والمُسَمَّنْ معاً . . لا يسوؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلىء من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر . ويكون في ذلك اليوم أن أصل يَسَّى القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم ويكون محله مجداً .

ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه التي بقيت من أشّور ومن مصر ومن فتروس ومن كوش ومن عيلام ومن شنعار ومن حماة ومن جزائر البحر . ويرفع راية للأمم ويجمع منفيّي إسرائيل . . . من أربعة أطراف الأرض . فيزول حسد أفرايم وينقرض المضايقون من يهوذا . أفرايم لا يحسد يهوذا ويهوذا لا يضايق أفرايم »(١) .

---

(١) إشعياء ١١ : ١ - ٦ ، ٩ - ١٣ .

ويبشر الرب بقدوس إسرائيل الذي سيعلو الحق به ، وبه وبشريعته المكملة لشريعة موسى ستؤمن فئة من بني إسرائيل ، وهي الفئة التي يقول عنها الرب إنه نسل اسرائيل ، نسل يعقوب بالإيمان والهداية ، وليس نسل الدم واللحم والعنصر .

ولهذه الفئة القليلة المؤمنة من اسرائيل بشريعة عيسى ينتقل الميراث ، وفيهم يمضي وعد الرب حتى يكمل مسيرة الإيمان على درب الايمان مع رسالات السماء إلى أن تصل إلى مرماها الذي رسمه الرب .

« عزوا عزوا شعبي يقول إلهكم طيبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل أن إثمها قد عفي عنه أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها .

صوت صارخ في البرية . أعدوا طريق الرب . قوموا في القفر سبيلاً لإلهنا . ويصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر معاً لأن فم الرب تكلم »[1] .

وعد الرب قائم للمؤمنين ، وميثاقه باق إلى الأبد ، وهو ينفذ من أمة إلى أخرى تعمل بشرط الرب ، فالتي تكفر يتجاوزها ميثاقه إلى من تؤمن به سبحانه . فالشعب عشب ، وإذا يبس العشب ذرّته الرياح إلى العدم . وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد « صوت قائلٍ نادِ . فقال بماذا أنادي . كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل . يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبت عليه . حقاً الشعب عشب . يبس العشب ذبل الزهر وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد .

على جبل عالٍ اصعدي يا مبشرة صهيون . ارفعي صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم . ارفعي لا تخافي . قولي لمدن يهوذا هوذا إلهك . هوذا السيد الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له . هوذا أجرته معه وعملته قدامه . كراع يرعى قطيعه بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات . . . الذي يجعل

---

(١) إشعياء ٤٠ : ١ ـ ٣ .

العظماء لا شيئاً ويصيِّر قضاة الأرض كالباطل . لم يُغرسوا بل لم يُزْرعوا ولم يتأصل في الأرض ساقهم .فنفخ أيضاً عليهم فجفوا والعاصف كالعصف يحملهم .

لماذا تقول يا يعقوب وتتكلم يا إسرائيل قد اختفت طريقي عن الرب وفات حقي إلهي . أما عرفت أم لم تسمع . إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا . ليس عن فهمه فحص . يعطي المعي قدرة ولعديم القوة يكثر شدة . الغلمان يُعيون ويتعبون والفتيان يتعثرون تعثراً . وأما منتظرو الرب فيجددون قوة . يرفعون أجنحة كالنسور . يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيون »[1].

والله سبحانه القادر على أن يهلك قوماً ويأتي بآخرين « فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين »[2] .

كان ذلك ما ذكرته التوراة بشأن القوم الذين يأتي بهم الله بعد اسرائيل ، قوم يؤمنون بالله الذي كفر بنو اسرائيل به « من أنهض من المشرق الذي يلاقيه النصر عند رجليه دفع امامه أمماً وعلى ملوك سلطه جعلهم كالتراب بسيفه . طردهم مر سالماً في طريق لم يسلكه برجليه . من فعل وصنع داعياً الأجيال من البدء . أنا الرب الأول ومع الآخرين أنا هو »[3] .

ويؤكد الرب كفر بني إسرائيل ، ولذلك فالوعد لن يكون معهم بعد ، حيث إنه لم يعد قائماً ، فلا وعد ولا ميثاق ، ولكن الوعد كان مع يعقوب وإسحق وإبراهيم ومن يؤمن من نسلهم ، وهكذا يعود الرب لتأكيد هذا الميثاق مع أنبيائه المؤمنين من نسل إبراهيم .

والميثاق الإلهي إلى إبراهيم هو الإيمان ، ونسل يعقوب أو نسل إسرائيل قد نقض العهد وضيّع الميثاق وكفر وذلك يعني أنهم لم يعودوا من نسل إبراهيم بالإيمان والهداية ، وإن كانوا نسله عنصرياً لحماً ودماً .

---

(١) إشعياء ٤٠ : ٦ - ١١ ، ٢٤ ، ٣٠ .

(٢) المعارج ٤٠ ، ٤١ .

(٣) إشعياء ٤١ : ٢ - ٤ .

ولكن ميثاق الرب بينه وبين عباده هو الإيمان والتقوى والتوحيد ورفع راية لا إله إلا الله . وحين يجدد الرب العهد مع يعقوب فلكي يكون بداية اخرى لنسل آخر غير نسله الأول وهم أسباطه ، ولكنها الفئة التي خلصت من نسله بالإيمان وآمنت بعيسى. ذلك هو النسل الجديد والرابطة بينهم توحيد الخالق سبحانه وعدم الزيغ عن طريقة لا إله إلا هو . ولكن اسرائيل اليوم تفسر ذلك بأنهم ذلك الشعب الجديد المجدد العهد .

« وأما أنت يا إسرائيل عبدي يا يعقوب الذي اخترته نسل إبراهيم خليلي الذي أمسكته من أطراف الأرض ومن أقطارها دعوته وقلت لك أنت عبدي اخترتك ولم أرفضك وعضدتك بيمين بري . . »[1] .

والشرذمة من إسرائيل ، والفئة القليلة التي بقيت على إيمانها بالرب وبشريعته التي جاء بها موسى هي التي ستكون نواة دعوة قدوس إسرائيل عيسى « لا تخف يا دودة يعقوب يا شرذمة اسرائيل ، يقول الرب وفاديك قدوس إسرائيل . هأنذا قد جعلتك نورجاً محدداً جديداً ذا أسنان . تدرس الجبال وتسحقها وتجعل الآكام كالعصافة . تذريها فالريح تحملها والعاصف تبددها وأنت تبتهج بالرب بقدوس إسرائيل تفتخر »[2] .

وقد أرسل عيسى قدوس إسرائيل وهو من نسل يعقوب إلى بني إسرائيل « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يديّ من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد »[3] .

والبائسون والمساكين من مؤمني اسرائيل ينتظرون من يخلصهم مما يتخبط فيه قومهم الذين كفروا ، والرب يرسل إليهم رسوله في الوقت الذي يصبح فيه أولئك متهيئين تماما لاستقباله لذلك .

---

(١) إشعياء ٤١ : ٨ ـ ١٠ .
(٢) إشعياء ٤١ : ١٤ ـ ١٦ .
(٣) الصف ٦ .

« البائسون والمساكين طالبون ماء ولا يوجد . لسانهم من العطش قد يبس . أنا الرب أستجيب لهم أنا إله إسرائيل لا أتركهم . . أجعل القفر أجمة ماء والأرض اليابسة مفاجر مياه . أجعل في البرية الأرز والسفط والآس وشجرة الزيت . أضع في البادية السرو والسنديان والشربين معا . لكي ينظروا ويعرفوا ويتنبَّهوا ويتأملوا معا أن يد الرب فعلت هذا وقدوس اسرائيل أبدعه »[1].

وقدوس إسرائيل سيجدد ما ضيّع من شريعة موسى ، وهو الدعوة باسم الله ، باسم الرب « قد أنهضته من الشَّمال فأتى من مشرق الشمس يدعو باسمي »[2] .

وهذا القدوس الذي هو من روح الله سيخرج الحق للأمم . وسيأتي بمعجزاتٍ مستقبلية يعلم بها « هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم . . . لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته .

« هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض . . أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ونورا للأمم . لتفتح عيون العمى . .

أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات . هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مُخْبِرٌ بها . قبل أن تنبت أعلمكم بها . . . الرب قد سر من أجل بره . يعظم الشريعة ويكرمها »[3].

وقد انغمست اسرائيل في آثامها كثيرا قبل أن يأتي الرب بقدوس إسرائيل ، وقد تركهم الرب في ظلماتهم يعمهون ، وزادهم ضلالا لأنهم « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور »[4].

يقول الرب « قد صمت منذ الدهر سكتّ تجلدت . كالوالدة أصيح . أنفخ

---

(١) إشعياء ٤١ : ١٧-٢٠ .

(٢) إشعياء ٤١ : ٢٥ .

(٣) إشعياء ٤٢ : ١ - ٩ ، ٢١

(٤) النور ٤٠ .

وأنخر معا . أخرب الجبال والآكام وأجفف كل عشبها وأجعل الأنهار يبساً وأنشف الآجام . وأسيِّر العمي في طريق لم يعرفوها . في مسالك لم يدروها أمَشّيهم . أجعل الظلمة أمامهم نوراً والمعوجّات مستقيمة . هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم . قد ارتدوا الى الوراء . يخزى خزيا المتكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا »[1] .

والرسول الذي أرسله الرب الى إسرائيل ، هو من روح الله ، ومع هذا فهو ينفي ما سيكون من شرك المشركين حين يؤلهون هذا الرسول الذي هو من روح الله « أنتم شهودي يقول الرب وعبدي الذي اخترته لكي تعرفوا وتؤمنوا بي وتفهموا أني أنا هو . قبلي لم يصوَّر إله وبعدي لا يكون . أنا أنا الرب وليس غيري مخلص »[2] .

والميثاق قد انتقل من شعب عاص إلى آخر يؤمن برسول الرب القدوسي. والرب يعرف أن بني اسرائيل لن يؤمنوا لأنهم قد سموا عصاة وهم في البطن قبل أن يوجدوا وشعب اسرائيل كما يقول الرب « أنك تغدر غدرا ومن البطن سميت عاصيا . من أجل اسمي أبطىء غضبي ومن أجل فخري أمسك عنك حتى لا أقطعك »[3] .

وبقي من اسرائيل القلة المؤمنة التي أرسل إليها عيسى ليمضي فيهم الوعد إن هم بقوا على الايمان ، وما بقوا ولكن أشركوا وقالوا بألوهية رسول الرب .

ويبقى الوعد قائماً ينتظر من يثبت فيه إلى الأبد ، محمد رسول الله ﷺ الذي بشر به عيسى .

وليس من وعد لاسرائيل التي حرفت وزيفت ، وهي تعرف ما جاء في توراتها من البشارات بالمستقبل ، وهذه المعرفة هي التي فجرت حقدها وتفجره إزاء كل دين ، وكان ذلك الحقد معلنا في صور العداء الكثيرة وألوان الكيد والمكر إزاء عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم .

---

(١) إشعياء ٤٢ : ١٤ - ١٧ . (٢) إشعياء ٤٣ : ١٠ - ١٣ . (٣) إشعياء ٤٨ : ٨ .

وإسرائيل تعرف أن الوعد لم يكن لمن هم من نسل ابراهيم واسحق ويعقوب باللحم والدم ، ولكنه النسل المؤمن الذي يرتبط بإبراهيم بإيمانه وهدايته . وكان القرآن الكريم قد حدد ادعاء أولئك حين أعلن أن ابراهيم « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين »(١) .

وحين تذكر التوراة الوعد بالأرض وميثاقه فهو وعد المؤمنين الموحدين الذين انتهت إليهم رسالات السماء فكانت مسك الختام أو ختام المسك كما نزل من السماء توحيدا خالصاً وإيمانا نقيا لله الواحد الأحد خالق السموات وباسط الأرض .

وما آمنت اسرئيل بعيسى ، كما لم تؤمن بموسى من قبل ، ويبقى الوعد بالأرض لإبراهيم ونسله ، مبتدئة النبوة ووعدها بفرع اسحق ومنتهية بفرع اسماعيل .

ويخلص من ذلك الشعب العاصي الفئة القليلة التي آمنت برسول الله عيسى ابن داود بن يعقوب بن إبراهيم آخر فرع إسحق ، وهذه الفئة من اسرائيل باتت تعرف بأنصار عيسى ودعوته إذا هم آمنوا به الإيمان الحق وبدعوته الموحدة . وفي هؤلاء الوعد بالأرض المهيأة منذ الأزل للتوحيد الأبدي المطلق التي كتب في علم الله سبحانه ، وأنها ستطهر من رجاسات اسرائيل بالإسلام وبمحمد ﷺ الذي شرفت به تلك الأرض باسرائه إليها من أرض اسماعيل ليربط أطراف الأرض المؤمنة ، مهد الأنبياء ومهبط رسالات السماء .

وأما الأشرار والكافرون « فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشا ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود فلا يبقى لهم أصلا ولا فرعاً »(٢).

---

(١) آل عمران ٦٧ . (٢) ملاخي ٤ : ١ .

وانقضت تصفية الأمم في مقياس الوعد والإيمان، وكان المخاض العظيم الذي خلده القرآن الكريم في تنسيب المؤمنين ، وكانت الأمة المؤمنة الأبدية أمة الإسلام ، وعندها يقف الاختيار والاصطفاء والامتياز «كنتم خير امة أخرجت للناس فأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خير لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون »(٣). آل عمران ١١٠ .

وتبقى الأرض لأهلها المسلمين المؤمنين الذين استقر فيهم وعد الله ، وبينهم وبين ربهم الميثاق - الإيمان والتوحيد ولا إله إلا الله » . وأهل الأرض هم نسل ابراهيم من اسماعيل فقد انقطع الوعد والعهد والميثاق بعد عيسى الذي كان آخر فرع اسحق من الرسل والأنبياء ، ولتختتم رسالات السماء بالاسلام وبالقرآن وبمحمد ﷺ ويصدق المؤمنون الوعد والميثاق .

وتنقطع العلاقة بين اسرائيل وبين إبراهيم واسحق ويعقوب ، لأن اسرائيل ما آمنوا برب هؤلاء ، وذلك يرد عليهم ادعاءهم الوعد بالأرض . واليهود يعرفون ذلك ويكتمون ، ويعلمون أنهم لم يعودوا من نسل أولئك المؤمنين الموحدين « أم تقولون إن إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون . تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون »[(1)] .

وكما بدأ الوعد بابراهيم انتهى بنسل ابراهيم من اسماعيل ، وبدأت دعوتهما بأن يجعلهما ربهما مسلمين ومن ذريتهما أمة مسلمة ، وهي الأمة صاحبة الوعد الذي بدأ بإبراهيم وانتهى بمحمد ﷺ . « وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم »[(2)] .

وذلك هو القول الفصل في الوعد بالأرض ، في الميراث الأبدي لأمة الله التي كتب لها هذا الوعد بالأرض المقدسة منذ الأزل وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون . إن في هذا بلاغا لقوم عابدين »[(3)] .

---

(١) البقرة ١٤٠ - ١٤١ .   (٢) البقرة ١٢٧ - ١٢٩ .   (٣) الأنبياء ١٠٥ و ١٠٦ .

الهيكل في التوراة

من أخطر ادعاءات اسرائيل في تاريخها ، والمعاصر منه بالذات هو أن لها حقا في الأرض التي كانت في يوم ما الأرض التي أقيم عليه هيكل سليمان . ويرون أن من حقهم الاستيلاء على هذه الأرض دون نظر إلى ما شاء الله أن يقام عليه وهو المسجد الأقصى الذي بارك الله سبحانه حوله .

وقد تقدم في بداية الحديث عن أورشليم التوراتية أن الكنعانيين القدماء سكنوا أرض يبوس أو أوروساليم سنة ٣٠٠٠ ق.م وقد بناها الكنعانيون أو اليبوسيون على وجه التحديد ، وهم عشيرة كنعانية عربية ، وسميت يبوس نسبة إليهم ، ثم أطلقوا عليها أوروساليم أي مدينة السلام انطلاقا مما وجدت نواته بينهم في ذلك الزمن الغابر .

وفي أوائل القرن العشرين قبل الميلاد كان ملكي صادق أحد ملوك ساليم ، وفي عهده بزغ أهم مظهر حضاري، لهم هو نشوء عبادة (إيل عليون) أي الله العلي .

ويرافق هذا المظهر الكهنوتي قربان الخبز والخمر التي أصبحت فيما بعد رمزا لكهنوت المسيح عليه السلام الذي جاء بعد هذا العصر بألفي سنة[1] . كما تقول « الرسالة الى العبرانيين » (أحد الأسفار المقدسة في المسيحية) « كما يقول

---

(١) محمود العابدي : قدسنا ١٢ سنة ١٩٧٢ (قسم البحوث والدراسات الفلسطينية) .

أيضا في موضع آخر أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق »[1] .

لقد كانت ساليم مدينة مقدسة لله العلي مالك السموات والأرض ، وفي عهد ملكها وكاهنها ملكي صادق وصل إبراهيم إلى أرض كنعان مع عشيرته التي تبلغ ثلاثمائة وثمانية عشر . وسالم الكنعانيين . وفيها نصر ابراهيم ابن أخيه لوطاً واسترد ما كان سلب منه على يد ملوك اجتمعوا على حربه وأسره وسلبه في سدوم وعمورة .

وفي عودة إبراهيم من غزوته دخل ساليم فاستقبله ملكي صادق بالخبز والخمر واستضافه في كهفه الذي كان يتعبد فيه في جبل المريا تحت صخرة بيت المقدس فيما بعد .

وتذكر التوراة أن إبراهيم قد أمر أن يذبح ابنه على جبل المريا ، وهذا بلا شك أحد زيفها وتضليلها الحقائق ، وهي ترمي إلى جعل اسحق هو الذبيح . وعلى جبل المريا بالتحديد حيث أقيم فيما بعد هيكل سليمان ، وهذا الوضع لتوراتهم الحاضرة قد كان في أيام سبيهم الأول الأشوري والثاني البابلي .

وهي بهذا الادعاء تجعل من تلك الأرض (جبل المريا) التي أقيم عليه الهيكل أرضا أبدية لهم لا تقبل النقض .

وإن كان لذلك المكان من قداسة فكونه أول مكان نبتت فيه بذرة التوحيد كما أراده الله سبحانه وتعالى على يد ملكي صادق الساليمي الكنعاني .

وتذكر التوراة تقديس جبل المريا في أيام اسحق ويعقوب حتى كان داود وأمر ببناء البيت ، فوق ذلك المكان . وعلى وجه الدقة فوق المغارة اليبوسية الكنعانية العربية التي كان يسكنها ملكي صادق ومن هذه المغارة عرف صاحبها ربَّه الواحد الأحد خالق السموات والأرض[2] .

---

(١) الرسالة الى العبرانيين ٥ : ٦ .

(٢) قدسنا ١٣ .

ويتأكد ذلك من قول كعب الأحبار « إن سليمان بنى بيت المقدس على أساس قديم »[1] .

ودخل داود ساليم اليبوسية الكنعانية العربية وبنى لنفسه قصرا على تل عوف إيل (أو فيل) كما بنى البيوت لرجاله ليعيشوا بين اليبوسيين وكان ذلك سنة ١٠٥٠ ق.م .

وبعد أن استقر داود في ساليم آمر أن يبني بيتا حجرا مكان الخيمة التي كان يتعبد فيها بنو إسرائيل . واختار داود بيدر أرنان اليبوسي على قمة تل المريا الذي كان في وسطه غار ملكي صادق .

وأعود إلى التوراة التي تحكي كيف تم ذلك لداود « وكان لما سكن الملك في بيته أن الملك قال لناثان النبي انظر . إني ساكن في بيت من أرز وتابوت الله ساكن داخل الشقق . وفي تلك الليلة كان كلام الرب إلى ناثان قائلا اذهب وقل لعبدي داود هكذا قال الرب . أأنت تبني لي بيتا لسكناي . لأني لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت بني إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم بل كنت أسير في خيمة وفي مسْكن »[2] .

فالرب يطلب أن يُبني له بيت للصلاة والتوحيد ، بيت يعبد فيه العبادة الخالصة التي لا يشوبها شرك .

وسيقيم داود البيت على قطعة أرض يشتريها من اليبوسيين العرب «فجاء جاد في ذلك اليوم إلى داود وقال له . اصعد وأقم للرب مذبحاً في بيدر أرونة اليبوسي. فصعد داود حسب كلام جاد كما أمر الرب . فتطلع أرونة ورأى الملك وعبيده يقبلون إليه فخرج أرونة وسجد للملك على وجهه إلى الأرض وقال أرونه لماذا جاء سيدي الملك إلى عبده . فقال داود لأشتري منك البيدر لكي أبني مذبحاً

---

(١) د . الحسيني : عروبة بيت المقدس ٤٢ .

(٢) صموئيل الثاني ٧ : ١ - ٦

للرب فتكف الضربة عن الشعب . فقال أرونه لداود فليأخذه سيدي الملك ويصعد ما يحسن في عينيه . انظر البقر للمحرقة والنوارج وأدوات البقر حطبا . الكل دفعة أرونه المالك الى الملك. وقال أرونه للملك الرب إلهك يرضى عنك. فقال الملك لأرونه لابل أشتري منك بثمن ولا اصعد للرب إلهي محرقات مجانية . فاشتري داود البيدر والبقر بخمسين شاقلاً من الفضة. وبني داود مذبحاً للرب وأصعد محرقات وذبائح سلامة واستجاب الرب من أجل الأرض »[١].

لقد كانت الأرض على جبل المريا فوق كهف ملكي صادق الموحد الله العلي هدفاً للرب لتكون نواة بيت سليمان أو هيكل داود وسليمان الذي يُهيَّأ للبيت الخالد . المسجد الأقصى .

في ذلك الوقت لما رأى داود أن الرب قد أجابه في بيدر أرنان اليبوسي ذبح هناك .

وتهيأ داود لبناء البيت«فقال داود هذا هو بيت الرب الإله وهذا هو مذبح المحرقة . وأمر داود بجميع الأجنبيين في ارض اسرائيل وأقام نحاتين لنحت حجارة مربعة لبناء بيت الله وهيأ داود حديداً كثيراً للمسامير لمصاريع الأبواب . . ونحاساً كثيراً بلا وزن وخشب أرز لم يكن له عدد لأن الصيدونيين والصوريين أتوا بخشب أرز كثير إلى داود»[٢]

وجهز داود كل ما يلزم لبناء البيت ولكنّ الرب لم يشأ له أن يبنيه بل ابنه سليمان « ودعا سليمان ابنه وأوصاه أن يبني بيتاً للرب إله إسرائيل . وقال داود لسليمان يا ابني قد كان في قلبي ان أبني بيتاً لاسم الرب إلهي . فكان إليّ كلام الرب قائلاً قد سفكت دما كثيرا وعملت حروباً عظيمة فلا تبني بيتاً لاسمي لأنك سفكت دماء كثيرة على الأرض أمامي .هوذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة وأريحه

(١) صموئيل الثاني ٢٤ : ١٨ ـ ٢٥

(٢) أخبار الأيام الاول ٢٢ : ١ ـ ٤

من جميع أعدائه حواليه . لأن اسمه يكون سليمان . . هو يبني بيتاً لاسمي»[١] .

وقد ترك داود لسليمان ميزانية خصصت لبناء البيت « هأنذا في مذلتي هيأت لبيت الرب ذهبا مئة الف وزنة . وفضة ألف ألف وزنة . ونحاساً وحديداً بلا وزن لأنه كثير . وقد هيَّأْت خشبا وحجارة . فتزيد عليها . وعندك كثيرون من عاملي الشغل نحاتين وبنائين ونجارين وكل حكيم في كل عمل . . وليكن الرب معك . . . وأمر داود جميع رؤساء إسرائيل ان يساعدوا سليمان ابنه . . . فالآن اجعلوا قلوبكم وأنفسكم لطلب الرب إلهكم . . وقوموا وابنوا مقدس الرب الإله ليُؤ تى بتابوت عهد الرب وبآنية قدس الله إلى البيت الذي يُبْنى لاسم الرب »[٢] .

وأخذ سليمان بيت الرب ، وبالغ في بنائه إلى درجة تكاد تكون أسطورية من خلال ما تقصه التوراة . ولا أرى ضرورة لذكر مواصفات هذا البناء الذي بناه سليمان ويقول فيه « والبيت الذي أنا بانيه عظيم لأن إلهنا أعظم من جميع الآلهة . ومن يستطيع أن يبني له بيتاً لأن السموات وسماء السموات لا تسعه ومن أنا حتى أبني له بيتاً إلا للإيقاد أمامه»[٣]

« وكمل جميع العمل الذي عمله سليمان لبيت الرب وأدخل سليمان أقداس داود أبيه . . في خزائن بيت الله . . حينئذ جمع سليمان شيوخ اسرائيل وكل رؤساء الأسباط رؤساء الآباء لبني اسرائيل إلى أورشليم لإصعاد تابوت عهد الرب من مدينة داود . هي صهيون»[٤] .

فأمر الرب إلى داود وسليمان لبناء البيت إنما هو تمهيد لبناء بيته الأبدي ، الأقصى الذي باركه الله بإسراء رسول الله محمدﷺ ، وعمل داود وسليمان يشبه إلى حد بعيد أمر الرب ابراهيم واسماعيل ببناء البيت الأبدي في مكة المكرمة الذي

---

(١) أخبار الأيام الاول ٢٢ : ٦ ـ ١٠

(٢) أخبار الأيام الاول ٢٢ : ١٤ ـ ١٩

(٣) اخبار الأيام الثاني ٢ : ٥ ـ ٦

(٤) أخبار الايام الثاني ٥ : ١ ـ ٢

شاء الله سبحانه أن يتصلا اتصالاً أبدياً وأن تتوثق دعوة محمد باسرائه ﷺ من بيت ابراهيم واسماعيل في مكة إلى البيت الذي عمره إيمان المؤمنين الموحدين المسلمين ، المسجد الأقصى في القدس التي اختارها الله لتكون المدينة المقدسة المطهرة .

« حينئذ قال سليمان . قال الرب إنه يسكن في الضباب . وأنا بنيت لك بيت سكني مكاناً لسكناك إلى الأبد . . . وقال مبارك الرب إله اسرائيل الذي كلم . بفمه داود أبي وأكمل بيديه قائلاً . منذ يوم أخرجت شعبي من أرض مصر لم أختر مدينة من جميع اسباط اسرائيل لبناء بيت ليكون اسمي هناك . . بل اخترت اورشليم ليكون اسمي فيها . . . »[1] .

وبيت الرب هذا لن تستجاب فيه دعوة ولن تقبل فيه صلاة إذا أخطأ شعب إسرائيل وفعلوا المعاصي . وهذا هو ميثاق الرب مع المؤمنين منذ الأزل . وهذا هو الميثاق الذي رفضه اسرائيل فكان بسببه خراب البيت بيد الأقوام الأخرى عقابا لهم كما أمر الرب ، وأجعله هزأة كما تذكر التوراة فإن ما يعمر بيوت الله من آمن بالله واليوم الآخر « وتراءى الرب لسليمان ليلا وقال له . قد سمعت صلاتك واخترت هذا المكان لي بيت دبيحة . إن أغلقت السماء ولم يكن مطر وإن أمرت الجراد أن يأكل الأرض وإن أرسلت وبأً على شعبي . فإذا تواضع شعبي الذي دعي اسمي عليهم وصلّوا وطلبوا وجهي ورجعوا عن طرقهم الردية فإنني اسمع من السماء واغفر خطيتهم وأبرىء أرضهم . . . وأنت إن سلكت أمامي كما سلك داود أبوك وعملت حسب كل ما أمرتك به وحفظت فرائضي وأحكامي فإني أثبت كرسي ملكك . . ولكن إن انقلبتم وتركتم فرائضي ووصاياي التي جعلتها أمامكم وذهبتم وعبدتم آلهة اخرى وسجدتم لها فإني أقلعهم من أرضي التي اعطيتهم إياها وهذا البيت الذي قدسته لاسمي اطرحه من أمامي وأجعله مثلاً وهزأة في جميع الشعوب»[2] .

---

(١) أخبار الأيام الثاني ٦ : ١ ـ ٥

(٢) أخبار الأيام الثاني ٧ : ١٢ ـ ٢٠

ولن يكون صعبا معرفة سبب خراب الهيكل إلى الأبد ، وضياع أرضه التي يلهث خلفها بنو اسرائيل علّهم يجدونها ، والتوراة تذكر هذا الخراب المسبق ، لأن اسرائيل لن يفوا بشرط الميثاق وهو الإيملن « وهذا البيت الذي كان مرتفعا كل من يمرّ به يتعجب ويقول لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت . فيقولون من أجل أنهم تركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها لذلك جلب عليهم كل هذا الشر»[١].

وكفر بنو اسرائيل ، وكان عقاب الرب لهم وللبيت بيد الأقوام الأخرى ، فكان خراب البيت الأول بيد بنوخذنصر البابلي سنة ٥٨٧ ق . م، فقد تمرد صديقا على بنو خذنصر مستعينا بالمصريين . وثارت يهودا على بابل وقاومت اورشليم الحصار البابلي ثمانية عشر شهراً سقطت بعدها المدينة . وبعد شهر من سقوطها أرسل بنو خذنصر أحد قواده إلى أورشليم ومعه تعليمات لمحوها . فجعلها قاعا صفصفا وهدم المعبد وأخذت كنوزه الذهبية وسبي اليهود إلى بابل .

وفي السنة الأولى لحكم كورش أصدر مرسوماً خطير الأثر في تاريخ اليهود . إذ أعلن مسؤوليته الشخصية عن إصلاح كل شيء وأعيدت أواني المعبد المقدسة التي أخذها بنوخذنصر . وسمح بعودة من يرغب من اليهود المنفيين الى أورشليم وفرض ضريبة على من بقي منهم في المنفى لإعادة بناء المعبد بأورشليم . . وكرس كورش حياته لبناء المعبد الجديد في مكانه القديم ولكن عمله هذا لم يذكر في الوثائق[٢].

وتذكر التوراة ذلك فتقول « في ايامه (يهوياقيم) صعد بنو خذنصر ملك بابل فكان له يهوياقيم عبداً ثلاث سنين . ثم عاد فتمرد عليه . فأرسل الرب عليه غزاة الكلدانيين وغزاة الأراميين وغزاة الموآبيين وغزاة بني عمّون وأرسلهم يهوذا على ليبيدها حسب كلام الرب الذي تكلم به عن يد عبيده الأنبياء . . . وجاء بنو خذنصر ملك

(١) أخبار الأيام الثاني ٧ : ٢١ ـ ٢٢

(٢) عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ٩٨ ، ٩٩ سنة ١٩٧٤ . الهيئة المصرية العامة للكتاب.

بابل على المدينة وكان عبيده يحاصرونها . وأخرج من هناك جميع خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وكسر كل آنية الذهب التي عملها سليمان ملك اسرائيل في هيكل الرب كما تكلم الرب . وسبى كل اورشليم وكل الرؤساء . . »[١] .

وفي الشهر الخامس في سابع الشهر وهي السنة التاسعة عشرة للملك بنوخذ ناصر ملك بابل جاء نَبوزَرادان رئيس الشرط عبدُ ملك بابل إلى أورشليم وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار . وجميع أسوار أورشليم مستديراً هدمها كل جيوش الكلدانيين الذين مع رئيس الشرط . وبقية الشعب الذين بقوا في المدينة والهاربون الذين هربوا إلى ملك بابل وبقية الشعب الذين بقوا في المدينة والهاربون الذين هربوا إلى ملك بابل وبقية الجمهور سباهم نبوزرادان رئيس الشرط . وأعمدة النحاس التي في بيت الرب والقواعد وبحر النحاس الذي في بيت الرب كسرها الكلدانيون وحملوا نحاسها إلى بابل . والقدور والرفوش والمقاصّ والصحون وجميع آنية النحاس التي كانوا يخدمون بها أخذوها . والمجامر والمناضح . ما كان من ذهب فالذهب وما كان من فضة فالفضة أخذها رئيس الشرط»[٢] .

«وفي السنة الأولى الكورش ملك فارس عند تمام كلام الرب بفم إرميا نبه الرب روح كورش ملك فارس فأطلق نداء في كل مملكته وبالكتابة أيضاً قائلاً . هكذا قال كورش ملك فارس جميع ممالك الأرض دفعها لي الرب إله السماء . وهو أوصاني أن أبني له بيتا في أورشليم التي في يهوذا . من منكم من كل شعبه ليكن إلهه معه ويصعد إلى أورشليم التي في يهوذا فيبني بيت الرب إله اسرائيل . هو الإله. الذي في أورشليم . وكل من بقي في أحد الأماكن حيث هو متغرب فلينجده اهل مكافه بفضة وذهب وبأمتعة وبهائم مع التبرع لبيت الرب الذي في اورشليم

---

(١) الملوك الثاني ٢٤ : ١ ـ ٢

(٢) الملوك الثاني ٢٥ : ٨ ـ ١٥

والملك كورش اخرج آنية بيت الرب التي أخرجها بنو خذنصر من أورشليم وجعلها في بيت آلهة »[1].

وقتل كورش في إحدى حملاته عام ٥٣٠ ق . م ولم يبن من المعبد الثاني إلا أساساته. وظل الأمر كذلك حتى عام ٥٢٢ ق. م حينما تولى ابنه العرش. وقام زربّابل بإتمامه عام ٥١٦ ق . م . وتم هذا في السنة الثانية لحكم داريوس بن كورش.

«فالآن تشدد يازربابل يقول الرب وتشدد يا يهوشع بن يهو صادق الكاهن العظيم وتشددوا ياجميع شعوب الأرض يقول الرب واعملوا فإني معكم يقول رب الجنود . . مجد هذا البيت الأخير يكون اعظم من مجد الأول . قال رب الجنود . وفي هذا المكان اعطى السلام يقول رب الجنود»[2].

لقد كان الهيكل مكان اجتماع يسوع فيما بعد باليهود ، الفريسيّن والصدوقيين والشعب ، يدعوهم ويهديهم ، وكان منطلق دعوة يسوع إلى المحبة والسلام .

ولم يبن البيت من جديد إلا ليكون منطلق دعوة يسوع وشرط إقامته هو الشرط الأول والأخير ذاته . ذلك هو الإيمان بالله والعمل بوصاياه وفرائضه وأحكامه .

وكان تصميم المعبد الثاني على نمط معبد سليمان من حجارة منحوته وكتل من خشب « ليبن البيت المكان الذي يذبحون فيه ذبائح ولتوضع أسسه . ارتفاعه ستون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً. بثلاثة صفوف من حجارة عظيمة وصف من خشب جديد . ولتعط النفقة من بيت الملك . وأيضاً آنية بيت الله التي من ذهب وفضة التي أخرجها بنو خذ نصر من الهيكل الذي في اورشليم وأتى بها إلى بابل فلترد وترجع الى الهيكل الذي في أورشليم الى مكانها وتوضع في بيت الله»[3]

(١) عزرا ١ : ١ - ٤ ، ٧

(٢) حجيّ ٢ : ٤ - ٥ ، ٩

(٣) عزرا ٦ : ٣ - ٦

ومع ان المعبد الثاني لم يكن منمقا مثل المعبد الأول إلا أنـه كان البنـاء الوحيد ، في المدينة المهدمة. وكان المعبد الأول قائماً وسط مجموعة كبيرة من المباني الملكية في قصر الملك ، دار القضاء، ثكنات العساكر، دار الأسلحة . كل ذلك داخل مجموعة المباني وهدمت هذه كلها ولم يبق غير المعبد الثاني فوق تل المرّيا[1]

ولا يهمني الإفاضة هنا في الأحداث التاريخية للهيكل ، ولكن أحداثه من خلال التوراة ، ومدى ارتباط هذه الأحداث بشرط الميثاق الذي كان منذ شاء الرب ان يكون فرع اسحق هو فاتحة النبوات القائمة على التوحيد المطلق والايمان بالله الواحد الأحد .

وبناء المعبد الثاني إنما هو بناء أريد به استقبال عهد جديدة ونبوة جديدة بل رسالة جديدة مكملة لناموس موسى ، والشرط واحـد لا يتغير التـوحيد والتـوحيد الخالص، فإن كان ذلك التوحيد أساساً فالبيت ، بيت الله سيعطي الناس السلام، والبيت الثاني سيكون أعظم من البيت الاول بإيمان المؤمنين بالدعـوة الجـديدة الموحدة .

والبيت سيبنى للعهد الجديد الذي سيأتي فيه مخلص إسرائيل ، والبناء هو بناء نفوس بالإيمان والتوحيد وسينبت من وسط إسرائيل « هوذا الرجل الغصن اسمه ومن مكانه ينبت ويبني هيكل الرب . فهو سيبني هيكل الرب وهو يحمل الجلال ويجلس ويتسلـط علـى كرسيه ويكون كاهنـاً علـى كرسيه وتـكون مشـورة السلام . . »[2] .

وزرُ بابل الذي يرمز به إلى يسوع هو الذي سيبني البيت يقول زكريا الكاهن في بعض رؤاه « فأجاب الملاك الذي كلمني وقال لي أما تعلم ما هذه فقلت لا يا سيدي . فأجاب . . هذه كلمة الرب إلى زربّابل قائلاً لا بالقـدرة ولا بالقـوة بل

(١) القدس الخالدة ١٠٠

(٢) زكريا ٦ : ١٢ - ١٣ .

بروحي قال رب الجنود . . . وكانت إليّ كلمة الرب قائلاً . إن يدي زربّابل قد أسستا هذا البيت فيداه تتمانه فتعلم أن رب الجنود أرسلني إليكم »(١) .

والبيت أو الهكيل الذي سيبنى من جديد سيسير إليه السيد المخلص صاحب الدعوة « هأنذا أرسل ملاكي فيهيّء الطريق أمامي ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به هوذا يأتي قال رب الجنود . ومن يحتمل يوم مجيئه ومن يثبت عند ظهوره لأنه مثل نار الممحِّص ومثل أشنان القصار »(٢) .

وبيت الرب مكان للرحمة تفتح به كوى السموات إذا حافظ أصحابه على الوصايا والفرائض ولكنهم « من أيام آبائكم حدتم عن فرائضي ولم تحفظوها . ارجعوا إليّ أرجع إليكم قال رب الجنود . فقلتم بماذا نرجع . أيسلب الانسان الله . فإنكم سلبتموني . فقلتم بم سلبناك . في الشعور والتقدمة . قد لعنتم لعناً وإيايَ أنتم سالبون هذه الأمة كلها . هاتوا جميع العشور إلى الخزنة ليكون في بيتي طعام وجربوني بهذا قال رب الجنود إن كنت لا أفتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع . . »(٣) .

ولكن اليهود لم يحفظوا الفرائض والوصايا . ولم يعملوا بها وكفروا وحق عليهم وعلى بيتهم الخراب والدمار الأبدي ، وبين عشية وضحاها يصبح هذا البيت أثراً بعد عين في عام ٧٠ م ، لأنه استحال إلى مغارة لصوص ، ومأوى فجرة وكفرة .

وتوجه تيطس الروماني إلى أورشليم ، ودخلت جيوشه المعبد الداخلي وأشعلت النار في قدس الاقداس وأضرمت النار في المدينة كلها ، وذبح آلاف المدنيين والكهنة والعلمانيين والنساء والأطفال . وأمر تيطس بإبادة المدينة كلها .

---

(١) زكريا ٤ : ٤ - ٦ ، ٨ - ٩ .

(٢) ملاخي ٣ : ١ - ٢ .

(٣) ملاخي ٣ : ٧ - ١٠ .

وعاد تيطس إلى روما وقام هو ووالده بموكب كبير عرضت فيه كنوز المعبد وأخصها الشمعدان الذهبي ذو الشعب السبع وشريعة اليهود وسار في الموكب أسرى اليهود الذين جيء بهم من أورشليم وأقام قوساً في ساحة روما سماه قوس النصر . ونقش عليه مناظر كثيرة منها موكب الأسلاب من المعبد . وأهمها تمثيل مقصورة الشمعدان[1] .

وخيم الخراب والدمار على أورشليم وعلى المعبد وأزيل الهيكل المركزي من الوجود . وصدق فيها قول المسيح عليه السلام « يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها . . وكم أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة أفراخها تحت جناحيها ولم تريدي هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » .

وانتهى حال المعبد إلى الخراب الذي قضاه الله سبحانه وتعالى عليه ، إلى الأبد ، وبيوت الله لا تعمر إلا بالمؤمنين الموحدين الذين لا يشوب إيمانهم أدنى شرك .

ولن يقوم لهذا البيت اليهودي قائمة لأنه لا راد لحكم الله ، وقد شهد التاريخ صوراً من محاولات اعادة بنائه ، وكلها قضي عليها بالفشل .

وإحدى هذه المحاولات تلك التي قام بها الامبراطور الروماني جوليان الذي اعتلى العرش سنة ٣٦١ م وارتد عن المسيحية ، وقد أرسل هذا برسالة إلى جميع الجاليات اليهودية في مملكته يؤكد فيها عزمه على إعادة بناء الهيكل ، وكان قصده من وراء ذلك إبطال النبوة ، نبوة المسيح عليه السلام .

وخصص جوليان أموالاً لهذا العمل ، وجمع مواد البناء وأقام جيشاً من العمال لتنظيف المكان من القذارة التي كانت قد تراكمت عليه منذ قرون .

وقد تعطل هذا العمل في الوقت نفسه الذي بدأ فيه وذلك بسبب ظاهرة غير عادية وهي اشتعال النيران والانفجارات المدوية ، وقد فسرت هذه الظاهرة بسهولة

---

(١) القدس الخالدة ١٤٦ ، ١٤٧ .

في تلك الأيام كحكم سماوي على هذه المحاولة المباشرة لإبطال نبوءة المسيح[1] ، واليهود أنفسهم لم يشتركوا آنذاك في هذا العمل ، لأن الله قد حكم عليهم حكمه ، ولا راد لحكم الله سبحانه .

ومع هذا الحكم السماوي تعود اسرائيل بين الفينة والأخرى إلى اشعال النيران في المسجد الأقصى مدعية أن أرضه هي أرض الهيكل ، ويتمادون في خيالاتهم حين تخيل إليهم أن بإمكانهم إعادة بناء ما اندثر وانتهى .

وتتخذ من حائط البراق الشريف مبكى يبكون عنده ما غبر من أيامهم ، ويدعون ملكيته لأنه في ظنهم الجزء الباقي من سور أورشليم القديم وأنه الحائط الخارجي للهيكل الذي رممه هيرود ودمره تيطس سنة ٧٠ م .

وقد بحثت قضية هذا الحائط في المحافل الدولية ، وتوصل المتباحثون فيها إلى الحقائق التي هي أصل تاريخ هذا الحائط .

فقد شكلت لجنة دولية سنة ١٩٣٠ م للتحقيق في حائط البراق الشريف ، وكان أعضاؤها من الدول المسيحية . ووافق مجلس الأمم في ٥ أيار (مايو) عام ١٩٣٠ م على تأليفها . وأقر اليهود صلاحيتها . وكان لهم ثلاثة وكلاء هم المحامي مردخاي إلياش ، وداود يلين (مستوطن قديم) والحاخام موشو بلاو . وأصدرت اللجنة قرارها كما يلي « للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك الوقف .

وللمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة المقاربة للحائط لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير »[2] .

---

(١) تاريخ فلسطين القديم ١٣٠ .

(٢) القدس الخالدة ١٩٠ .

ولكن ما قصة أرضية المسجد الأقصى وقبة الصخرة؟وما قصة هذه الصخرة؟

الصخرة هي إحدى صخور مرتفعات أورشليم ، وترتفع عن سطح الأرض في بعض جهاتها بحوالي متر ، ومحيطها حوالي عشرة أمتار . ومن أسفلها فجوة هي بقية كهف عمقه أكثر من متر ونصف ، وتظهر الصخرة وكأنها معلقة بين السماء والأرض .

وهذه الصخرة بلا شك غير الصخرة التي يقصدها اليهود ، فقد ذكر التلمود أن صخرتهم كانت ترتفع عن مستوى سطح الأرض ثلاث أصابع[1] .

وكانت صخرة أورشليم القدس قبلة المسلمين مدة ستة عشر شهراً حتى السنة الثانية للهجرة ، ثم كان أمر الله سبحانه بتغيير القبلة منها الى بيت الله الحرام في مكة المكرمة ، وهذا التغيير واحد من امتحانات المؤمنين التي يثبتون من خلالها نجاحهم في درس الإيمان والتوحيد ، وهذا الامتحان يقول فيه سبحانه « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم . قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون »[2] .

وهذه الصخرة من جنة الفردوس لقوله ﷺ « إن الجنة تحنّ شوقاً الى بيت المقدس وصخرة بيت المقدس من جنة الفردوس وهي حرة الأرض » .

ولما قدم عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس ، ووجد الصخرة رفع عنها الدمن ، وبعد أن غسلها المطر ثلاث مرات صلى فيها . وهي الصخرة التي صعد عنها رسول الله ﷺ في المعراج وعاد إليها[3] .

---

(١) المرجع السابق ١٩٠ .
(٢) البقرة ١٤٣ ـ ١٤٤ .
(٣) القدس الخالدة ١٩٢ .

تلك هي الصخرة ، التي كانت نقطة بدء التوحيد الحق فوق كهف ملكي صادق اليبوسي الاورشليمي الكنعاني الفلسطيني ، وهي علامة أرض التوحيد ، مهبط الرسالات والرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وهي علامة الأرض التي سيقام عليها بيت الله الأبدي المسجد الأقصى وقبة الصخرة وهي أول قبلة باركها الله سبحانه .

وأمر الله سبحانه بإقامة الهيكل السليماني التوراتي فوق تلك الأرض إنما هو الأمر بعبادته وتوحيده والإيمان به وباليوم الآخر من خلال هذا الرمز الذي هو بيته .

ولكن اليهود كفروا وأشركوا فهدم لله سبحانه الهيكل بيد البابليين ، ليس لأنهم أقوياء ولكن لأن بني إسرائيل قد فجروا وفاضت آثامهم ، وعظمت رجاساتهم كما تذكر التوراة .

ويشاء الله أن يعاد بناؤه ، ليس لبني إسرائيل ، فقد انتهى دورهم فيه ، إذ لم يكن لهم من دور المؤمنين الموحدين ، ولكن ليتهيأ البيت لاستقبال الرسول الجديد والدعوة الجديدة ، دعوة عيسى عليه السلام ، وانطلق من الهيكل السلام .

ومع هذا كفرت اسرائيل التي أرسل اليها عيسى بدعوته الموحدة ، وذلك يعني انتهاء دور وبدء دور آخر ، انتهاء دور بني إسرائيل أصحاب شريعة موسى . فقد ضيعت هذه الشريعة بفرائضها ووصاياها وأحكامها .

ويكمل الدور الأول بعيسى عليه السلام ، ولا بد لهذا الشعب أن يؤمن لو كتب الله له الإيمان والهداية ، ولكن « من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون »(١) .

وتقام بيوت لله ، ولا نعرف بيتاً من بيوت الله عفا عليه الزمن واندثر اندثار الهيكل ، فبيوت الله إنما هي للعبادة والتسبيح وذكر الله « في بيوت أذن الله تُرفع

---

(١) الأعراف ١٨٦

ويذكر فيها اسمه ويسبح له فيها بالغدو والآصال »[٢] .

وكما كفر اليهود بموسى كفروا بعيسى ، وكما دنسوا الهيكل الأول فقد دنسوا الثاني والأخير إلى الأبد في عهد عيسى ، وحقت عليهم وعليه كلمة الله ، بالخسران المبين ، وهو بالزوال إلى يوم الدين .

وتتحدد معالم الطريق بين اليهودية والمسيحية إذ « لتجدن أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسّيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون »[٣] .

وتنتظر السموات والأرض خاتم المرسلين الذي بشر به عيسى ابن مريم ، فكان محمد ﷺ وكان دينه الإسلام و « إن الدين عند الله الإسلام » وكانت الدعوة الانسانية الشاملة الكاملة « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً »[٥] .

فكان الإسلام ، وفيه توجه المسلمون أول ما توجهوا في صلاتهم إلى القدس الشريف ، إلى المسجد الأقصى و « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله »[٦] .

وإن أول مسجد وضع في الأرض المسجد الحرام ثم المسجد الأقصى . عن أبي ذر رضه قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض قال : المسجد الحرام . قلت ثم أيٌّ ؟ قال المسجد الأقصى »[٧] .

ويتضح سر الخلق والخليقة إذ « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »[١] .

---

(١) النور ٣٦ .

(٢) المائدة ٨٢ .

(٣) آل عمران ١٩ .

(٤) سبأ ٢٨ .

(٥) الإسراء ١ .

(٦) تفسير القرطبي ٢ : ١٣٧٩ .

(٧) الذاريات ٥٦ . دار الشعب ـ القاهرة

فالعبادة المطلقة والتوحيد الخالص أول علامات الصخرة ، صخرة ملكي صادق التي بارك إبراهيم عندها ، ومنها انطلق إبراهيم في دعوة التوحيد ، ومنها انطلق إلى مكة ليبني بمشيئة الله سبحانه بيت الله الحرام وترتبط الصخرة بالبيت الحرام بالجوهر ، وترتبطان بإسراء محمدﷺ من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى في القدس ، وليبقى بين زوايا الكتب ذلك المعبد الذي كان في يوم ما فوق أرض كانت كلها تتهيأ لبيت أعظم بإيمان أهله . وبيت أثبت وأدوم وأبقى بتوحيد المسلمين المؤمنين .

وانقضى ذلك العهد التوراتي بمعبده ؛ وكان ذلك لأن بني إسرائيل قد هدموا الشريعة ، وحادوا عن طريقها السليم فقالت توراتهم « كل من يصنع الشر يحسن في عيني الرب » .

يقول رسول اللهﷺ « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » .

وعن ابن عباس رضه قال « البيت المقدس بنته الأنبياء ، وسكنته الأنبياء ، ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي أو قام فيه ملك » .

وخلود بيوت الله وبقاؤها ودوامها وعمارها . مرهون بالإيمان بالله « ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر اولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخْش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين »[1] .

---

(١) التوبة ١٧ ـ ١٨ .

أورشليم والهيكل في الأناجيل

تعتبر صورة أورشليم في الأناجيل امتداداً لصورتها في التوراة ، ذلك لأنها صورة منعكسة عن أخلاق أهلها ومعتقداتهم .

وأورشليم في عهد المسيح هي مدينة التوراة ذاتها ولكن غلواءها لم يعد بلا ضابط ، وتمردها لم يعد بلا كابح ؛ فإن التعاليم الجديدة قد أوجدت نوعاً مما يسمى التوازن الذي يجعل من صورتها التوراتية أقل حدة وعنفا وتمرداً وشراسة . فإن من اليهود الذين أرسل إليهم عيسى من آمن . إما الإيمان المطلق في كونه رسولا أرسله الله ليدعو إلى التوحيد ، وإما الإيمان الذي شابه فيما بعد ـ وحتى في عهد المسيح نفسه ـ شوائب شرك نفاها المسيح ورفضها رفضا عبر عنه القرآن الكريم فيما بعد .

والهيكل جزء من أورشليم ، وصورته مستمدة منها . وقد كانت صورته التوراتية تحمل ملامح كفر أهله وضلالهم وقسوة قلوبهم وغلاظة رقابهم .

وهو في الأناجيل يحمل الصورة ذاتها بكل أبعادها ، لأن المسيح قد وقف من الهيكل موقف المتشدد الذي لا يرى فيه غير مغارة للصوص ، مما دفع المسيح إلى أن ينظر إليه نظرة مغايرة لما كان اليهود عليها إزاءه . فالرب ليس بحاجة إلى مثل هذا البيت وذلك الهيكل ما دام قد استحال إلى أماكن كفر وخطيئة وبيع وشراء .

فبيت الرب هو أي مكان ترتفع فيه كلمته ، وتعلو فيه رايته ، ولكن الكفر بنقض هذه البيوت من أساسها . إذ إن إقامته مرهونة بإيمان أهله الايمان المطلق بالله الواحد الأحد العلي القدير ، وإلا فإن بيت الرب يصبح بلا قيمة ، ويكتب له أن يدمر ويزول إلى الأبد ، ولا تقوم له قائمة كما حدث لهيكل بني اسرائيل . فبيوت الله تلك التي يذكر فيها اسمه ويسبح له فيها بالغدو والآصال « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ويسبح له فيها بالغدو والآصال »[1] .

وأول صورة تطالعنا لأورشليم في الأناجيل هي استقبالها المجوس الذين جاءوا من المشرق وقد رأوا النجم الذي عرفوا منه أن رسولاً قد ولد هناك « ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودوس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين . أين هو المولود ملك اليهود . فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له . فلما سمع هيرودوس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه . فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح فقالوا له في بيت لحم اليهودية لأنه هكذا مكتوب بالنبي »[2] .

ثم إن أول امتحان ليسوع من إبليس كان في المدينة المقدسة وعند الهيكل « ثم أخذه ابليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل . وقال له : إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك قال له يسوع مكتوب أيضا لا تجرب الرب إلهك »[3] .

وتذكر الأناجيل دخول يسوع أورشليم بعد أن أوحي إليه ، وهذا الدخول قد ذكرته التوراة ، حيث بشرت بعيسى « ولما قربوا من أورشليم وجاءوا الى بيت فاحي عند جبل الزيتون حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلا لهما : اذهبا الى القرية

---

(١) النور ٣٦ .
(٢) إنجيل متى ٢ : ١ ـ ٥ .
(٣) متى ٤ : ٥ ـ ٧ .

التي أمامكما . فللوقت تجدان أتانا مربوطة وجحشا معها فحلاهما وأتياني بهما . وإن قال لكما أحد شيئاً فقولا الرب محتاج إليهما . فللوقت يرسلهما . فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل . قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكبا على أتان وجحش ابن أتان . فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع . وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما . والجمع الأكثر فرشوا ثيابهم في الطريق وآخرون قطعوا أغصانا من الشجر وفرشوها في الطريق. والجموع الذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين أوصنّا لابن داود . مبارك الآتي باسم الرب . أوصنّا في الأعالي . ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة . من هذا فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل »[١] .

ويرتبط الهيكل بأورشليم ارتباطاً توراتيا فحسب . فأورشليم هي الهيكل وما يدور فيه ـ والهيكل انعكاس لأهل أورشليم اليهود بكل آثامهم وخطاياهم ورجاساتهم . وأول عمل قام به يسوع هو التوجه إلى الهيكل الذي يفترض فيه أن يكون بيتا لله بما يجب أن يكون عليه من عبادة وتسبيح . « ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل . وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام ، وقال لهم . مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعى . وأنتم جعلتموه مغارة لصوص . وتقدم إليه عمي وعرج في الهيكل فشفاهم .

فلما رأى رؤساء الكهنة والكتبة العجائب التي صنع والأولاد يصرخون في الهيكل ويقولون أوصنّا لابن داود غضبوا وقالوا له أتسمع ما يقول هؤلاء ، فقال لهم يسوع نعم . أما قرأتم قط من أفواه الأطفال والرضَّع هيّأت تسبيحا . ثم تركهم وخرج خارج المدينة إلى بيت عنيا وبات هناك »[٢] .

والهيكل هو وكر اليهود ، ومكان تجمع شيوخهم ، وهؤلاء كذبوا يسوع ورفضوه وحاربوه ، وكانوا يتربصون له في كل كلمة يتفوه بها وكل آية يؤتاها بإذن

---

(١) متى ٢١ : ١ ـ ١١ .
(٢) متى ٢١ : ١٢ ـ ١٧ .

الله » ولما جاء إلى الهيكل تقدم إليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وهو يعلم قائلين . بأي سلطان تفعل هذا ومن أعطاك هذا السلطان . فأجاب يسوع وقال لهم وأنا أيضا أسألكم كلمة واحدة فإن قلتم لي عنها أقول لكم أنا أيضا . بأي سلطان أفعل هذا . معمودية يوحنا من أين كانت من السماء أم من الناس . ففكروا في أنفسهم قائلين إن قلنا من السماء يقول لنا فلماذا لم تؤمنوا به . وإن قلنا من الناس نخاف من الشعب . لأن يوحنا عند الجميع مثل نبي . فأجابوا يسوع وقالوا لا نعلم . فقال لهم هو أيضا ولا أنا أقول لكم بأي سلطان أفعل هذا »(1) .

ولكن الكتبة والفريسيين وشيوخ اسرائيل مضوا في مكابرتهم وكفرهم وعتوهم وحربهم ليسوع بلا هواده ، وأورشليم هي مجتمع أولئك بكل آثامهم وملتقى صراعاتهم . فكان لا بد لهذه المدينة أن تخرب وتدمر مرات ومرات حتى تتطهر لاستقبال الدعوة الجديدة التي تأتي أول ما تأتي لتحطيم الأصنام التي لا تقوم لها قائمة في ظل دعوة التوحيد .

ولكن أورشليم تكابر وتغالي في تمردها على الدعوة الجديدة وكانت دعوة يسوع عليها وحيا من السماء « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين . إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هوذا بيتكم يترك لكم خرابا »(2) .

وإن حل الخراب بأورشليم فهو يحل بالهيكل بلا شك لأن الاثنين متلازمان ومترابطان برباط الفساد اليهودي « ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل . فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه . الحق أقول لكم إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض »(3) .

وقد فصّل لهم يسوع ذلك الخراب الآتي الذي يأتي على المدينة في لحظة

---

(1) متى ٢١ : ٢٢ - ٢٧ .
(2) متى ٢٣ : ٢٧ - ٢٨ .
(3) متى ٢٤ : ١ - ٢ .

خاطفة مباغتة « فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس . ليفهم القارىء . فحينئ؟ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال . والذي على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئا . والذي في الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه . وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام . وصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء ولا في سبت . لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون »[1] .

والعلامات المؤذنة بهذا الخراب لأورشليم والهيكل قد أجاب عنها يسوع حين سئل « وفيما هو جالس على جبل الزيتون تجاه الهيكل سأله بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس على انفراد . قل لنا متى يكون هذا وما هي العلامة عندما يتم جميع هذا . فأجابهم يسوع وابتدأ يقول . انظروا لا يضلكم أحد . فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين . إني أنا هو . ويضلون كثيرين . فإذا سمعتم بحروب وبأخبار حروب فلا ترتاعوا . لأنها لا بد أن تكون . ولكن ليس المنتهى بعد . لأنه يقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة . وتكون زلازل في أماكن ، وتكون مجاعات واضطرابات . هذه مبتدأ الأوجاع . . »[2] .

والخراب الذي حدث به يسوع هو ذاته الذي ذكرته التوراة « ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة . ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجرا على حجر لأنك لم تعرفي زمن افتقادك »[3] .

وأورشليم هي أيضا ساليم ، هكذا وردت في الأناجيل . وساليم هي يبوس التي بناها اليبوسيون منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد أي قبل غزو اليهود لفلسطين بحوالي أربعة عشر قرنا . وحرفت ساليم إلى شاليم . حتى عرفت بأوروشاليم وأوروساليم « وبعد هذا جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية ومكث معهم هناك وكان يعمِّدُ . وكان يوحنا أيضا يعمد في عين نون بقرب ساليم لأنه كان هناك مياه كثيرة »[4] .

---

(١) متى ٢٤ : ١٥ - ٢١ .
(٢) مَرقُس ١٣ : ٣ - ٨ .
(٣) لوقا ١٩ : ٤٣ - ٤٤ .
(٤) يوحنا ٣ : ٢٢ - ٢٣ .

والهيكل هو مكان اجتماع الرسل أيضا باليهود للدعوة ، ويستمر رئيس الكهنة في التصدي لهم ومحاربتهم كما حاربت يسوع ، ويقوم رئيس الكهنة والصدوقيون فيحبسون الرسل في حبس العامة « ولكن ملاك الرب في الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم وقال اذهبوا قفوا وكلموا الشعب في الهيكل بجميع كلام هذه الحياة . فلما سمعوا دخلوا الهيكل نحو الصبح وجعلوا يعلمون »[1] .

فهيكل اليهود لم يكن مكان عبادة لله العلي الأحد ، وعبادة الله لا تقتصر على الهيكل أو أي مكان عبادة آخر . فالأصل هو الايمان وليس المعبد « لكن العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات بالأيادي كما يقول النبي . السماء كرسي لي والأرض موطىء لقدمي . أي بيت تبنون لي يقول الرب وأيٌّ هو مكان راحتي . أليست يدي صنعت هذه الأشياء كلها »[2] .

وهيكل اليهود هو الوكر الذي يستدرج إليه من يحارب شريعتهم صنع أيديهم . فقد مضى شيوخ اليهود وكهنتهم والفريسيون والصدوقيون في مطاردة رسل يسوع وحبسهم وتعذيبهم في أورشليم . والهيكل هو المكان الذي يستدرجون إليه حتى يتم القبض عليهم بالحيلة والمكر والخديعة اليهودية . وكان أعظم اتهاماتهم أن الرسل يعلمون جميع اليهود الارتداد عن موسى وشريعته .

وهذا بولس بعد أن استدرج إلى الهيكل حسب طلب شيوخ اليهود ليتطهر مع « أربعة رجال عليهم نذر . خذ هؤلاء وتطهر معهم وأنفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم فيعلم الجميع أن ليس شيء مما أخبروا عنك بل تسلك أنت أيضا حافظا للناموس . . حينئذ أخذ بولس الرجال في الغد وتطهر معهم ودخل الهيكل مخبراً باكمال أيام التطهير إلى أن يقرَّب عن كل واحد منهم القربان .

ولما قاربت الأيام السبعة أن تتم رآه اليهود الذين معه أسيّا في الهيكل فأهاجوا كل الجمع وألقوا عليه الأيادي صارخين . يا أيها الرجال الاسرائيليون

---

(١) أعمال الرسل ٥ : ١٨ ـ ٢١ .

(٢) السابق ٧ : ٤٨ ـ ٥٠ .

أعينوا . هذا هو الرجل الذي يعلم الجميع في كل مكان ضد الشعب والناموس وهذا الموضع ، حتى أدخل يونانيين أيضا إلى الهيكل ودنس هذا الموضع المقدس . . فهاجت المدينة كلها وتراكض الشعب وأمسكوا بولس وجروه خارج الهيكل وللوقت أغلقت الأبواب »[١] .

ولأورشليم صورتان القديمة التي تمثل العهد القديم . وأورشليم الجديدة العليا التي هي من الروح فهي الحرة « ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة فإنها مستعبدة مع بنيها . وأما أورشليم العليا التي هي أمنا جميعا فهي حرة لأنه مكتوب افرحي أيتها العاقر التي لم تلد . اهتفي واصرخي أيتها التي لم تتمخض فإن أولاد الموحشة أكثر من التي لها زوج . وأما نحن أيها الإخوة فنظير إسحق أولاد الموعد . ولكن كما كان حينئذ الذي ولد حسب الجسد يضطهد الذي حسب الروح هكذا الآن أيضا »[٢] .

وساليم أو أوروساليم وأوروشاليم أو يبوس هي مهد التوحيد ومهد السلام . وهي النواة الأولى أو اللبنة الأولى التي أرسيت لبناء التوحيد المطلق وذلك على يد ملكي صادق ملك ساليم . وهو الكاهن الأكبر الذي مهد لرتبة الكهنوت القائمة على عقيدة التوحيد . وكان يسوع فيما بعد على رتبة كهنوته ، وذلك يكشف عن جوهر عقيدة يسوع التي جاء بها ، وهي التوحيد كما أراده الله ، وذلك يبعد كل ما شاب دعوة يسوع من إضافات وزيادات أدخلها بولس الى الدعوة الأصلية ، وهي في مجموعها اضافات وثنية يونانية وسواها . « لأن ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلي الذي استقبل إبراهيم راجعا من كسره الملوك وباركه الذي قسم له إبراهيم عشرا من كل شيء . المترحم أولا ملك البر ثم أيضا ملك ساليم أي ملك السلام بلا أب بلا أم بلا نسب . بلا بداءة أيام له ولا نهاية حياة . بل هو مشبه بابن الله هذا يبقى كاهنا إلى الأبد .

---

(١) أعمال الرسل ٢١ : ٢٣ - ٣٣ .

(٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطيّة ٤ : ٢٥ - ٢٩ .

ثم انظروا ما أعظم هذا الذي أعطاه إبراهيم رئيس الآباء عشرا أيضا من رأس الغنائم . وأما الذين هم من بني لاوي الذين يأخذون الكهنوت فلهم وصيةٌ أن يعشروا الشعب بمقتضى الناموس أي إخوتهم مع أنهم قد خرجوا من صلب إبراهيم . ولكن الذي ليس له نسب منهم قد عشر ابراهيم وبارك الذي له المواعيد »[١] .

وتذكر رسالة العبرانيين في أورشليم أن رتبة الكهنوت قد انتقلت من كهنة لاوي إلى كهنة أخرى على رتبة كهنة ملكي صادق . وهذا يعني تغير الناموس وانتقاله أي تغير الشريعة ، فإن أهلها اليهود لم يحملوا تلك الأمانة السماوية كما شاءها الله ، ولا بد من قوم يحملونها ويحفظونها من العبث حتى يبقى توحيد الخالق أبديا ، ومن يحملها ليسوا اليهود بطبيعة الأمر ، وهذا ينفي صفة الاختيار الكاذب ووهم الاصطفاء المزعوم . ولكن من جاء استمرارا لكهنة ملكي صادق . الذي جاء أول من جاء بالتوحيد في أوروسالم وبهذا التوحيد بارك إبراهيم .

وهكذا تغير الناموس وانتقل إلى يسوع « فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال إذ الشعب أخذ الناموس عليه . ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق ولا يقال على رتبة هرون لأنه إن تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغير للناموس أيضا . لأن الذي يقال عنه هذا كان شريكا في سبط آخر لم يلازم أحد منه المذبح . فإنه واضح أن ربنا قد طلع من سبط يهوذا الذي لم يتكلم عنه موسى شيئا من جهة الكهنوت . وذلك أكثر وضوحاً أيضا إن كان على شبه ملكي صادق يقوم كاهن آخر . قد صار ليس بحسب ناموس وصية جسدية بل بحسب قوة حياة لا تزول . لأنه يشهد أنك كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق .

فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها . إذ الناموس لم يكمل شيئا . ولكن يصير إدخال رجاء أفضل نقترب به إلى الله . وعلى قدر ما إنه ليس بدون قسم . لأن أولئك بدون قسم قد صاروا كهنة وأما هذا فبقسم من القائل

---

(١) الرسالة إلى العبرانيين ٧ : ١ - ٦ .

له أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق . على قدر ذلك قد صار يسوع ضامنا لعهد أفضل . وأولئك قد صاروا كهنة كثيرين من أجل منعهم بالموت عن البقاء . وأما هذا فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول »[١] .

فالمدينة أو أورشليم هي مهد الايمان والتوحيد الذي كان ملكي صادق اليبوسي العربي الفلسطيني نواته وبارك به ابراهيم حتى يكون ابراهيم الخليل النبي صاحب دين الله الموحد ، وشعبه الموحد هو الذي يرتبط به بآصرة الايمان لا بآصرة النسب الدموي « بالإيمان ابراهيم لما دعي أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيدا أن يأخذه ميراثا . فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي . بالإيمان تغرب في أرض الموعد كأنها غريبة ساكنا في خيام مع إسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا المواعد عينه . لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله .

في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد . بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض » .

وقد تنبأت الأناجيل بخراب أورشليم والهيكل . وبخرابها تطوى أورشليم العاصية التي بغت وطغت وكفرت وتجبرت ، وطوي مع أورشليم القديمة وغيب في زوايا الفناء والزوال هيكلها وفي هذا قال يسوع « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين » .

ونلاحظ من خلال الأناجيل لأورشليم صورة باهتة لا تكاد تبرز لها ملامح ، ذلك لأنها الصورة التي كانت تتهيأ للطي ، لتنشر مكانها صورة جديدة يسطع فيه التوحيد من خلال الدعوة الجديدة .

أما الصورة الباهتة فلا تكاد تتعدى جنبات الهيكل الذي استحال إلى وكر ومغارة وسوق ويحسب هذا كله في حكم الماضي المندثر مما لا يكاد يفعل ما يفيد

(١) الرسالة إلى العبرانيين ٧ : ١١ - ٢٤ .

(٢) الرسالة إلى العبرانيين ١١ : ٨ - ١٠ ، ١٣ .

ويجد شريعة الله الجديدة. «وطوبى للذين يصنعون وصاياه لكي يكون سلطانهم على شجرة الحياة ويدخلوا من الأبواب الى المدينة. لأن خارجاً الكلاب والسَّحَرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان وكل من سحب ويصنع كذباً »(١).

وطوت الأيام هيكل اليهود إلى الأبد، ويشاء الله سبحانه أن تزول آثاره، وتمحى معالمه على الأرض، حتى إن التاريخ ليذكر محاولة الامبراطور الروماني جوليان المرتد عن المسيحية إعادة بناء الهيكل. وكان غرضه من ذلك إبطال نبوة المسيح. وأقام جيشا من العمال لتنظيف مكان الهيكل من القذارة، ولكن عمله تعطل في الوقت الذي بدأه فيه فقد اشتعلت النيران والانفجارات المدوية بسبب ظاهرة غير عادية وغير ممكن تفسيرها. وقد فسر هذا آنذاك بأنه حكم سماوي على المحاولة التي يراد بها إبطال حكم الله بإبطال نبوة المسيح(٤). « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون »(٢).

تلك هي سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا، حتى تكتمل رسالات السماء برسالة محمدﷺ وهي خاتمة الرسالات وهو خاتم الرسل والأنبياء و « إن الدين عند الله الإسلام »(٣).

---

(١) رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢٢ : ١٤ - ١٥.

(٢) تاريخ فلسطين القديم. ١٣.

(٣) التوبة ٣٢.

(٤) آل عمران.

الرب في التوراة

أول ملحظ يقف عليه دارس التوراة هو الإله فيها ، وأعني بذلك صورة الإله كما رسمته إسرائيل . فالإله أو الرب ليس هو الواحد الأحد العلي القدير خالق السموات والأرض ، ولكنه الإله صنع أيديهم ، وقد شكلته خيالاتهم ، وصنعته نفوسهم حسب ما يشاءون ويهوون .

وهذا الرب واحد منهم يغضب لغضبهم ، ويفرح لفرحهم ، يقاتل معهم ، وينهزم معهم ، وهو مثلهم يغضب ويثور ويندم ويحقد إلى آخر هذه المواصفات البشرية التي أخافوها الى ربهم صنعهم.

ويكاد يتخذ هذا الرب صوراً عدة ووجوها مختلفة مع كل خطوة خطوها على مسرح التوراة والتاريخ ويخطونها . ولكن كل هذه الوجوه تتفق في شيء واحد هو تجسيمهم أو تجسيدهم لذلك الإله أو الرب . فقد عبدوا الأرواح والأحجار والأغنام والأشجار ، وعبدوا العجل الذهب الذي صنعوه على عهد موسى رسول الله حين تأخر عن العودة إليهم في جبل الطور في سيناء . وبقيت عبادة العجل تتجدد في حياة بني اسرائيل من وقت إلى آخر ، فقد عمل يربعام بن سليمان عجلي ذهب ليعبدهما أتباعه حتى لا يذهبوا إلى الهيكل[١] . كما عبد أهاب ملك اسرائيل الأبقار بعد سليمان بقرن واحد[٢]

(١) الملوك الأول ١٢ : ٢٦ ـ ٢٨

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة ٢ : ٢٣٨ ـ الهامش .

وأبدأ بإله اسرائيل منذ أوجدته أيديهم في التوراة . فالإله في أزليته هو إله ابراهيم الذي اختص به هو واسحق ويعقوب الإله الواحد الأحد خالق السموات والأرض، وهؤلاء قد تبرأوا كما حدث القرآن الكريم من نسلهم الذين عصوا وكفروا وأشركوا. وهذا الخالق كما جاء في التوراة هو « . . وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً وكان كاهناً لله العلي وباركه وقال مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك . فقال أبرام لملك سدوم رفعت يدي إلى الرب الإله العلي مالك السماء والأرض لا آخذن لا خيطا ولا شراك نعل ولا من كل ما هو لك»[1] .

وإله ابراهيم هو إيل وقد ورد هذا في النصوص الكنعانية والآرامية ثم في النصوص المصرية أي قبل ظهور موسى بعدة قرون . . «و. . وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض . وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك اعطي هذه الأرض. فبني هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له ثم نقل من هناك إلى الجبل الشرقي شرقي بيت إيل ونصب خيمته . وله بيت إيل من المغرب »[2]

ورب ابراهيم هو رب يعقوب حين هرب من وجه أخيه عيسو «فأتى يعقوب إلى لوز التي في أرض كنعان وهي بيت إيل . وبنى هناك مذبحاً ودعا المكان إيل بيت إيل . لأنه هناك ظهر له الله حين هرب من وجه أخيه[3] » .

وإيل هو الذي بشر هاجر باسماعيل أي سمع الله « فولدت هاجر لأبرام ابنا ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر اسماعيل»[4]

ومن هذا نقرأ الأسماء المقترنة بـ إيل مثل خليل وأصلها خل إيل أي صاحب الإله وهو اسم يقترن بابراهيم الخليل فحسب « واتخذ الله إبراهيم خليلاً»[5] .

---

(١) تكوين ١٤ : ١٨ ـ ٢٢

(٢) تكوين ١٢ : ٨

(٣) تكوين ٣٥ : ٦.

(٤) تكوين ١٦ : ١٥

(٥) النساء ١٢٥

ومنها اسماعيل أي سمع الله واسرائيل وتعني عبد الإله[1] وقد قال الرب ليعقوب « . . لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل اسرائيل . لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت ، وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك . فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك»[2] .

والتوراة حين تتحدث عن ابراهيم تذكر الله وإيل « وقال الله لابراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي»[3] .

« ثم قال الله ليعقوب قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك واصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك»[4] .

وبقي اسم الله يتردد منذ ابراهيم ويعقوب حتى عهد موسى، وهنا بدأ يعرف باسم آخر وهو أهْيه فقد أمر الله موسى ان يذهب إلى فرعون ليخلص بني اسرائيل من ظلم المصريين « فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بني اسرائيل من مصر . فقال موسى لله من أنا حتى أذهب الى فرعون وحتى أخرج بني اسرائيل من مصر . فقال إني أكون معك وهذه تكون لك العلامة أني أرسلتك حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل . فقال موسى لله ها أنا آتي إلى بني اسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم . فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم. فقال الله لموسى أهْيَه الذي أهيْه . وقال هكذا تقول لبني إسرائيل أهْيَهْ أرسلني إليكم .

وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني اسرائيل يَهْوَهْ إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم . هذا اسمي إلى الأبد . .»[5].

---

(١) مفصل العرب واليهود في التاريخ ٤٩٣

(٢) تكوين ٣٢ : ٢٨

(٣) تكوين ١٧ : ٩

(٤) تكوين ٣٥ : ١

(٥) خروج ٣ : ١٠ ـ ١٥

وبروز الوجه الثاني للرب الذي هو يهوه في زمن موسى يعني أنه ليس رب ابراهيم واسحق ويعقوب الخالق العلي القدير ، وإنما هو يهوه بني اسرائيل . ويمثل موسى في هذه المرحلة الدور الثاني بعد دور إبراهيم واسحق ويعقوب ، ويمثل الدور الأول التوحيد الخالص لله والإسلام له .

ويبدأ دور يَهْوَه منذ عهد موسى ربا لإسرائيل ، ولكنه رب بشري غريب فيه من الصفات ما تجعله ليس مرشداً هادياً ، وإنما تجعله يمثل انعكاساً لصفاتهم واتجاهاتهم .

يقول ول ديورانت في هذا « يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه في الصورة التي كانوا هم عليها . وجعلوا منه إلهاً . ويؤيد ذلك أن من بين الآثار التي وجدت في كنعان سنة ١٩٣١ قطعا من الخزف من بقايا عصر البرونز (٣٠٠٠ ق . م .) عليها اسم إله كنعاني يسمى «ياه أو ياهو»[١] وهذا ليس خالقاً لهم بل هو مخلوق . وهذا الإله لا يأمرهم وإنما يسير وفق هواهم ويأتمر بأمرهم . يحارب معهم إن حاربوا ، ويدمر معهم حين يدمرون ، ويأمرهم بالسرقة إذا أرادوا ان يسرقوا . ويعلم منهم ما يريدونه أن يعلم، بل إنه لا يعلم من تلقاء نفسه ، ويطلب إليهم أن يعلموه . وهكذا صفات البشر الصقوها بربهم .

ومن خلال التوراة نثبت صفات هذا الرب . وأول صفاته أنه يأمر نساء اسرائيل بالسرقة والسلب من نساء المصريين قبل هربهم من مصر « فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضية وأمتعة ذهب وثيابا تضعونها على بنيكم وبناتكم . فتسلبون المصريين»[٢] .

وتكاد التوراة تجعل موسى ندا للرب ، فهو يتحدث إلى هذا الرب حديث من يظن في نفسه القدرة على اللجاج أمامه «فقال موسى للرب استمع أيها السيد .

(١) قصة الحضارة ٢ : ٣٤٠

(٢) خروج ٣ : ٢٢

لست انا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس»[1] .

ويعود موسى الى مجادلة ربه ولجاجه فيقول « استمع أيها السيد . أرسل بيد من ترسل . . . فحمى غضب الرب على موسى وقال أليس هرون اللاوي أخاك . . »[2].

ورب اسرائيل بشر يلد، وابنه البكر هو اسرائيل « فتقول لفرعون هكذا يقول الرب . اسرائيل ابني البكر . فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيت ان تطلقه . ها أنا أقتل ابنك البكر»[3] .

الرب هو رب اسرائيل فحسب وهم منه بمنزلة الابن البكر ، وهذه بداية ادعاءاتهم وخيالاتهم التي صورت لهم فكرة الاختيار والاصطفاء، وصدروا عن هذا يعبثون بالشريعة ، ويعيثون في الأرض الفساد والإفساد « وبعد ذلك دخل موسى وهرون وقالا لفرعون. هكذا يقول الرب إله اسرائيل أطلق شعبي ليعيدُّوا لي في البرية فقال فرعون من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق إسرائيل . . . فقالا إله العبرانيين قد التقانا»[4].

ويزداد موسى جرأة على ربه حتى إنه لينسب إليه الإساءة «فرجع موسى إلى الرب وقال يا سيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب . لماذا أرسلتني فإنه منذ دخلت الى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلى هذا الشعب وأنت لم تخلص شعبك »[5].

ويتواضع الرب امام موسى الى درجة تجعل من موسى إلها ، «فقال الرب لموسى انظر . أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهرون أخوك يكون نبيك . . »[6]

---

(١) خروج ٤ : ١٠
(٢) خروج : ٤ : ١٣ ـ ١٤
(٣) خروج ٤ : ٢٣
(٤) خروج ٥ : ١ ـ ٣
(٥) خروج ٥ : ٢٣
(٦) خروج ٧ : ١

ويصدّق وضاع التوراة ما اختلقوه بأيديهم حين جعلوا موسى إلهاً يأمر أخاه هرون نبيه بصنع المعجزات أمام فرعون ويجعلون بل ينسبون معجزات موسى كلها إلى هرون وفي مقدمتها العصا . . « وكلم الرب موسى وهرون قائلاً . إذا كلمكما فرعون قائلاً هاتيا عجيبة لهرون خذ عصاك واطرحها امام فرعون فتصير ثعبانا . . . فدعا فرعون أيضاً الحكماء والسحرة . ففعل عرافو مصر ايضاً بسحرهم كذلك . طرحوا كل واحد عصاه . فصارت العصي ثعابين. ولكن عصا هرون ابتعلت عصيهم»[1] .

والرب في التوراة غير عادل لأنه يميز خلقا دون خلق «لكي تعلموا ان الرب يميز بين المصريين واسرائيل»[2] .

والرب لا يعلم ، بل يطلب من اسرائيل ان تعلمه وترشده ، فقد قرر حينما كان بنو اسرائيل لا يزالون في مصر أمراً وهو « فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في ارض مصر من الناس والبهائم »[3]. ولكن الرب يخشى أن يخلط بين المصريين وبني اسرائيل ، ولذلك فهو يطلب من اسرائيل أن يعلموا بيوتهم حتى يعرفهم الرب من خلال هذه العلامة « ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها ض. فأرى الدم وأعبر عنكم . فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين اضرب أرض مصر»[4] .

ورب التوراة محسوس عند اصحابها . فهو يسير أمام الاسرائيليين ليلاً ونهاراً . فهو في الليل عمود نار يضيء لهم ، وهو في النهار عمود سحاب يهديهم « وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً . لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار

---

(١) خروج ٧ : ٨ ، ١١-١٢

(٢) خروج ١٠ : ٣

(٣) خروج ١٢ : ١٢

(٤) خروج ١٢ : ١٣

ليلاً من أمام الشعب»[١] .

ويعلل J. Smith هذا بأن شبه جزيرة سيناء منطقة بركانية يكثر فيها الدخان المنبعث من البراكين . ومن المحتمل ان يكون عمود السحاب الذي تبعه بنو اسرائيل وظنوا إلههم يسير فيه ليس في الحقيقة إلا دخانا متجمعاً من البراكين التي دفعته الرياح إلى الأمام »[٢] .

والرب يكفي الاسرائيليين القتال فهو يقاتل عنهم بينما هم يتفرجون ، بل إن موسى يؤكد لهم قتال الرب دونهم « فقال موسى للشعب لا تخافوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم . . الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون»[٣] .

وفجأة تعود القدرة الى رب اسرائيل على يد وضاع التوراة ، فهم بحاجة الى تأكيد اوهامهم في الأرض التي تفيض لبنا وعسلاً ، حتى إنهم يجعلون من الرب مزارعاً يغرسهم غرساً في تلك الأرض ؛ وقد ضلت اسرائيل ونسيت ان تذكر ان الأرض التي غرسوا فيها او جعلوا الرب يغرسهم فيها هي ارض سبخة بالنسبة لغرستهم ، فالغرسة التي يريدها الله لتلك الأرض هي غرسة الإيمان لا غرسة الكفر او نقرأ موسى يخاطب الرب فيقول « تمد يمينك فتبتلعهم الأرض . ترشد برأفتك الشعب الذي فديته . . يسمع الشعوب فيرتعدون . تأخذ الرعدة سكان فلسطين . . بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر. حتى يعبر شعبك يارب . حتى يعبر الشعب الذي اقتنيته . تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك»[٤] .

ورب اسرائيل مغرم بشعبه مفتون بهم على ما هم عليه . وهو يهيئهم ليكونوا مملكة هم راسموها وواضعوها بخيالهم . فالأرض للرب ولكنه وهبها لهم . ونقرأ خطاب الرب لموسى خطاب المحب المدلّه بهم « وأما موسى فصعد إلى الله فناداه

---

(١) خروج ١٣ : ٢٢ - ٢٣

(٢) دار أحمد شلبي ـ مقارنة الأديان ـ اليهودية ١٨٥ ـ ط ٥ سنة ١٩٧٨ مكتبة النهضة المصرية .

(٣) خروج ١٤ : ١٣ - ١٤

(٤) خروج ١٥ : ١٢ - ١٧

الرب من الجبل قائلاً هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني اسرائيل . أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ . فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب فإن لي كل الأرض وأنتم تكونون مملكة كهنة وأمة مقدسة . هذه هي الكلمات التي تكلم بها بني إسرائيل»[١] .

ورب اسرائيل بشر مثلهم ، وهم يجُلسونه على عرش رسموه هم بخيالاتهم لملك المملكة التي يسعون إليها ويجاهدون إلى خلقها من العدم والعبث ، وكأن الرب هنا هو ذلك الملك الذي يبحثون عنه من زوايا التاريخ والأيام من نسل داود ليقيموه ملكاً يحكم العالم . « ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة. ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني اسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا»[٢] .

ولسنا بحاجة الى نقض هذا من خلال القرآن الكريم ، يكفي ان نقول إنه لا مثل له ولا شبيه » ولم يكن له كفواً أحد »[٣] .

فرب بني اسرائيل منذ وجدوا حتى يومنا هذا هي المادة ، هو الذهب ، وقد جعلت التوراة من هرون صائغ ذهب يصنع لهم عجلاً يعبدونه في فترة انتظارهم موسى حيث صعد إلى الطور يتلقى الكلمات من ربه . ويعلل ول ديورانت ذلك فيقول إن بني اسرائيل لم يتخلوا قط عن عبادة العجل الذهبي لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر . وظلوا زمنا طويلاً يتخذون لهذا الحيوان القوي آكل العشب رمزاً لإلههم[٤] . وظلت عبادة العجل تتجدد في

---

(١) خروج ١٩ : ٣ - ٦

(٢) خروج ٢٤ - ٩ - ١١

(٣) الإخلاص ٤

(٤) قصة الحضارة ٢ : ٣٣٨

حياتهم « «ولما رأى الشعب ان موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون . وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا . لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هرون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هرون .فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكاً . فقالوا هذه الهتك يا إسرائيل»[1] .

ويعود موسى إلى مخاطبة الرب ولومه بل تقريعه على ما فعل بشعبه وكأني بوضاع التوراة وقد جعلوا من الرب بشراً ومن موسى إلهاً « فتضرع موسى امام الرب إلهه وقال لماذا يارب يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجت من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة . لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم نجبث ليقتلهم في الجبال وينفيهم عن وجه الارض . ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر لشعبك»[2] .

ولابد لذلك الرب ان يندم لأن بني اسرائيل يريدونه أن يندم « فندم الرب على الشرالذي قال إنه يفعله بشعبه»[3] .

وتمضي التوراة في تجسيد ربها الذي هو صاحب لموسى ويتحدث إليه وجها لوجه « ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه»[4]

ولاتلبث التوراة أن تغرق في تناقضاتها ومتاهاتها ، ففي الوقت الذي تقول إن موسى كلم ربه وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه تعود فتنفي ذلك في موضع آخر ، حين عادت ونزهت هذا الرب عن الرؤية ، وفي الوقت نفسه تعود فتجسد هذا الرب الذي يريد أن يمر أمام موسى ، ولكنه سيستر موسى بيده حتى لا يراه

---

(١) خروج ٣٢ : ١ - ٤
(٢) خروج ٣٢ : ١١ - ١٢
(٣) خروج ٣٢ : ١٤
(٤) خروج ٣٣ : ١١

موسى . . « وقال لا تقدر أن ترى وجهي . لأنَّ الانسان لا يراني ويعيش . وقال الرب هوذا عندي مكان فتقف على الصخرة. ويكون متى اجتاز مجدي أنى أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز . ثم ارفع يدي فتنظر ورائي وأما وجهي فلا يُرى»[1].

والرب في التوراة يرضخ لتهديد موسى الذي يهدد الرب بأنه لن يسير بشعبه إلا إذا مشى الرب معهم حتى يؤكد لجميع الشعوب أنهم الشعب الممتاز المصطفى والمختار ، وبغير مرافقة الرب لن يعرف هذا الامتياز « وقال موسى للرب انظر . انت قائل لي أصعد هذا الشعب . وأنت لم تعرفني من ترسل معي . وأنت قد قلت عرفتك باسمك. ووجدت أيضاً نعمة في عينيّ. فالآن إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فعلمني طريقك حتى اعرفك لكي أجد نعمة في عينيك. وانظر ان هذه الأمة شعبك فقال (الرب) وجهي يسير فأريحك . فقال له ان لم يسر وجهك فلا تصعدنا من هٰهنا . فإنه بماذا يُعلمُ أني وجدت نعمة في عينيك أنا وشعبك . أليس بمسيرك معنا . فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب ، الذين على وجه الأرض. فقال الرب لموسى هذا الامر أيضاً الذي تكلمت عنه أفعله»[2].

وللرب عدة وجوه في وجه واحد، وللرب شبيه في التوراة ، فهو مجسد في عمود سحاب ، وهو مشاهدٌ لموسى عياناً ، وهو مشاهدٌ له من خلال شبه . هكذا ثلاثة أوجه في صورة واحدة « فقال الرب حالا لموسى وهرون ومريم اخرجوا أنتم الثلاثة إلى خيمة الاجتماع فخرجوا هم الثلاثة. فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة ودعا هرون ومريم فخرجا كلاهما . فقال اسمعا كلامي. إن كان منكم نبيٌّ للرب فبالرؤيا أستعلن له في الحُلْمِ وأكلِّمه. وأما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي . فما إلى فم وعيانا أتكلم معه لا با لألغاز. وشبه الرب يعاين»[3].

---

(١) خروج ٣٣ : ٣٠ - ٣٣

(٢) خروج ٣٣ : ١٢ - ١٧

(٣) عدد ١٢ : ٤ - ٨ .

ورب إسرائيل مدمر متعصب لشعبه محب له ، وهو عدو للآخرين كما أن شعبه عدو للشعوب الأخرى . والرب هنا أشبه برئيس عصابة يوجه تعليماته إلى عصابته فيقول « متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحثّيين والجرجاشيّين والأموريّين والكنعانيّين والفرزيّين والحوِّيّين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك . ودفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرّمهم . لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم »[1] .

ويرسم رب التوراة لإسرائيل خطط وحشيتها وقسوتها فيقول « حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما »[2] .

رب إسرائيل هو رجل حرب في المقام الأول والأخير ، وربها في كل زمان ومكان لا بد أن يكون رجل حرب ، لأنها هي التي صنعت هذا الرب صدوراً عن نفسيتها وطبيعتها الغليظة القاسية « هكذا يقول رب الجنود . إني قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر . فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كلَّ ما لهُ ولا تعفُ عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة ، طفلاً ورضيعاً ، بقراً وغنماً . جملاً وحماراً »[3] .

ورب إسرائيل يَسُبُّ داود نبيه حين يغضب عليه ، بل إنه يحرض سواه على سب داود نبيه « ولما جاء الملك داود إلى بحوريم إذا برجل خارج من هناك من

---

(١) تثنية ٧ : ١ - ٣ .

(٢) تثنية ٢٠ : ١٠ - ١٦ .

(٣) صموئيل الأول ١٥ : ٣ .

عشيرة بيت شاول اسمه شِمْعي بنُ جيرا . يَسُبُّ وهو يخرج . ويرشق بالحجارة داود وجميع عبيد الملك داود وجميع الشعب وجميع الجبابرة عن يمينه وعن يساره . وهكذا كان شمعي يقول في سبه اخرج اخرج يا رجل الدماء . . قد رد الرب عليك كل دماء بيت شاول الذي ملكت عوضاً عنه . وقد دفع الرب المملكة ليد أبشالوم ابنك. وها أنت واقع بشرِّك لأنك رجل دماء . فقال أبيشاي ابنُ صروية للملك لماذا يسب هذا الكلب الميت سيدي الملك . دعني أعبر فأقطع رأسه . فقال الملك ما لي ولكم يا بني صروية . دعوه يسبّ لأن الرب قال له سُبَّ داود . . دعوه يسب لأن الرب قال له : لعل الرب ينظر إلى مذلتي ويكافئني الرب خيراً عوض مسبته بهذا اليوم »[1] .

هكذا هو رب إسرائيل سبّاب لعّان ، ويعلم شعبه السب واللعن ، حتى إنه ينال أنبياءه بسبِّه ، وهذا الرب لا يستطيع فرض وصاياه على شعبه إلا بالقوة والاكراه والتهديد والوعيد واللعن ، فإن لم يعمل بهذه الوصايا فإن شعبه يكون « ملعونا تكون في المدينة ، وملعونا تكون في الحقل . ملعونة تكون سلتك ومعجنك . ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك نتاج بقرك وإناث غنمك . ملعونا تكون في دخولك وملعونا تكون في خروجك . يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أفعالك إذ تركتني . يلصق بك الرب الوبأ حتى يُبيدك عن الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها . يضربك الرب بالسل والحمى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتبعك حتى تفنيك . وتكون سماؤك التي فوق رأسك نحاساً ، والأرض التي تحتك حديداً . ويجعل الرب مطر أرضك غباراً وتراباً ينزل عليك من السماء حتى تهلك . يجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك . في طريق واحدة تخرج عليهم وفي سبع طرق تهرب أمامهم وتكون قلقاً في جميع ممالك الأرض . وتكون جثثك طعاماً لجميع طيور السماء ووحوش الأرض وليس من يزعجها . يضربك الرب

(١) صموئيل الثاني ١٦ : ٥ - ١٢ .

بقرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكة حتى لا تستطيع الشفاء . يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب . . فتكون فيك آية وأعجوبة وفي نسلك إلى الأبد »[١] .

ويعلق ول ديورانت على بعض اللعنات التي اقتبسها فيقول إن هذه اللعنات لجديرة بأن تكون نماذج في القدح والسب . ولعلها هي التي أوحت إلى الذين حرقوا الكفرة في محاكم التفتيش الاسبانية . أو حكموا على اسبينوزا بالحرمان أن يفعلوا ما فعلوا .

ورب إسرائيل له عين ترى وأذن تسمع ، لأنها لا تؤمن إلا بالمجسم المحسوس « ولتكن أذنك مصغية وعيناك مفتوحتين لتسمع صلاة عبدك »[٣] .

وما في نفوس اسرائيل من حقد للبشرية وكره ومقت يحاولون إسقاطه على ربهم ، وهم يتسترون خلفه ليتفرجوا عليه وهو يصب حقده ونقمته على كل شيء في الكون « فإن لرب الجنود يوماً على كل متعظم وعال . وعلى كل مرتفع فيوضع ، وعلى كل أرز لبنان العالي المرتفع وعلى كل بلوط باشان . وعلى كل الجبال العالية . وعلى كل التلال المرتفعة وعلى كل برج عالٍ وعلى كل سور منيع . وعلى كل سفن ترشيش . وعلى كل الأعلام البهجة فيخفض تشامخ الانسان وتوضع رفعة الناس ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم »[٤] .

هكذا هم سبوا واضطهدوا وذلوا ، ويريدون أن يذل العالم كله ، إذ كيف يذل الشعب المختار المصطفى ؟ وقد تناسوا أن فسادهم وإفسادهم أول عوامل اضطهادهم على مر العصور والتاريخ .

وكلما مضينا مع التوراة وجدنا للرب صورة متجددة على أيدي وضاعها ، وهذه الصور جميعها لا تخلو من إطار ذهبي مزخرف حسبما توحيه نفوسهم

---

(١) تثنية ٢٨ : ١٥ - ٢٨ .

(٢) قصة الحضارة ٢ : ٣٤٢ .

(٣) نحميا ١ : ٦ .

(٤) إشعياء ٢ : ١٢ - ١٧ .

وطبائعهم . وهذا إشعياء يتحدث فيقول « في سنة وفاة عُزِّيّا الملك رأيت السيد جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل . السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة ، باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير . وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود ملء كل الأرض . فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخاناً »[1] .

وصورة الرب التوراتية توحي لنا بأمر واحد قصد إليه وضاع التوراة ، وهو بعث الرهبة في قلوب الشعوب ، وفرض الهيبة المفتعلة عليهم من خلال تسلطهم على الرب الذي ائتمر بأمرهم ، وسار وفق هواهم ، وهم يرمون إلى أمر وضعوا التوراة لأجله بعد أن نسفوا توراة موسى وضيعوها عن عمد مقصود ، ذلك هو السيطرة على أرض فلسطين التي هيأها الله سبحانه لدين السماء الإسلام ورسالة محمد ﷺ الذي أكمل ديانة ابراهيم الحنيفية الموحدة .

ولكن التوراة الوضعية رسمت طريقها الذي تخبطت فيه بالفساد والدمار وسفك الدماء ، بعد أن بنت لنفسها عالم الأوهام والخيالات التي هيأت لهم « أن الرب سيرحم يعقوب ويختار أيضاً إسرائيل ويريحهم في أرضهم . فتقترن بهم الغرباء وينضمون إلى بيت يعقوب . ويأخذهم شعوب ويأتون بهم إلى موضعهم ويمتلكهم بيت إسرائيل في أرض الرب عبيداً وإماء ، ويسبون الذين سبوهم ويتسلطون على ظالميهم »[2] .

وفي نهاية توراتهم ، وبعد طول التزييف والتخبط لا ينسى وضاعها أن يلصقوها بموسى زوراً وبهتاناً فيقولون بلسان الرب : « اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرته بها في حوريب على كل اسرائيل الفرائض والأحكام »[3] .

---

(١) إشعياء ٦ : ١ ـ ٤ .

(٢) إشعياء ١٤ : ١ ـ ٢ .

(٣) ملاخي ٤ : ٤ .

لقد ارتبط اليهود من خلال التوراة بالرب الذي هو يهوه ولكنه ارتباط شكلي لا ينفذ إلى الأعماق ، ذلك لأن هذا الرب فيه من الصفات البشرية التي أسبغوها عليه ما يجعله مخلوقاً وليس خالقاً ، وفيه من غرائز البشر ما يجعله واحداً من بني إسرائيل ، لأنه عمل بما أرادوه ، ونفذ ما شاءوه ، وسفك معهم الدماء ، ودمر معهم التدمير الذي لا يبقي ولا يذر .

وهذا الارتباط الشكلي لا بد من تفسيره من خلال الوصية الأولى من الوصايا العشر التي تقول « أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية . لا يكن لك آلهة أخرى أمامي »[1] . فهذه الوصية تجعل من الرب رباً لإسرائيل فحسب ، وليس رباً للخلق أجمعين ، وذلك يعني أن هذا الرب قد تكفل بهم وأحبهم وميزهم وفضلهم لغير طاعة ولا إيمان ، ولكنها مجرد وثيقة كتبها بنو إسرائيل على الرب منذ القدم ، وهذه الوثيقة تجعل من الرب مسؤولاً عنها دون سواه ، وإن أي تحرر للرب أو انفكاك من هذه الوثيقة إزاء شعبه إنما هو ملزم لهذا الشعب بمحاكمة هذا الرب ومعاقبته وإلصاق التهم به والصفات البشرية الأرضية من الانتقام والتشفي والتحريض على القتل والسب الى آخر هذه الصفات .

وليس من شك في أن بشرية هذا الرب قد دفعت بني إسرائيل دفعاً إلى تجديده حيث تعددت آلهته ما بين أحجار وأغنام وأشجار وعجول وأصنام كل منطقة كانوا يحلون فيها ، حتى إنهم اتخذوا في بيوتهم أصناماً صغيرة كانوا يعبدونها وينتقلون بها من مكان إلى مكان[2] .

ومع هذا كله ، كان ممنوعاً على غير اليهود أن يقبلوا في الجماعة اليهودية ، وأن يدينوا بالولاء لرب بني إسرائيل وقد ورد في التوراة « لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد »[3] .

---

(١) خروج ٢٠ : ١ - ٢ .

(٢) مقارنة الأديان ١٨١ .

(٣) تثنية ٢٣ : ٣ .

هكذا ، خبط وتلفيق وتضارب وتناقض ، حتى ان وضاع التوراة أنفسهم قد حرموا دخول غير اليهود إلى ديانتهم الوضعية حتى الجيل العاشر مرة وإلى الأبد مرة اخرى ، وفي حدود الآية الواحدة .

وذلك يؤدي إلى نتيجة واحدة لا تقبل الشك ، وهي أن من نعرف اليوم باسم اليهود إنما هم خليط تسرب إلى هذه الديانة الوضعية من غير بني إسرائيل الذين مضوا مع من مضوا من الأقوام التي كفرت بربها فأبادها الله .

ولم تعد اليهودية اليوم تعني الأمة أو الشعب الذي أرسل الله إليه موسى برسالته التي تدعو إلى التوحيد ، لأننا أدركنا من توراتهم تعدد آلهتهم وميلهم إلى تجديدها أبداً حتى إن هذا الرب قد انتهى اليوم إلى تراب يعبد هو تراب فلسطين التي بنوها في خيالاتهم وحققوا وجودها من خلال ابتعاد أمة الإسلام عن ربها سبحانه وتعالى ، ومن خلال تفرق كلمتهم .

ويؤكد ذلك رواية وضعتها الكاتبة اليهودية يائيل ديان ابنة موشي ديان بعنوان « طوبى للخائفين »[1] . وفي الرواية ينصح أحد أبطالها وهو « إيفري » ابنه الطفل بأن يتخلى عن الذهاب للكنيسة ، وأن يحول اهتمامه لإلهه الجديد تراب فلسطين .

ونسمع إيفري يتحدث الى ابنه فيقول «أنت الآن اسرائيلي ولست مجرد يهودي . إني قد تركت في روسيا كل شيء ، ملابسي ومتاعي وأقاربي وإلهي ، وعثرت هنا على رب جديد هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال ، ألا تحس بذلك ؟ وأخذ إيفري حفنة من تراب الأرض وسبكها في كف ابنه وقال له : امسك هذا التراب ، اقبض عليه ، تحسسه ، تذوّقْه ، هذا هو ربك الوحيد ، إذا أردت أن تصلي للسَّماء ، فلا تصلِّ لها لكي تسكب الفضيلة في أرواحنا ، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا . هذا هو المهم إياك أن تذهب

(١) مقارنة الأديان ٢٠٠ .

مرة أخرى إلى المعبد .

ويبقى الاسم الأسطوري يتردد صداه في سمع الزمان ، إسرائيل، وتتجدد آلهتها المادية، وسيكون لها بعد تراب فلسطين إله آخر ، ولكنه إله لا يمت إلى فلسطين بسبب ، لأن لفلسطين إلهها ، الله سبحانه وتعالى خالق السموات والأرض ، فقد يكون التشتيت المكتوب عليهم منذ الأزل هو المعبود الجديد والأخير ، وتبقى فلسطين لأهلها الصالحين ، ويبقى إله فلسطين و « إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »[1] .

---

(١) الأعراف ١٢٨ .

اليهود في التوراة

كلنا يعرف أن الاختيار يعني صفات فوق مستوى البشر يجب أن يتمتع بها صاحبها ، وأن الامتياز يعني التفوق في الإيمان ، وهو أساس مفاضلة البشر ، والشعوب والأمم . ولكن أن يقف مثل الشعب اليهودي ليتبجح أمام العالم كما تبجح أمام الرب ، ويعلن أنه المختار والممتاز والمصطفى إلى غير هذه المصطلحات التي أرادوا من خلالها إدخال الرعب والخوف إلى قلوب الذين كفروا ، والذين فسقوا ، ممن طمس الله على بصائرهم وأبصارهم ، فهذا ما تنفيه توراتهم الوضعية بأيديهم ، وقد وصفتهم بأخس الصفات التي تجعلهم دون الحيوان رتبة ، بغلاظة رقابهم وقساوة قلوبهم وعنادهم وكفرهم وفسقهم .

فقد جسدت توراتهم هذه الصفات تجسيداً عبر عنه القرآن الكريم في صورة لا يأتيها الباطل ، ولا يداخلها تحريف ، فهو كتاب محفوظ قال فيه سبحانه « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

ونترك التوراة ترسم لشعبها اليهودي الصورة التي تنقض ادعاءاتهم المزعومة الملفقة في قضية الاختيار والاصطفاء هذه .

أول نقطة نريد بحثها هو ادعاؤهم نسب إبراهيم واسحق ويعقوب . ولو كان نسب الدم واللحم هو الذي يقرر النسبة إلى إبراهيم لكان العرب بل المسلمون

---

(١) الحجر ٩ .

أولى بذلك ، لأن الانتساب إلى إبراهيم عن طريق ابنه البكر اسماعيل هو أحق وأقوى ، فهو نسب إيمان ، والإيمان هو الأساس الذي نزلت له وبه رسالات السماء المكتوبة وغير المكتوبة .

فلو كان نسب الدم واللحم هو المراد من هذه الرسالات لما أعلن القرآن الكريم صراحة تبرؤ إبراهيم وإسحق ويعقوب من هؤلاء ومنه يقول سبحانه « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين »[1] . ويقول سبحانه « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوبُ يا بنيّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون »[2] .

تبدأ نقطة الشعب اليهودي إذن في دور موسى حين أرسل إليهم ليخرجهم من مصر . أما ما قبل هذه النقطة وهي الفترة التي تصل إلى إبراهيم ، فهم لم يكونوا قد عرفوا بعد لا في التوراة ولا في القرآن بأنهم يهود .

وبدأوا يعرفون ببني إسرائيل الذين خرج بهم موسى من مصر إلى برية سيناء . وهؤلاء قد وصفتهم التوراة بصفات يقف الكفر في مقدمتها أن الكفر هو نقيض الإيمان والتوحيد الذي بنيت عليه رسالات السماء . فما دام الكفر هو عنوانهم فماذا يكون بعده ؟

ونبدأ باللحظة التي كان بنو إسرائيل يستعدون فيها ليلاً للهرب من مصر مع موسى ، وقد أمرهم الرب كما تقول توراتهم بسرقة حلي النساء المصريات والهرب

---

(١) آل عمران ٦٧ .

(٢) البقرة ١٣٠ - ١٣٣ .

به . وكان لهن ذلك .

ثم تبدأ معجزة موسى في تحقيق آياته فقد ضرب بعصاه البحر فانفلق ، وسار فيه بنو إسرائيل ، ثم عاد البحر إلى صورته الأولى بعد أن نجا شعب موسى .

وتتوالى آيات موسى وعجائبه ، وقومه لاهون ، سادرون في غيِّهم ، حتى تحين اللحظة التي أمر الرب موسى أن يصعد إلى الجبل ليتلقى كلماته . وفي فترة غياب موسى عن قومه صنعوا العجل الذهبي فعبدوه . « فقال الرب لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر . . . صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له ، وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر . وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة »[1] .

وستكون الصفة الملازمة لهم على طول التوراة هي صلابة الرقبة أي إنهم أجلاف عتاة .

والرب كما تقول التوراة هو رب اسرائيل ، ولكن هذا الرب يأبى السير معهم إلى الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً لأنه شعب صلب الرقبة « فإني لا أصعد في وسطك لأنك شعب صلب الرقبة لئلا أفنيك في الطريق . . . وكان الرب قد قال لموسى قل لبني إسرائيل أنتم شعب صلب الرقبة إن صعدت لحظة واحدة في وسطكم أفنيتكم »[2] .

وعدم مضي الرب معهم يبيِّن إلى أي مدى ستبلغ آثام بني إسرائيل وخطاياهم التي يعرفها الله تماماً عنهم ، إذ إن خروجه معهم سيعجل بعقابهم ، ولكنه تركهم لموسى ليمضي بهم في الامتحان حتى نهايته ، وبعدها يكون العقاب .

والوحشية والقتل والسفك بعض صفات بني إسرائيل ، والأمثلة في التوراة

---

(١) خروج ٣٢ : ٧ - ٩ .

(٢) خروج ٣٣ : ٣ ، ٥ .

لا حصر لها ، ولكن أضع هنا الخطوط العريضة لهذه السياسة الوحشية المدمرة في كل أرض يطأونها ، وهي سياسة ينسبونها إلى الرب الذي يعلمهم القتل والدمار « إذا خرجت للحرب على عدوك ورأيت خيلاً ومراكب قوم أكثر منك فلا تخف منهم لأن معك الرب إلهك الذي أصعدك من أرض مصر . وعندما تقربون من الحرب يتقدم الكاهن ويخاطب الشعب ويقول لهم اسمع يا اسرائيل . أنتم قربتم اليوم من الحرب على أعدائكم . لا تضعف قلوبكم . لا تخافوا ولا ترتعدوا ولا ترهبوا وجوههم .

حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح . فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف .

وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك . وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما .

إذا حاصرت مدينة أياماً كثيرة محارباً إياها لكي تأخذها فلا تتلف شجراً ما بوضع فأس عليه . إنك منه تأكل . فلا تقطعه لأنه هل شجرة الحقل انسان يذهب قدامك في الحصار . وأما الشجر الذي تعرف أنه ليس شجراً يؤكل منه فإياه تتلف وتقطع وتبني حصناً على المدينة التي تعمل معك حرباً حتى تسقط »(١) .

إنها الصورة الحية لما يفعله اسرائيل اليوم بكل أرض عربية يحتلونها ، وآخر هذه ما حدث في لبنان ، وما ارتكبته اسرائيل من فظائع ودمار وتقتيل وتشريد وإذلال للشعب الفلسطيني والعربي هناك . وقد قامت اسرائيل في الجنوب بقطع

---

(١) تثنية ٢٠ : ١ - ٣ ، ١٠ - ١٦ .

اشجار البرتقال حيث تعللت بأنها أوكار للمقاتلين الفلسطينيين . وليس ذلك إلا لتحكم حصارها على الجنوب بتحويله إلى أرض تناسب مخططاته ومؤامراته .

وإسرائيل في حروبها الطويلة مع العرب إنما هي تنفيذ ما رسمته توراة كهنتهم ، وكلها حروب افتعلت لها اسرائيل أوهى الاسباب ، تعود في معظمها إلى الاعتداء على إسرائيلي منهم ، بل إنها تقيم الدنيا ولا تقعدها حين يعتدى على واحد منهم ، ولا يهدأ لها قرار إلا إذا أخذت بالثأر أضعافاً مضاعفة من الفلسطينيين أهل الأرض ، ونقرأ توراتهم تقول « وتطردون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف ، يطرد خمسة منكم مئة ومئة منكم يطردون ربوه ، ويسقط أعداؤكم أمامكم بالسيف »[1] .

وقد كانت حرب لبنان رداً على الاعتداء على سفير اسرائيل في لندن ، كما كانت مذابح صبرا وشاتيلا في بيروت الغربية رداً على الاعتداء على كنيس يهودي في روما ومقتل طفل يهودي فيه . . وهكذا دواليك .

فالدعوة إلى القتل من صميم شريعة اليهود الوضعية . وطالما نشرت مجلاتهم وجرائدهم الناطقة باسم الجيش دعوة لقتل المدنيين حتى لو كانوا أطفالاً أو شيوخاً أو عزلاً .

وأثبت[2] هنا بعض ما نشروه وأذاعوه في العالم إبان حرب رمضان تشرين الأول عام ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

« عندما تصطدم قواتنا بالمدنيين خلال الحرب أو المطاردة أو الغارة ، فطالما أنه لا يوجد تقدير أكيد أن ليس باستطاعتهم أن يسببوا ضرراً لقواتنا فمن المسموح به وحتى من الواجب حسب الشريعة قتلهم » و « يجب عدم الثقة بالعربي في أي حال من الأحوال حتى إذا أعطى انطباعاً بأنه متحضر » .

---

(١) لاويين ٢٦ : ٧ - ٨ .

(٢) الدكتور محمد علي الزعبي : وصايا الشيطان ١٠٧ - ١٠٨ - مؤسسة الزعبي للطباعة والنشر والتوزيع .

« إن حكم الذي يقدم المساعدة للعدو كحكم العدو أو المخرب نفسه » .
كما ان التعاليم التوراتية التي تقدمت بشأن الحرب كانت هي النواة التي اعتمد عليها جابوتنسكي في صياغة فلسفته العسكرية القائلة « السياسة هي القوة »[١] .

ومن صفات اسرائيل التذمر الدائم الذي لا ينقطع رغم الآيات والعجائب ، فكان تذمرهم من الخروج من مصر مع موسى وهرون رغم ما عانوه من اضطهاد فرعون وإذلاله . وكان تذمرهم من اقتصارهم على المن والسلوى ، وكذلك على حرارة الشمس ، وعلى انعدام الماء في البرية ، وعلى مما لا يقع تحت عد وحصر .

وها هم يتذمرون على موسى وهرون « فتذمَّر كل جماعة بني إسرائيل في الغد على موسى وهرون أنتما قد قتلتما شعب الرب »[٢] . ولا بد أن يأتي العقاب لولا أن موسى قد سارع إلى التكفير عن ذنبهم « فكلم الرب موسى قائلاً . اطلعا من وسط هذه الجماعة فإني أفنيهم بلحظة . فخرا على وجهيهما . ثم قال موسى لهرون خذ المجمرة واجعل فيها ناراً من على المذبح وضع بخوراً واذهب بها مسرعاً إلى الجماعة وكفر عنهم لأن السخط قد خرج من قبل الرب . قد ابتدأ الوبأ . فأخذ هرون كما قال موسى وركض الى وسط الجماعة وإذا الوبأ قد ابتدأ في الشعب . . فكان الذين ماتوا بالوبأ أربعة عشر ألفاً وسبع مئة »[٣] .

ولكن شعب إسرائيل لا يرعوي ، فالشر والتذمر متأصلان في طبيعتهم وكل ذلك مكتوب في علم الغيب منذ الأزل ، ولكن الله لا يعجل العقاب بالفناء الكامل على الذين كفروا إلا بعد أن يستنفدوا الأسباب ومع ذلك « كلم الرب موسى وهرون قائلاً ، حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة عليّ . قد سمعت تذمر بني

(١) وصايا الشيطان ١٠٨ .
(٢) عدد ١٦ : ٤١ .
(٣) عدد ١٦ : ٤١ ـ ٤٩ .

إسرائيل الذي يتذمرونه عليّ . قل لهم حيٌّ أنا يقول الرب لأفعلنَّ بكم كما تكلمتم في أذنيّ . في هذا القفر تسقط جثثكم . جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعداً الذين تذمّروا عليّ . لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكننّكم فيها . . فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر . وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في القفر . . . أنا الرب قد تكلمت لأفعلنّ هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة عليّ . في هذا القفر يفنون وفيه يموتون »[1].

ومن صفات إسرائيل التوراتية العصيان والتمرد والمخالفة ، فقد خرج بهم موسى من مصر ، وجعلوا فلسطين قبلة أنظارهم لخيرها وخصبها ، ولكن أراد لهم الرب أن يكونوا الموحدين في تلك الأرض فيقضوا على عبادة الوثن فيها ، فتهيأ الأرض لاستقبال رسالات السماء التالية لليهودية ولكنهم كفروا وأشركوا ورفضوا الدخول لأن فيها قوماً جبارين وهذا ما أدخل الرعب إلى قلوبهم رغم ثمر فلسطين وخيراتها التي جاء جواسيسهم بشيء منها ، علهم يتحمسون ، إذ إن خصبها هو الذي دفعهم إليها « لكنكم لم تشاءوا أن تصعدوا أو عصيتم قول الرب إلهكم ، وتمرمرتم في خيامكم وقلتم الرب بسبب بغضته لنا قد أخرجنا من أرض مصر ليدفعنا الى ايدي الأموريين لكي يهلكنا . إلى أين نحن صاعدون . قد أذاب اخوتنا قلوبنا قائلين . شعب أعظم وأطول منا . مدن عظيمة محصنة إلى السماء وأيضاً قد رأينا بني عناق هناك »[2] .

وهذا الشعب العاصي قد تمرد على ربه « عصيتم قول الرب إلهكم ولم تصدقوه ولم تسمعوا لقوله . قد كنتم تعصون الرب منذ يوم عرفتكم »[3] . هذا ما قاله موسى لهم « فسقطت أمام الرب الأربعين نهاراً والأربعين ليلة التي سقطتها لأن الرب قال إنه يهلككم »[4] .

---

(١) عدد ١٤ : ٢٦ ـ ٣٥ .
(٢) تثنية ١ : ٢٦ ـ ٢٩ .
(٣) تثنية ٩ : ٢٣ ـ ٢٤ .
(٤) تثنية ٩ : ٢٥ .

وينفد صبر موسى مع قومه ، فهم عصاة متمردون غلاظ الرقاب في حياته ، فكم بالحري بعد موته فقد « قال الرب لموسى ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأجنبيين في الأرض التي هو داخل إليها في ما بينهم ويتركني وينكث عهدي الذي قطعته معه »(١) .

وموسى يعرف تماماً طبيعة اسرائيل المجبولة بالشر والفساد « لأني عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هوذا وأنا بعد حيٌّ معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحريّ بعد موتي »(٢) .

ووصفتهم التوراة بأنهم شعب أعوج ملتو وغبيّ « جيل أعوج ملتوٍ . الرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيّاً غير حكيم »(٣) .

وهم أولاد لا أمانة فيهم « فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته . وقال أحجب وجهي عنهم وأنظر ماذا تكون آخرتهم . إنهم جيل متقلب أولاد لا أمانة فيهم . هم أغاروني بما ليس إلهاً . أغاظوني بأباطيلهم ، فأنا أغيّرهم بما ليس شعبا. بأمة غبية أغيظهم »(٤) .

والواضح في التوراة ان العقاب يحل بإسرائيل فقط بعد كل ذنب يصنعونه، ولكن منطق وضاع التوراة يرى أنّه لولا خوف الرب من أعداء اسرائيل لأنزل فيهم العقاب ، يقول الرب في عقاب الشعب الذي أغاظه بما ليس إلهاً « إنه قد اشتعلت نار بغضبي فتتقد إلى الهاوية السفلى وتأكل الأرض وغلتها وتحرق أسس الجبال . أجمع عليهم شروراً وأنفذ سهامي فيهم . إذ هم خاوون من جوع ومنهوكون من حُمّى وداءٍ سام أرسل فيهم أنياب الوحوش مع حمة زواحف الأرض . من خارج السيف يثكل ومن داخل الخدور الرعبة . الفتى مع الفتاة والرضيع مع الأشيب .

---

(١) تثنية ٣١ : ١٦ .

(٢) تثنية ٣١ : ٢٧ .

(٣) تثنية ٣٢ : ٥ - ٦ .

(٤) تثنية .

قلت أبددهم إلى الزوايا وأبطل من الناس ذكرهم »[1] .

وهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم ، ومن كانت هذه صفاتهم فهي أمة إلى خراب « إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم . لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم ، كيف يطرد واحدٌ ألفاً ويهزم اثنان ربوة لولا أن صخرهم باعهم والرب سلمهم »[2] .

التاريخ كله لم يعرف مرابياً غير اليهودي ، بل إنه لا يكاد الربا يذكر حتى يذكر معه اليهود . والغريب في الأمر ان التوراة قد حرمت الربا ، ولكن تحريف اليهود قد بلغ مداه حين حرموا الربا على اليهودي ، وحللوه على غيره وقد أخذ اليهود الربا عن البابليين فقد حددته شريعة حمورابي بحوالي ٢٠٪[3] .

تقول التوراة في هذا « إن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي ، لا تضعوا عليه رباً »[4] .

وتقول « وإذا افتقر أخوك وقصرت يده عنك فاعضده غريباً أو مستوطناً فيعيش معك . لا تأخذ منه ربا ولا مرابحة . بل أخش إلهك فيعيش اخوك معك . فضتك لا تعطه بالربا وطعامك لا تعطه بالمرابحة »[5] .

وتحريم الربا في التوراة صريح وواضح من خلال الآيات الاخيرة ، اذ انه يحرم على اليهودي التعامل بالربا مع الغريب والمستوطن ، ولكن تحريف اسرائيل قد أصاب هذا التحريم فاستحال الى تحليل للربا مع غير اليهودي أو مع الأجنبي كما يسميه وضاع التوراة فقالوا « لا تقرض اخاك بربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض بربا . للأجنبي تقرض بربا . ولكن لأخيك لا تقرض بربا »[6] .

---

(١) تثنية ٣٢ : ١٩ - ٢٦ .

(٢) تثنية ٣٢ : ٢٨ - ٣٠ .

(٣) مفصل العرب واليهود في التاريخ ٤٥٠ .

(٤) خروج ٢٢ : ٢٥ .

(٥) لاويين ٢٥ : ٣٥ - ٣٧ .

(٦) تثنية ٢٣ : ١٩ - ٢٠ .

وقد أجاز التلمود الربا ، وهذا يعني ان الوضاع يرون في الربا مع الأجنبي أمراً إلهياً ، لتقديسهم التلمود ووضعه في منزله فوق مستوى التوراة . بل إن بعض اليهود يرون ألاّ خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى . ويبلغ بهم الكفر إلى ان يقولوا إن الله يستشير الحاخامات عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء ، فإن من يخالف أقوال الحاخامات يعاقب بالقتل ، أما من يخالف شريعة موسى فقد تغفر خطيئته(١)

ولا ينسى وضاع التوراة أن يلخصوا او يجملوا رذائل اسرائيل وآثامها بعد كل مرحلة من مراحلهم عبر التاريخ الذي أوجدهم قبل وضع التوراة في أيام السبي البابلي وهو نموذج حياتهم كلها « . . بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع . لأن ايديكم قد تنجست بالدم وأصابعكم بالإثم . شفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر. ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق . يتكلون على الباطل ويتكلمون بالكذب . فقد جبلوا بتعب وولدوا إثما . فقسوا بيض أفعى ونسجوا خيوط العنكبوت . الآكل من بيضهم يموت والتي تكسر تخرج أفعى . خيوطهم لا تصير ثوبا ولا يكتسون بأعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم في ايديهم . أرجلهم الى الشر تجري وتسرع الى سفك الدم الزكي ، افكارهم افكار إثم . في طرقهم اغتصاب وسَحْق . طريق السلام لم يعرفوا وليس في مسالككم عدل . جعلوا لأنفسهم سبلا معوجة كل . من يسير فيها لا يعرف سلاماً .

من أجل ذلك ابتعد الحق عنا ولم يدركنا العدل . ننتظر نوراً فإذا ظلام . نتلمس الحائط كعمي وكالذي بلا أعين نتجسس . قد عثرنا في الظهر كما في العتمة في الضباب كموتى . ننتظر عدلاً وليس هو . وخلاصاً فيبتعد عنا . لأن معاصينا كثرت أمامك وخطايانا تشهد علينا لأن معاصينا معنا وآثامنا نعرفها . تعدَّينا وكذبنا

---

(١) مقارنة الأديان (اليهودية) ٢٧٤ .

على الرب وحدنا من وراء إلهنا . تكلمنا بالظلم والمعصية . حبلنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب, وقد ارتد الحق إلى الوراء والعدل يقف بعيداً. لأن الصدق سقطفي الشارع والاستقامة لا تستطيع الدخول. وصار الصدق معدوماً والحائد عن الشر يُسْلب»[1] .

ووصايا الرب إلى موسى ـ وهذه لم يبق منها شيء ـ بعد تحريفها تقول لا تسرق. لا تزن ـ لا تقتل ـ لا تكذب. لا تحلف كذبا.

وأما وضاع التوراة فقد حرفوا هذه الوصايا فقالوا لا تسرق من اليهودي . واسرق من سواه . ويقول التلمود في هذا إن الله لا يغفر ذنبا ليهودي يرد للأممي ماله المفقود .

ولا تزن من اليهودي بل من غير اليهود، فإن اليهودي لا يخطىء إذا تعدى على عرض الأجنبي، بل إنه لا يرتكب محرماً إذا أتى امرأة مسيحية. وقالوا إن لليهود الحق في اغتصاب النساء غير المؤمنات أي غير اليهوديات[2].

ولا تقتل اليهودي بل اقتل كل فرد سواه ، ويحدد التلمون أنواعاً من الطهر لا يصل اليهودي لها إلا باستعمال الذبائح البشرية من المسيحيين. والتاريخ يؤكد أحداثاً كثيرة تلوثت فيها أيدي اليهود بدماء المسيحيين[3].

ولا تكذب على اليهودي ، ولكن اكذب على الأجنبي من صميم شريعتهم الوضعية، وأساس تلمودهم .

ولا تحلف كذبا إلا على الأجنبي ، وينص تلمودهم على أن اليمين التي يحلفها اليهودي في معاملاته مع باقي الشعوب لا تعتبر يمينا، فكأن قسمه للحيوان ، وهذا القسم لايعد يمينا . ويجوز لليهودي الحلف زورا إذا حول اليمين لوجهة

---

(١) إشعياء ٥٩ : ٢ ـ ١٥

(٢) المقارنة الأديان (اليهودية) ٢٧٨

(٣) عبد الله التل : خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية ٨٢ ـ ١٠٥

اخرى وبخاصة إذا كانت اليمين إجبارية كأن تكون أمام المحاكم او أمام خصم قوي.

وإذا سرق يهودي أجنبياً وكلفت المحكمة اليهودي أن يحلف اليمين حلف زوراً. ويعينّ التلمود يوماً كل فترة يسمى يوم الغفران العام، وفيه تُمْحى كل ما ارتكبه اليهود من ذنوب. ومن ضمنها ـ اليمين الزور.[1].

وهكذا يحرفون الكلم عن مواضعه، وفيهم تقول توراتهم « ها إنكم متكلون على كلام الكذب الذي لا ينفع. أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً وتبخِّرون للبعل وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها »[2].

طمس على قلوب اسرائيل باتوا لا يعقلون، وساروا وراء عناد قلوبهم « فلم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم بل ساروا في مشورات وعناد قلبهم الشرير وأعطوا القفالا الوجه. فمن اليوم الذي خرج فيه آباؤكم من أرض مصر إلى هذا اليوم أرسلت إليكم كل عبيدي الأنبياء مبكرا كل يوم ومرسلا. فلم يسمعوا لي ولم يميلوا أذنهم بل صلبوا رقابهم. أساءوا أكثر من آبائهم. فتكلمهم بكل هذه الكلمات ولا يسمعون لك وتدعوهم ولا يجيبونك»[3].

وتتمادى اسرائيل في طغيانها وأرجاسها وآثامها صدروا عن اختيارها المزعوم وامتيازها الموهوم، الكفر عنوانهم؛ والكذب دينهم، والتضليل والتزييف والمكر ديدنهم « في ذلك الزمان يقول الرب يخرجون عظام ملوك يهوذا وعظام رؤسائه وعظام الكهنة وعظام الأنبياء وعظام سكان اورشليم من قبورهم. ويبسطونها للشمس والقمر ولكل جنود السموات التي أحبوها والتي عبدوها والتي ساروا وراءها والتي استشاروها والتي سجدوا لها. لا تجمع ولا تدفن بل تكون دمنة على وجه الأرض . . . فلماذا ارتد هذا الشعب في أورشليم ارتدادا دائماً. تمسكوا

---

(١) مقارنة الأديان ٢٧٩

(٢) إرميا ٧ : ٨ ـ ٩

(٣) إرميا ٧ : ٢٤ ـ ٢٧

بالمكر . أبوا أن يرجعوا . صغيت وسمعت . بغير المستقيم يتكلمون. ليس أحد يتوب عن شره قائلاً ماذا عملت . . كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا . حقا إنه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب. خزي الحكماء ارتاعوا وأخذوا. ها قد رفضوا كلمة الرب فأية حكمة لهم. لذلك أعطي نساءهم لآخرين . وحقولهم المالكين لأنهم من الصغير إلى الكبير كل واحد مولع بالربح ن النبي إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب . . . هل خزوا لأنهم عملوا رجساً . بل لم يخزوا خزنيا ولم يعرفوا الخجل . لذلك يسقطون بين الساقطين في وقت معاقبتهم يعثرون قال الرب »[1].

والزنى أما الزنى فحدِّث ولا حرج ، فتوراتهم تنضح به ، لقد زنَّوا الأنبياء جميعا بما فيهم داود وسليمان اللذان يعتبرانهما مؤسسي هيكلهما الغابر .

فالزنا بعض الكفر . بل إن الكفر رأس كل آثامهم وخطاياهم ، وهم مجبولون بالرذائل يصدرون فيها عن الكفر « ياليت لي في البرية مبيت مسافرين فأترك شعبي وأنطلق من عندهم لأنهم جميعا زناة جماعة خائنين . يمدون ألسنتهم كقسيهم للكذب . لا للحق قووا في الأرض . لأنهم خرجوا من شر إلى شر وإياي لم يعرفوا يقول الرب . . ويختل الانسان صاحبه ولا يتكلمون بالحق. علمَّوا ألسنتهم التكلم بالكذب وتعبوا في الافتراء . مسكنك في وسط المكر . بالمكر أبوا أن يعرفوني يقول الرب .

لذلك هكذا قال رب الجنود هأنذا أنقيهم وأمتحنهم . . لسانهم سهم قتّال يتكلم بالغش. بفمه يكلم صاحبه بسلام وفي قلبه يضع له كمينا. أفما أعاقبهم على هذا يقول الرب أم لا تنتقم نفسي من أمة كهذه»[2].

ومع كل رذيلة من رذائل اسرائيل يزج الكفر الذي يأتي بعده العقاب ، وإن كان وضاع التوراة يخففون من حدة الرب بأن يسبغوا عليه صفة الحيرة والتردد بين

---

(١) إرميا ٨ : ١ - ١١

(٢) إرميا ٩ : ٢ - ٩

إغضاب اسرائيل أو إرضائهم ؛ بين إفنائهم أو إحيائهم ، وهكذا دائماً بعد كل خطيئة قوامها الكفر . « لماذا بادت الأرض واحترقت كبرية بلا عابر. فقال الرب على تركهم شريعتي التي جعلتها امامهم . ولم يسمعوا لصوتي ولم يسلكوا بها . بل سلكوا وراء عناد قلوبهم ووراء البعليم التي علمّهم إياها آباؤهم . لذلك هكذا قال رب الجنود إله اسرائيل . هأنذا أطعم هذا الشعب أفسنتيناً وأسقيهم ماء العلقم. وأبددهم في أمم لم يعرفوها هم ولا بآؤهم وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم »[1] .

وما نعرفه من كتب السماء والأرض والتاريخ ان اليهود ما كانوا يتركون نبيا ولا رسولاً دون ان يؤذوه ويطاردوه ويقتلوه ، ونسمع إرميا وهو يتوجه إلى الرب لينتقم من اسرائيل لأنهم ينوون قتله « وأنا كخروف داجن يساق إلى الذبح ولم أعلم أنهم فكروا عليّ أفكاراً قائلين لنهلك الشجرة بثمرها ونقطعه من أرض الأحياء فلا يذكر بعد اسمه . فيارب الجنود القاضي العدل فاحص الكُلى والقلب دعني أرى انتقامك منهم لأني لك كشفت دعواي . . لذلك هكذا قال رب الجنود . هأنذا اعاقبهم . يموت الشبان بالسيف ويموت بنوهم وبناتهم بالجوع . ولا تكون لهم بقية لأني أجلب شراً[2] .

ويعم الكذب بني اسرائيل ،وأنبياؤهم يكذبون لأن لهم طبيعة واحدة كلهم جبلوا من طينة الآثام والخطايا ، وبهم يعرف المؤمنون، ومن خلالهم يميز الموحدون ، كما أن بالشر يعرف الخير ، وبالباطل يعرف الحق ،وبضدِّهاتعرف الأشياء « الآن يذكر إثمهم ويعاقب خطاياهم . وقال الرب لي لا تصلِّ لأجل هذا الشعب للخير . حين يصومون لا أسمع صراخهم . وحين يصعدون محرقة وتقدمة لا أقبلهم بل بالسيف والجوع والوبأ أنا أفنيهم . فقلت آه أيها السيد الرب. هوذا الأنبياء يقولون لهم لا ترون سيفاً ولا يكون لكم جوع بل سلاحاً ثابتاً أعطيكم في

---

(١) إرميا ٩ : ١٣ ـ ١٦

(٢) إرميا ١١ : ١٩ ـ ٢٣

هذا الموضع . فقال الرب لي . بالكذب يتنبأ الأنبياء باسمي . لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم . برؤيا كاذبة وعرافة وباطل ومكر قلوبهم هم يتنبأون لكم .

لذلك هكذا قال الرب عن الأنبياء الذين يتنبأون باسمي وأنا لم أرسلهم وهم يقولون لا يكون سيف ولا جوع في هذه الأرض . بالسيف والجوع يفنى أولئك الأنبياء . والشعب الذي يتنبأون له يكون مطروحاً في شوارع أورشليم من جرى الجوع والسيف وليس من يدفنهم هم ونساؤهم وبنوهم وبناتهم وأسكب عليهم شرهم . . . إذا خرجت إلى الحقل فإذا القتلى بالسيف وإذا دخلت المدينة فإذا المرضى بالجوع لأن النبي والكاهن كليهما يطوفان في الأرض ولا يعرفان شيئاً»[١] .

وبعد كل خطيئة عقاب وبعد كل إثم ويل وثبور ، وأكثر من عقاب ينتظر والعقاب ألوان عدة « هكذا قال الرب الذين للموت فإلي الموت والذين للسيف فإلى السيف والذين للجوع فإلى الجوع والذين للسبي فإلى السبي . وأوكل عليهم أربعة أنواع يقول الرب . السيف للقتل والكلاب للسحب وطيور السماء ووحوش الأرض للأكل والإهلاك . وأدفعهم للقلق في كل ممالك الأرض»[٢] .

واسرائيل غضب ونقمة وخصام ونزاع للعالم كله . واسرائيل شعب[٣] يميل الى الخصام والنزاع منذ وجد حتى وقتنا الحاضر وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . والخصام عندهم صناعة لا تحتاج الى اصطناع ، وما كانت لهم من صناعة قط من تاريخهم كله غير صناعة الحقد واللجاجة والشكاسة والخصام ، هذه صفاتهم في ماضيهم وفي حاضرهم . وهذا إرميا يقول « ويل لي يا أمي لأنك ولدتني إنسان خصام وإنسان نزاع لكل الأرض . لم أقرض ولا أقرضوني وكل واحد يلعنني»[٤] .

---

(١) إرميا ١٤ : ١١ - ١٨

(٢) إرميا ١٥ : ٢ - ٤

(٣) عباس محمود العقاد : الصهيونية وقضية فلسطين ١٣١ .

(٤) إرميا ١٥ : ١٠ - ١١

واسرائيل شر خلف لشر سلف، كفروا بالرب ونقضوا شريعته وعبدوا الأصنام، وهم مع هذا يجادلون، ويفيضون في اللجاجة والعناد « يقولون لك لماذا تكلم الرب علينا بكل هذا الشر العظيم فما هو نذنبنا وما هي خطيتنا التي أخطأناها الى الرب إلهنا . فنقول لهم من أجل ان آباءكم قد تركوني يقول الرب وذهبوا وراء آلهة اخرى وعبدوها وسجدوا لها وإياي تركوا وشريعتي لم يحفظوها ، وانتم أسأتم في عملكم أكثر من آبائكم وها أنتم ذاهبون كل واحد وراء عناد قلبه الشرير حتى لا تسمعوا لي. فأطردكم من هذه الأرض الى أرض لم تعرفوها انتم ولا آباؤكم فتعبدون هناك آلهة اخرى نهاراً وليلاً حيث لا اعطيكم نعمة »[1].

وليس غريباً أن تمتلىء التوراة بفسق اسرائيل وآثامها وكفرها ، ، حتى لا يكاد يخلو منها إصحاح ، بل قد يكون الغريب ان تذكر التوراة صفة حسنة واحدة لها ـ أي لإسرائيل ـ حتى لتكاد التوراة تعتبر سفرا في أنواع الرذائل وألوان أخس الصفات البشرية التي لا تكاد تخلو من واحدة منها ، بل إن هناك رذائل من لون جديد يحار العقل فيها والإدراك .

واسرائيل لا يعرف لها وجه واحد فوجوهها كثيرة ، وهي في مجموعها وجوه سوء وخراب ، وقد وقف منها أنبياؤ هم موقف الحيرة وتخبطوا في السبل التي عليهم أن يسلكوها إزاءهم ، ولكن دون جدوى .

ولم يترك الرب وسيلة لم يسلكها معهم ! علهم يرتدعون، مع علمه سبحانه ـ أنهم لن يرتدعوا بحال، لأنه هذا هو حالهم الذي سيبقى معهم أبداً . والرب يشدد من قلوب أنبيائهم بوسائل حسية مجردة موضحة، ولكن دون جدوى .

« الكلام الذي صار إلى إرميا من قبل الرب قائلا . قم انزل الى بيت الفخاري وهناك أسمعك كلامي. فنزلت الى بيت الفخاري وإذا هو يصنع عملاً على الدولاب . ففسد الوعاء الذي كان يصنعه من الطين بيد الفخاري فعاد وعمله

(١) إرميا ١٠ : ١٣

وعاء آخر كما حسن في عيني الفخاري أن يصنعه . فصار إليّ كلام الرب قائلاً. أما أستطيع ان أصنع بكم كهذا الفخاري يا بيت اسرائيل يقول الرب. هوذا كالطين بيد الفخاري. أنتم هكذا بيدي يا بيت اسرائيل. تارة اتكلم على امة وعلى مملكة بالقلع والهدم والإهلاك. فترجع الأمة التي تكلمت عليها عن شرها فأندم عن الشر الذي قصدت أن اصنعه بها. وتارة اتكلم على امة وعلى مملكة بالبناء والغرس. فتفعل الشرَّ في عيني. فلا تسمع لصوتي فأندم عن الخير الذي قلت إني أحسن اليها به»[1].

الشر فيها طبع ، والخير فيها تطبع ، بل إن الخير فيها حالة طارئة وتقية تتستر وراءها حالما ينقشع عنها غضب الرب ، بينما تكون أشد أصراراً على الشر ، وتكون اعظم فساداً وإفساداً .

ولا يعود الأنبياء يعون من أمرهم شيئاً . فإن آثام اسرائيل قد أوقعتهم في الحيرة والتخبط وحالتهم الى سكارى دون خمر وهذا إرميا يقول « صرت كإنسان سكران ومثل رجل غلبته الخمر من أجل كلام قدسه . لأن الأرض امتلأت من الفاسقين . لأنه من أجل اللعن ناحت الأرض. جفت مراعي البرية. وصار سعيهم للشر وجبروتهم للباطل لأن الأنبياء تنجسوا جميعاً بل في بيتي وجدت شرهم يقول الرب. لذلك يكون طريقهم لهم كمزالق في ظلام دامس فيُطردون ويسقطون فيها لأني أجلب عليهم شرا سنة عقابهم يقول الرب . وقد رأيت في أنبياء السامرة حماقة . تنبأوا بالبعل وأضلوا شعبي إسرائيل . وفي أنبياء اورشليم رأيت ما يقشعرّ منه . يفسقون ويسلكون بالكذب ويشددون أيادي فاعلى الشر حتى لا يرجعوا الواحد عنه شره. صاروا لي كلهم كسدوم وسكانها كعمورة»[2].

وإسرائيل لا يردعها رادع من عقاب ، ولا يكبح جماحها أي عذاب، وهم يصدرون في ذلك التمرد والعناد عن اعتقادهم المزعوم في أنهم أبناء الله وأحباؤه ،

---

(١) إرميا ١٨ : ١ - ١٠

(٢) إرميا ٢٣ : ٩ - ١٤

والقرآن يرد عليهم معتقدهم «قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممَّن خلق »[1].

ورغم الذل والعذاب والمذلة والسبي يعودون للمطالبة بميثاق جديد أو بتجديد الميثاق الذي رفضوه مع الرب .. والميثاق واحد لا يتغير مع الرب ، وهو مرهون ببقاء الشريعة والفرائض . وهم قد نقضوا الشريعة وضيعوها ، وقد هدموا الفرائض في جوهرها ، وبقي منها الاسم « إن كانت هذه الفرائض تزول من أمامي يقول الرب فإن نسل اسرائيل أيضاً يكف من أن يكون أمة أمامي كل الأيام »[2] .

والرب نفسه لا يسلم من غضبة اسرائيل إذا ما رأوا فيه رادعاً وزاجرا ؛ فهي تتجرأ عليه حتى لتراه عدوا لها ولطغيانها ، وهي تقذفه بألوان السب والشتم « كيف غطى السيد بغضبه ابنة صهيون بالظلام . ألقى من السماء إلى الأرض فخر إسرائيل ولم يذكر موطىء قدميه في يوم غضبه . ابتلع السيد ولم يشفق كل مساكن يعقوب . نقض بسخطه حصون بنت يهوذا . أوصلها إلى الأرض نجس المملكة ورؤساءها . عضب بحموِّ غضبه كل قرن لاسرائيل . ردَّ إلى الوراء يمينه أمام العدو واشتعل في يعقوب مثل نار ملتهبة تأكل ما حواليها . مد قوسه كعدو . نصب يمينه كمبغض . . . سكت كنار غيظه . صار السيد كعدو . ابتلع اسرائيل . أنسى الرب في صهيون الموسم والسبت ورذل بسخط غضبه الملك والكاهن »[3] .

وغضب الرب مدمِّر الى غير رجعة حين يطغى الكفر والعناد واللجاجة والفساد ، ويصبح الغضب بلا رجعة ، حيث لا يجدي معه توسل أو استغفار لأن الآثام قد غطت الأرض حتى لم يبق فيها موضع لأمل في هداية أولئك ، ولم يعد ينفع ابتهال نبي « اذكر يا رب ماذا صار لنا . أشرف وانظر إلى عارنا . قد صار ميراثنا للغرباء . بيوتنا للأجانب . صرنا أيتاما بلا أب . أمهاتنا كأرامل . . . على أعناقنا نضطهد نتعب ولا راحة لنا . . . آباؤنا أخطأوا وليسوا بموجودين ونحن

---

(١) المائدة ١٨

(٢) إرميا ٣١ : ٣٦

(٣) مراثي إرميا ٢ : ١ - ٦ .

نحمل آثامهم . عبيد حكموا علينا : ليس من يخلص من أيديهم . بأنفسنا نأتي بخبزنا من جَرَى سيف البرية ، جلودنا اسودت كتنور من جرى نيران الجوع . . . أخذوا الشبان للطحن والصبيان عثروا تحت الحطب . . . ويل لنا لأننا قد أخطأنا . . من أجل جبل صهيون الخرب . الثعالب ماشية فيه . أنت يا رب إلى الأبد تجلس . . لماذا تنسانا إلى الأبد وتتركنا طوا الأيام . . إرددنا يا رب إليك فنرتد . جدد أيامنا كالقديم . هل كل الرفض رفضتنا . هل غضبت علينا جدا »[1] .

ويتوالى الأنبياء الى بني اسرائيل الصلاب القلوب ، الشعب المتمرد على الرب ، القساة الوجوه كما تصفهم التوراة وهذا حزقيال يتحدث إلى بني اسرائيل ويرسم لهم مهمته التي جاء لأجلها ، وهو يعرف مسبقا نتائجها ، مع هذا الشعب الذي لا يسمع ولا يشاء أن يسمع . . ونبيهم ينقل إليهم كلام الرب الذي قال له « يا ابن آدم أنا مرسلك إلى بني إسرائيل إلى أمة متمردة قد تمردت عليّ . هم وآباؤهم عضوا عليّ إلى ذات هذا اليوم . والبنون القساة الوجوه والصلاب القلوب أنا مرسلك إليهم . فتقول لهم هكذا قال السيد الرب . وهم إن سمعوا وإن امتنعوا . لأنهم بيت متمرد . . . فلا تخف منهم . ومن كلامهم لا تخف لأنهم قريسٌ وسلاءٌ لديك وأنت ساكن بيت العقارب . من كلامهم لا تخف . ومن وجوههم لا ترتعب . لأنهم بيت متمرد »[2] .

يعرف اسرائيل الحق ولا يعملون به ، فصلابة قلوبهم التي هي كالحجارة أو أشد قسوة قد حالت دون الهداية والحق . ورحمة الرب بعباده أن يرسل إليهم أنبياء منهم يعرفهم ويعرفونه ، ويفهم طبيعتهم وبفهمونه ، ومع ذلك فقد رفضت اسرائيل وقتلت انبياءها ، وحين يأمر الرب حزقيال بالذهاب إلى اسرائيل يعرفه مسبقا بل يؤكد له ما يعرفه من صفات اسرائيل وآثامها وعنادها « فقال لي يا ابن آدم اذهب امض إلى بيت اسرائيل وكلمهم بكلامي . لأنك غير مرسل إلى شعب

---

(١) مراثي إرميا ٥ : ١ - ٦ ، ١٧ - ٢٢ .

(٢) حزقيال ٢ : ٣ - ٧ .

غامض اللغة وثقيل اللسان بل إلى بيت إسرائيل . لا إلى شعوب كثيرة غامضة اللغة وثقيلة اللسان لست تفهم كلامهم . فلو أرسلتك إلى هؤلاء لسمعوا لك . لكن بيت إسرائيل صلاب الجباه وقساة القلوب . هأنذا قد جعلت وجهك صلبا مثل وجوههم وجبهتك صلبة مثل جباههم . قد جعلت جبهتك كالماس أصلب من الصوان فلا تخفهم ولا ترتعب من وجوههم لأنهم بيت متمرد »[١] .

لم يبق نوع من رجاسات الأمم الا صنعها اسرائيل ، بل لقد تفننت في اغضاب الرب دونما رادع أو كابح ، والتوراة في كل ما جاء فيها قد وضحت حقيقة أهلها التي تقول إنهم محرفون ومزيفون ومضيعون لشريعة موسى .

وهذا يصلنا إلى نقطة هامة نتساءل من خلالها . لم لم يقض الله سبحانه على اسرائيل مع ما عملوا من آثام ورذائل وموبقات ، وفي مقدمتها الكفر ، وقد أباد الله الأقوام التي كفرت ، وإن لم تفق تلك الأقوام اسرائيل بما استحقت عليه الهلاك والفناء ؟

ونقول ـ شاءت حكمة الله ألا يباد شعب إبادة أبدية على طريقة الأقوام السابقة ، نظرا لنزول بدء رسالة التوحيد المحرر المكتوب عليهم ، وإن كان الله قد كتب عليهم الإبادة بطريقة أخرى ، بل التبديد في شتى أنحاء الأرض حتى لا تقوم لهم قائمة ، مهما حاول أولئك بعث أمة لهم من العدم ، وخلق دولة لهم من الفناء ، ومهما حاولوا أن يفلسفوا هذا التشتت الإلهي ، وهذا التبدد السماوي الذي يؤكده القرآن الكريم بعد ما أكدته توراتهم .

أعود فأقول ولن تقوم لهم دولة ـ وإن أقام أعداء الاسلام هذه الدولة الآن ـ والتوراة نفسها تحكي أن مملكة اسرائيل في التاريخ شيء لم يقبله دعاته ولم يقبله غير دعاته . ولم يتحقق لها وجود في ظل سلام على عهد من العهود .

ولما انبعثت دعوة صهيون الجديدة كان المخالفون لها من رجال الدين

(١) حزقيال ٣ : ٤ ـ ٩ .

خاصة اكثر من المؤيدين ، وموطن اختلافهم أن فريقا منهم يقول إن مملكة صهيون وعد وعد الله به شعبه المختار ولكنه لا يتحقق كما جاء في النبوءات إلا بعد ظهور المخلص الموعود . وهو عندهم يظهر في آخر الزمان ولا يظهر في هذا الزمان ، وفريقا آخر يريدها مملكة سياسية دنيوية ويرى أنها تتحقق بالمال أو السياسية . ولا ينتظر ظهور المخلص الموعود[1] . ولا يزالون مختلفين إلى هذا اليوم وإلى آخر الزمان ، لأن الله كتب عليهم ألا تقوم لهم قائمة وبأسهم بينهم شديد .

بل وتحسبهم جميعا وقلوبهم شتّى ، لأن اليهود هم أشتات أمم اعتنقت اليهودية ، وهي ليست من اليهودية في شيء . ولكنهم جمّعوا تحت اسم اسرائيل متعلقين بأذيال الشريعة الموسوية اسما ، ولكنهم غرباء عليها ، والغريب لا يكون أبدا صاحب حق ليس له .

والتوراة قد وضعت الإجابة على التساؤل في عدم إفناء الشعب الشرير افناء أبديا كما فنيت الأقوام التي كفرت لأن الله لا يعجل بالعقاب ، ولكن لا بد من نهاية « فهكذا قال السيد الرب لأرض إسرائيل نهاية . قد جاءت النهاية على زوايا الأرض الأربع . الآن النهاية عليك وأرسل غضبي عليك وأحكم عليكِ كطرقك ، وأجلب عليك كل رجاساتك . فلا تشفق عليك عيني ولا أعفو بل أجلب عليك طرقك وتكون رجاساتك في وسطك فتعلمون أني أنا الرب .

هكذا قال السيد الرب . شر وحيد هو ذا قد أتى النهاية قد جاءت . جاءت النهاية . انتبهت إليك . ها هي قد جاءت . . . الآن عن قريب أصب رجزي عليك وأتمم سخطي عليكِ وأحكم عليك كطرقك وأجلب عليك كل رجاساتك . فلا تشفق عيني ولا أعفو بل أجلب عليك كطرقك ورجاساتك تكون في وسطك . فتعلمون أني أنا الرب الضارب »[2] .

---

(١) الصهيونية وقضية فلسطين ١٠٣ .

(٢) حزقيال ٧ : ١ - ٩ .

والقوة التي يتسلح بها اسرائيل وعلى مدى تاريخهم هي الذهب والفضة إنه المال الذين يملكون ناصيته على مدى الزمان ، لأنه عصب الحياة فيما يرون ، ولكن سيأتي اليوم الذي لن تنفعهم فيه فضتهم ولا ذهبهم .

« ويغشاهم رعْبٌ وعلى جميع الوجوه خزي وعلى جميع رؤوسهم قَرَع ، يلقون فضتهم في الشوارع وذهبهم يكون لنجاسة . لا تستطيع فضتهم وذهبهم إنقاذهم في يوم غضب الرب . لا يُشبعون منهما أنفسهم ولا يملأون جوفهم لأنهما صارا معثرة إثمهم . . جعلوا فيها أصنام مكرُهاتهم ورجاساتهم . لأجل ذلك جعلتها لهم نجاسة . أسلمها إلى أيدي الغرباء للنهب وإلى أشرار الأرض سلباً فينجسونها . وأحوِّل وجهي عنهم »[١] .

وللرب مشيئة في أن يعود ليجمع اسرائيل من الشتات ، علهم يؤمنون بالدعوة الجديدة المكملة لناموس موسى ، وسيعطيهم الرب فرصاً كثيرة تصل إلى أن ينزع من صدورهم قلبهم الحجر ليضع مكانه القلب اللحم ، علهم يؤمنون ، ولكن « وأعطيهم قلباً واحداً وأجعل في داخلكم روحاً جديداً وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم . لكي يسلكوا في فرائضي ويحفظوا أحكامي ويعملوا بها ويكونوا لي شعبا فأنا أكون لهم إلهاً . أما الذين قلبهم ذاهب وراء قلب مكرهاتهم ورجاساتهم فإني أجلب على رؤوسهم يقول السيد الرب»[٢] .

ماذا يبقى لهذا الشعب من سيئات حتى ينغمس فيها ، بل ماذا يكون لهم مقابل هذه الرجاسات والآثام ، حياة بالمشقة مكتوبة عليهم في توراتهم ثم في كتاب الله العزيز ، لأن الرب لن يعجل العذاب والعقاب ، ولكن يتركهم ليعذبوا العذاب المتواصل بالتبديد بين الأمم وبين الشعوب ، في أرجاء المعمورة « إني لا أسر بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقة ويحيا . . . وعند رجوع الشرير

---

(١) حزقيال ٧ : ١٨ ـ ٢٢ .
(٢) حزقيال ١١ : ١٩ ـ ٢١ .

عن شره وعند عمله بالعدل والحق فإنه يحيا بهما . وأنتم تقولون إن طريق الرب غير مستوية . إني أحكم على كل واحد منكم كطرقه يا بيت اسرائيل . يا ابن آدم إن الساكنين في هذه الخِرَب في أرض اسرائيل يتكلمون قائلين إن إبراهيم كان واحداً وقد ورث الأرض . ونحن كثيرون . لنا أعطيت الأرض ميراثا . لذلك قل لهم . هكذا قال السيد الرب تأكلون بالدم وترفعون أعينكم إلى أصنامكم وتسفكون الدم . أفترثون الأرض »(١) .

ومع هذه الحقيقة التي يعرفها اسرائيل تعود إلى اللجاج والمكابرة في صنع ميثاق جديد مع الرب ، وربها الذي تصنع معه الميثاق هو رب الجنود بلا شك ، وليس خالق السموات والأرض . لأن ميثاق الخالق يقوم على الحق والعدل وليس على البغي والعدوان . وهي ذاتها تعترف وتقر بما كفرت وأثمت ، من هنا حقت عليها لعنة الله في كتبه السماوية وعلى لسان الأنبياء جميعا بدءا بموسى « وما سمعنا صوت الرب إلهنا لنسلك في شرائعه التي جعلها أمامنا عن يد عبيده الأنبياء . وكل اسرائيل قد تعدى على شريعتك وحادوا لئلا يسمعوا صوتك . فسكبت علينا اللعنة والحلف المكتوب في شريعة موسى عبد الله لأننا أخطأنا إليه . . . كما كتب في شريعة موسى قد جاء علينا كل هذا الشر ولم نتضرع إلى وجه الرب إلهنا لنرجع من آثامنا ونفطن بحقك . فسهر الرب على الشر وجلبه علينا لأن الرب إلهنا بار في كل أعماله التي عملها إذ لم نسمع صوته »(٢) .

ومع كل الرذائل والكفر والخطايا لا بد أن يمضي الأمر الذي قدره الرب حتى النهاية ، لأن اسرائيل بداية إلى أمر آخر يأتي مكملا لسابقه ، وبداية لأمر أخير قدره الرب ، حتى يتم أمره ويكتمل دينه على الأرض .

وتحكي التوراة أن لعنة الرب ولعنة موسى قد حقت على اسرائيل حيث لن ينفع معها تضرع أو توسل أو استغفار . هذا ما أخبر الوحي جبرائيل به دانيال نبيهم « وبينما أنا أتكلم وأصلي وأعترف بخطيتي وخطية شعبي اسرائيل وأطرح تضرعي

---

(١) حزقيال ٣٣ : ١١ ، ٢٤ ـ ٢٥ .
(٢) دانيال ٩ : ١٠ ـ ١٤ .

أمام الرب إلهي عن جبل قدس إلهي . وأنا متكلم بعد بالصلاة إذا بالرجل جبرائيل الذي رأيته في الرؤيا . . . لمسني عند وقت تقدمة المساء . وفهمني وتكلم معي وقال يا دانيال إني خرجت الآن لأعلمك الفهم . في ابتداء تضرعاتك خرج الأمر وأنا جئت لأخبرك لأنك أنت محبوب . فتأمل الكلام وافهم الرؤيا . سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإسم . وليؤتى بالبر الأبدي ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين »(١) .

ويفوح نتن الزنى من ثنايا التوراة « لأن روح الزنى قد أضلهم فزنوا من تحت إلههم . يذبحون على رؤوس الجبال . ويبخرون على التلال . . لذلك تزني بناتكم وتفسق كناتكم . لا أعاقب بناتكم لأنهن يزنين ولا كناتكم لأنهن يفسقن . لأنهم يعتزلون مع الزانيات ويذبحون مع الناذرات الزنى . وشعب لا يعقل يُصْرَع . . . أفعالهم لا تدعهم يرجعون إلى إلههم لأن روح الزنى في باطنهم وهم لا يعرفون الرب »(٢).

وحين تستنفذ الأسباب كلها في الهداية والإصلاح لا يبقى غير الترصد الدائم الدائب لمن لم يقبلوا بالهداية ، ونتيجة هذا الشعب معروفة ومكتوبة في علم الغيب ، ولكن لا بد من أن يمضي الشعب على الدرب كلها حتى يصل هو بنفسه إلى النتيجة المكتوبة نتيجة طمس الآثام على قلوبهم وعقولهم . وسيغربل الرب هذا الشعب غربلة لا يفلت منها أحد ، لتبقى بعدها الحبات القليلة التي سيثمرها الرب بالتوحيد في الدور الآتي « رأيت السيد قائما على المذبح فقال اضرب تاج العمود حتى ترجف الأعتاب وكسِّرها على رؤوس جميعهم فأقتل آخرهم بالسيف . لا يهربْ منهم هارب ولا يفلت منهم ناج . إن نقبوا إلى الهاوية فمن هناك تأخذهم يدي . وإن صعدوا إلى السماء فمن هناك أنزلهم . وإن اختبأوا في رأس الكرمل

(١) دانيال ٩ : ٢٠ ـ ٢٤ .

(٢) هوشع ٤ : ١١ ـ ١٤ ـ اصحاح ٥ : ٤ .

فمن هناك أفتش وآخذهم وإن اختفوا من أمام عينيّ في قعر البحر فمن هناك آمر الحية فتلدغهم . وإن مضوا في السبي أمام أعدائهم فمن هناك آمر السيف فيقتلهم وأجعل عيني عليهم للشر لا للخير .

هوذا عينا السيد الرب على المملكة الخاطئة وأبيدها عن وجه الأرض . غير اني لا أبيد بيت يعقوب تماما يقول الرب . لأنه هأنذا آمر فأغربل بيت إسرائيل بين جميع الأمم كما يغربل في الغربال وحبة لا تقع إلى الأرض . بالسيف يموت كل خاطىء شعبي القائلين لا يقترب الشر ولا يأتي بيننا . في ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة وأحصِّن شقوقها وأقيم ردمها وأبنيها كأيام الدهر»[1] .

والتوراة تشهد بأن النهاية لابد آتية ، وقد بلغ الادعاء الكاذب والوهم المزعوم باسرائيل الى ان غضب الرب لن يصيبها مع كل ما نزل بها . فماذا ينزل الرب عليهم اكثر مما نزل ؟ أي عذاب وعقاب يحسون معه أنه غضب من الرب ؟

لقد قالوا إنهم أبناء الله واحباؤه ولن يعذبهم وردت التوراة عليهم ادعاءهم . وظنوا ان اورشليم التي يهيئها الرب لدعوة التوحيد العالمية ظنوا انها تحميهم وتعصمهم . وخُرِّبت اورشليم خرابا رهيبا . وادعوا ان هيكل الرب يشفع لهم - وهدم الهيكل الى الأبد ولم تقم بل لن تقوم له قائمة . لأن مشيئة الرب نافذة .

والانبياء كلهم توجهوا إلى هذا الشعب المارق على اختلاف فئاته وطبقاته : « اسمعوا يا رؤساء بيت يعقوب وقضاة بيت اسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوِّجون كل مستقيم . الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم . رؤساؤها يقضون بالرشوة وكهنتها يعلِّمون بالأجرة وأنبياؤها يعرفون بالفضة وهم يتوكلون على الرب قائلين أليس الرب في وسطنا . لا يأتي علينا شر . لذلك بسببكم تفلَحُ صهيون كحقل . . وتصير أورشليم خِرَبا وجبل البيت شوامِخَ وعر»[2] .

---

(١) عاموس ٩ : ١ - ٤ ، ١١

(٢) ميخا ٣ : ٩ - ٢

ويقضى على الشعب المارق وتطوى معه آثاره التي أقاموها بالكفر والطغيان والعصيان ، ولكن لتعود اورشليم الجديدة ، وهذه هي التي تتهيأ للدور الجـديد الذي تُرسى فيه دعائم أبدية ثابتة ، فيه تقام بيوت الله ، تسبحه وتوحده بلا إله إلا الله تكميلاً لجوهر رسالة موسى .

« ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتـاً في رأس الجبـال . ويرتفع فوق التلال وتجري إليه شعوب . وتسير امم كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن اورشليم كلمة الرب»(١) .

وانتصار التوحيد ثابت في التوراة ، ولكن ليس في شعب اسرائيل ، اسرائيل ماضية في آثامها ، وستوحد أمم كثيرة الخالق وأما اسرائيل فيقول فيها الرب « ليست لي مسرة بكم . قال رب الجنود ولا أقبل تقدمة من يدكم . لأنه من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم بين الأمم . . . أما أنتم فمنجسوه بقولكم إن مائدة الرب تنجست وثمرتها محتقرٌ طعامهـا . وقلتـم ما هذه المشقـة وتأففتـم عليه قال رب الجنود . وجئتم بالمغتصب والأعرج والسقيم فأتيتم بالتقدمة . فهل أقبلها من يدكم قال الرب»(٢) .

والنتيجة التي لا تقبل النقض هي أن اسرائيل لم تحفظ العهد ، ولم تقـم الفرائض ، والرب منها هو الحاكم لأنهم قالوا كلمة الكفر صريحة . « عبادة الله باطلة ، هذا « أقوالكم اشتدت علي قال الرب . وقلتم ماذا قلنا عليك . قلتم عبادة الله باطلة وما المنفعة من أننا حفظنا شعائره واننا سلكنا بالحزن قدام رب الجنود . والآن نحن مطوبون المستكبرين وأيضاً فاعلو الشر يبنون بل جرّبوا الله ونجوا»(٣) .

---

(١) ميخا ٤ : ١ ـ ٢

(٢) ملاخى ١ : ١٠ ـ ١٣

(٣) ملاخي ٣ : ١٣ ـ ١٥

ولا بد أن يأتي اليوم الذي يلتهم فاعلي الشر والطاغين والباغين، وأولئك بلا شك اسرائيل التي كفرت وطغت وبغت وفعلت الشر في عيني الرب « فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين وكل فاعلي الشر يكونون قشّاً ، ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود فلا يبقى لهم أصلاً ولا فرعاً»[1].

التوراة حكمت عليهم بما حكم الرب في كتبه السماوية . بدءاً بالتوراة ومرورا بالأناجيل وانتهاء بكتاب السماء إلى البشرية القرآن الكريم . إنه الحكم على من كفروا « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »[2] .

والعقاب لهذا الحكم هو التشرد في الأرض عقابا لهم على عصيان الله ، وما كان ضياعهم وتيههم في برية سيناء إلا تمهيدا للتشرد الأبدي ، ليكون ذلك علامة لهم على غضب الله عليهم رغم وجود رسوله موسى بينهم ـ وما كانوا ولن يكونوا بأصلح من حالهم ذلك أيام الأنبياء والرسل الكثيرين الذين أرسلوا لهدايتهم ، « وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ومالهم من دونه من وال »[3] .

---

(١) ملاخي ٤ : ١

(٢) النساء ٤٨

(٣) الرعد ١١

اليهود في الأناجيل

لم تكن صورة اليهود في الأناجيل أفضل منها في التوراة . فصورتهم واحدة لا تتغير ، لأن لهم طباعاً معوجة قد جبلوا عليها فيما جبلوا من فساد وإفساد .

وكانت مقاومة اليهود عيسى عليه السلام عنيفة رهيبة لأن دعوته جاءت لتقوض كل ما آلت إليه شريعة موسى من تحريف وتزييف وتضليل على أيديهم ، ولتنسف كل ادعاءاتهم في الاصطفاء والاختيار والامتياز وقد صدروا في هذا كله عن مادية مدمرة أسبغوها على الخالق والمخلوق فكانت دعوة عيسى روحانية صرفة تكبح جماح المادية اليهودية .

وهذا ما أدى إلى ارتياح اليهود وغضبهم وسخطهم على عيسى وأتباعه ، وقد التفوا حوله مبهورين بروحانية تعاليمه التي تقربهم من خالق السموات والأرض وليس رب الجنود .

والأناجيل لا تذكر بني اسرائيل ، وهو الاسم الذي عرفتهم به التوراة ولكنها تذكرهم بفرقهم ، وهذه كثيرة بالغة . ولكن اول هذه الفرقة هم الفريسيون أي المنعزلون والمنشقون [1] ، ولكنهم يكرهون هذه التسمية التي يطلقها عليهم اعداؤهم ، فأطلقوا على انفسهم « الأحبار » أو « الربانيين» ومعتقدهم الأساسي

---

(١) مقارنة الأديان (اليهودية) ٢٢٦

ليس بالتوراة فحسب ولكن بالتلمود . ويرى هؤلاء أن للحاخامات سلطة عليا، وأنهم معصومون ، وأن اقوالهم صادرة عن الله ، وهذه الأقوال هي قول الله الحي ، « فإذا قال الحاخام إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدق قوله ولا تجادله»[1] .

أما الصدوقيون فهم ينكرون البعث والحياة الأخرى والحساب والجنة . والنار ، ويرون ان جزاء الانسان يتم في الدنيا .

وهؤلاء يكونون حزبا سياسياً اكثر مما يمثلون طائفة دينية لأنهم ينحدرون من طبقة الارستقراط ببيت المقدس[2] .

والكتبة : هم كتبة الشريعة لمن يطلبها ، فهم اشبه بالنساخ ، وقد اعطتهم هذه المهنة ، صفة الوعاظ واصطادوا من خلالها أموال الناس . كما أنشأ كل كاتب مدرسة اصبح راعيها ومعلما بها ، وهذا سبيل آخر للإثراء الفاحش .

المتعصبون : ويطلق على هؤلاء السفاكون للجوئهم إلى النهب والفتك واللصوصية . ومن أجل هذا يعد فريقاً سياسياً وإن كانت بدايته دينية»[3]

والقراءون : كانوا يمثلون القلة بين اليهود ، فلما تدهور شأن الفريسيين ورث هؤلاء نفوذهم . ولا يعترف القراءون بالتلمود ، ولكن بالتوراة فقط ويقول هؤلاء بالاجتهاد .

وهذه الفرق كلها اتفقت على أمر مناهضة المسيح ومحاربته . وكان موقف المسيح منهم حاسماً وصارماً لأنه رسول الله المؤيد بمعجزات حسية روحيه ، تؤيد الروح الذي كان منها عيسى حيث نفخ الله في مريم من روحه ، فكانت معجزاته إحياء الموتى - وإشفاء المرضى وإبراء الأكمه والأبرص ، وعلم الغيب وما يدخر اليهود في بيوتهم وقبل هذا كله . كان نطقه وهو رضيع ليبرىء

---

(١) المرجع السابق ٢٢٧

(٢) نفسه ٢٣٠

(٣) مقارنة الأديان (اليهودية) ٢٢٦ : ٢٢٧ ، ٢٢٩

أمه ، وليوجز لأعداء الله خطوط دعوته .

ونعود إلى الأناجيل لنرى من خلالها صور اليهود ـ وأول هذه الصور ، الوفد اليهودي الذي جاء إلى يوحنا المعمدان المبشر بالمسيح، ليعتمدوا منه . ولكنهم في حقيقة الأمر يغدون عليه وفادتهم على كل نبي من أنبيائهم التوراتيين ، ليجربوه ويختبروه ويجادلوه . ولم يكن هذا ليخفي على يوحنا « فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم . يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي . فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة . ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أبا . لأني اقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة اولادا لإبراهيم . والآن قد وضعت الفأس. على أصل الشجر . وكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار»[1] .

والمسيح يهيىء الشعب لما سيصيبهم من اليهود أعدائه ، لأن هذا هو شأنهم مع كل نبي ورسول « طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين . افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات . فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم»[2] .

ولم تكن طبيعة اليهود المعوجة لتخفى على أي نبي أرسل إليهم وإن نافقوا وراءوا . فالمسيح يعرفهم تماماً . وهو يقول لهم « ليس كل من يقول لي يارب يدخل ملكوت السموات . بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات . كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا ربُ يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحينئذ أصرح لهم إني لم أعرفكم قط . اذهبوا عني يا فاعلي الإثم»[3].

وقد كذب اليهود الرسل والأنبياء، وفعلوا بالمسيح مافعلوه بمن سبقوه فقد

---

(١) إنجيل متى ٣ : ٧ ـ ١٠

(٢) متى ٥ : ١١ ـ ١٢

(٣) متى ٧ : ٢٢ و ٢٣

اتهموه بالتجديف « وإذا قوم من الكتبة قد قالوا في أنفسهم هذا يجدف . فعلم يسوع أفكارهم فقال لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم»(١) .

وتطارد اليهود عقدة الامتياز ، لذلك فهم يستكثرون على المسيح أن يعاشر العشارين والخطاة ، ولكن المسيح يرد عليهم ذلك « وبينما هو متكىء في البيت إذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه . فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة . فلما سمع يسوع قال لهم لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى . فاذهبوا وتعلموا ما هو . إني أريد رحمة لا ذبيحة . لأني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة»(٢).

والشر والفساد يسيران حيث تسير اسرائيل قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين. فهم أعداء كل نبي وكل رسول . وهم أعداء كل خير وأنصار كل شر . وحقد اليهود يتفجر مع كل آية يؤتاها يسوع إلى درجة يريدون معها إهلاكه « فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه» (٣) .

ولا يجدون لذلك تعزية لأنفسهم إلا أن يقولوا عنه إنه رئيس الشياطين « قالوا هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين. فعلم يسوع أفكارهم وقال لهم كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب . وكل مدينة او بيت منقسم على ذاته لا يثبت . فإن كان الشيطان يخرج الشيطان فقد انقسم على ذاته فكيف تثبت مملكته . وإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين فأبناؤكم بمن يخرجون » يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار. فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم »(٤) .

---

(١) متى ٩ : ٣ ـ ٤
(٢) متى ٩ : ١٠ ـ ١٣
(٣) متى ١٢ : ١٤
(٤) متى : ٢٤ ـ ٢٥

وطلبت اسرائيل من يسوع معجزات كما طلبوا من موسى من قبل ، وهم لا يزدادون مع الآيات والعجائب إلا عنادا وكفرا وفساداً. فهؤلاء الكتبة والفرّيسيون يطلبون إليه « قائلين يا معلم نريد أن نرى منك آية . فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطي له آية إلا آية يونان النبي . . . فتصير أواخر ذلك الانسان أشر من أوائله . وهكذا يكون أيضاً لهذا الجيل الشرير»[١].

ولم يؤمن اليهود بالمسيح ، بل لم يؤمنوا بوجوده ، وحتى إذا صح وجوده فهو رجل عاديّ كفر بدعوتهم فقتلوه ، وهو رجل منشق وكان عقابه القتل ، ولا يستحق بعد ذلك أي ذكر ، وهذا يفسر لنا خلو كتبهم ومصادرهم من ذكر عيسى ابن مريم مما دفع بعض الغربيين إلى اعتبار عيسى شخصية خرافية فرضية ليست حقيقة واقعة[٢] .

فالذين آمنوا بالمسيح هم خرافهم الضالة كما قال ، وهو يوصي تلاميذه قائلاً « إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة »[٣] .

ولا يترك يسوع فرصة دون أن يهيء تلاميذه فيها لعنت اليهود وصلفهم وحقدهم « ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب . فكونوا حكماء كالحيات بسطاء كالحمام . ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم »[٤] .

ونقض أنصار يسوع السبت سبب من أسباب عداوة اليهود له ، لأنهم يفهمون السبت بعيداً عن التقديس الذي وجد له في التوراة ؛ ولكنه بات يوماً

---

(١) متى ١٢ : ٣٨ - ٤٠ ، ٤٥

(٢) مقارنة الاديان (المسيحية) ٧٧ .

(٣) متى ١٠ : ٥ - ٦.

(٤) متى ١٠ : ١٦ - ١٨ .

مجرداً لا يعني سوى كفرهم وعنادهم ، وقد وقف يسوع ليعلمهم ماذا يعني السبت في عهد الدعوة الجديدة .

والسبت الذي يقدسه اليهود إنما هو تقديس مرده الكفر حيث يقول Arther Hertzberg : إن الانسان ند لله وشريك له في خلق الكون . فالله عمل ثم استراح والانسان يعمل دوره في الخلق ثم عليه ان يستريح . وأسفار موسى قد أوصت بتقديس السبت كما أبرز الأنبياء أهميته وجعلوه مصدر الروحانيات والتشبه بالله .

ولعل هذه التسمية قد جاءت من البابليين ، فقد كانوا يطلقون على أيام الصوم وأيام الدعاء ثبتوا[1] .

وقد هرع إليه اليهود يشتكون إليه تلاميذه الذين قطفوا في السبت سنابل يسدون بها جوعهم« في ذلك الوقت ذهب يسوع في السبت بين الزروع . فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون . فالفريسيون لما نظروا قالوا هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبت فقال لهم أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه . كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذي لم يحلّ أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط أو ما قرأتم في التوراة ان الكهنة في السبت في الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء. ولكن اقول لكم إن هنها اعظم من الهيكل. فلو علمتم ما هو إني أريد رحمة لا ذبحة لما حكتم على الأبرياء. فإن ابن الانسان هو رب السبت أيضاً »[2] .

واللجاج والجدال والنزاع طبيعة اليهود ، وهذا يسوع يقول لهم « يا مراؤون حسنا تنبأ عنكم إشعياء قائلاً ، يقترب إليَّ هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه . وأما

---

(١) قصة الحضارة ٢ : ٣٧٣ .
(٢) متى ١٢ : ١ ـ ٧.

قلبه فمبتعد عني بعيداً . وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس »[١] .

وعدم إيمان اليهود بدعوة يسوع وتعاليمه صادر عن عدم إيمانهم به رسولاً ، فكانت كل مواقفهم ازاءه ومناهضتهم له ومحاربتهم مستندة على هذا الاساس، وكانوا منه ساخرين أبداً ، وهازئين به وبآياته مع خرقها للعقل والمنطق الذي كان عصرهم يألفه . وكان ذلك لا يزيدهم إلا عتواً ونفوراً . « حينئذ تقدم تلاميذه وقالوا له أتعلم أن الفرنسيين لما سمعوا القول نفروا . اتركوهم . هم عميان قادةُ عميان . وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة »[٢] .

ويعود اليهود مرات ومرات إلى يسوع ليجربوه ، وتجربة الرسل كفر ، لأنها الشك بآيات الله التي يؤتيها رسله « وجاء إليه الفريسيون والصدوقيون ليجربوه فسألوه أن يريهم آية من السماء . . يا مراؤون تعرفون أن تميزوا وجه السماء . وأما علامات الأزمنة فلا تستطيعون . جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي »[٣] .

ويأتي اليهود إلى يسوع ليجربوه في سؤال حول الطلاق ، وقهد فصلت توراتهم كل ما يتعلق بهذا الأمر ، وأبيح تعدد الزوجات بدون عدد، وقد ورد هذا عن الأنبياء .

فتجربتهم يسوع واختباره إنما هو شك به وتشكيك « وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له : هل يحق للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب . فأجاب وقال لهم :

---

(١) متى ١٥ : ٧ ـ ٩ .

(٢) متى ١٥ : ١٢ ، ١٤ .

(٣) متى ١٦ : ١ ـ ٤ .

أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته . ويكون الاثنان جسداً واحداً . . فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان . قالوا له فلماذا أوصى موسى أن يعطي كتاب طلاق فتطلق . قال لهم إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم ان تطلقوا نساءكم . ولكن من البدء لم يكن هذا . وأقول لكم . إن من طلق امرأته إلا لسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني . والذي يتزوج بمطلقة يزني »[١] .

وأعداء يسوع ما كانوا ولن يكونوا مؤمنين ، ولم يكن خراب أورشليم ودمار الهيكل وزواله من الوجود إلى الأبد ، إلا عقاباً لهذا الشعب المتمرد العاصي الغليظ الرقبة ، حتى يأتي الله بقوم آخرين مؤمنين « لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطي لأمة تعمل أثماره »[٢] .

وبقي أعداء يسوع يتربصون به ليصطادوه بكلمة « حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة ، فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس . فقل لنا ماذا تظن . أيجوز أن تُعطى جزية لقيصر أم لا . فعلم يسوع خبثهم وقال لماذا تجربونني يا مراؤون . أروني معاملة الجزية . فقدموا له ديناراً . فقال لهم لمن هذه الصورة والكتابة قالوا له لقيصر . فقال لهم اعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا »[٣] .

والبعث أحد الأمور التي كذب بها اليهود فهم ينكرن القيامة والحساب ، وبهذا جربوا يسوع حيث « جاء إليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامة . فسألوه قائلين يا معلم . قال موسى إن مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته ويقم نسلاً لأخيه . فكان عندنا سبعة اخوة وتزوج الأول ومات وإذا لم يكن له نسل ترك

---

(١) متى ١٩ : ٢ ـ ٩ .

(٢) متى ٢١ : ٤٣ .

(٣) متى ٢٢ : ١٥ ـ ٢٢ .

امرأته لأخيه . وكذلك الثاني والثالث إلى السبعة . وآخر الكل ماتت المرأة ايضاً . ففي القيامة لمن من السبعة تكون زوجة فإنها كانت للجميع . فأجاب يسوع وقال لهم تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله . لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون . بل يكونون لملائكة الله في السماء . وأما من جهة قيامة الاموات . أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل . أنا إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب ليس الله إله اموات بل إله أحياء ، فلما سمع الجميع بهتوا من تعليمه »[١] .

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن أولئك لا يؤمنون بالإله الذي يؤمن به إبراهيم وإسحق ويعقوب ، ولا يؤمنون بما يؤمن به إبراهيم وإسحق ويعقوب . والقيامة جزء من الإيمان بالله .

والوصية الأولى في ناموس الأنبياء هي توحيد الله ، وهي جوهر رسالات السماء ، ومع ذلك يجيء إلى يسوع واحد من الفريسيين « ويسأله واحد منهم وهو ناموسي ليجربه قائلاً : يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك . هذه هي الوصية الأولى والعظمى »[٢] .

ويحمِّل اليهود التوراة ولكنهم لا يعملون بها ، هذا هو وصفهم في القرآن ، ووصفهم بها الانجيل ، فقد نبه يسوع إلى ذلك « حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً : على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون . فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم . وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس فيعرِّضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم . ويحبون المتكأ الأول في الولائم

(١) متى ٢٢ : ٢٣ - ٣٢ .
(٢) متى ٢٢ : ٣٤ - ٣٧ .

والمجالس الأولى في المجامع والتحيات في الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي »[1] .

والمراء داء أصيل في أعداء الله ، وهذا يسوع المسيح ينذرهم بالويل « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل . ولعلة تطلبون صلواتكم ، لذلك تأخذون دينونة أعظم . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً . ومتى حصل تصنعونه بنا لجهنم أكثر منكم مضاعفاً .

ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء . ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم . أيها الجهال والعميان أيما أعظم الذهب أم الهيكل الذي يقدس الذهب . ومن حلف بالمذابح فليس بشيء . ولكن من حلف بالقربان الذي عليه يلتزم . أيها الجهال والعميان . أيما أعظم القربان أم المذبح الذي يقدس القربان . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان . كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك . أيها القادة العميان الذين يصفّون عن البعوضة ويبلعون الجمل . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تنقّون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة . ايها الفريسيّ الأعمى نقّ أولاً داخل الكأس والصحفة لكي يكون خارجهما ايضاً نقياً . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة . هكذا أنتم أيضاً من خارج تظهرون للناس أبراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثماً . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين . وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء . فأنتم تشهدون على

---

(١) متى ٢٣ : ١ - ٧ .

أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء. فاملأوا أنتم مكيال آبائكم .

أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم . لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة. لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن بَرخيّا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح . الحق أقول لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجيل »(١) .

ولقد آمن بيسوع من آمن من اسرائيل ، ولكن الكتبة والشيوخ والكهنة والفريسيين والصدوقيين ظلوا على عنادهم وبقوا في لجاجتهم يعمهون . ولا خلاص ليسوع ودينه من كفر أولئك ، الذين لا يؤمنون بالروح ، فإيمانها الذي تدين به هو المحسوسات والمرئيات ، وليس بالغيبيات التي جسَّدتها اسرائيل في كل صورة ولون ، وهذا يسوع يتحدث إلى المرأة السامرية التي تقول له « آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه . قال لها يسوع . يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للأب . أنتم تسجدون لما لستم تعلمون أما نحن فنسجد لما نعلم . لأن الخلاص هو من اليهود . ولكن تأتي ساعة . وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للأب بالروح والحق . لأن الأب طالب مثل هؤلاء الساجدين له . الله روح . والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا »(٢) .

وكفر اليهود ينسحب على كل ما يأتي من الله لأنهم كفروا أصلاً بالله ، ويمتد كفرهم إلى رسل الله وأنبيائه ، وكيف يؤمنون برسل الله وأنبيائه ما داموا لا يؤمنون به سبحانه . ويقول يسوع فيهم « مجدا من الناس لست أقبل . ولكني قد عرفتكم أن

---

(١) متى ٢٣ : ١٣ - ٣٦ .

(٢) يوحنا ٤ : ٢٠ - ٢٤ .

ليست لكم محبة الله في انفسكم . انا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني إن أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه . كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض . والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه .

لا تظنوا أني أشكوكم إلى الأب . يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني . فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامي »(١) .

وما قاله بنو إسرائيل لموسى قالوا من بعده ليسوع ، فهم يختبرون رسل الله بالحسيات المجردة والماديات الملموسة ، ومع هذا كله فهم لا يريدون الإيمان ، وإنما هو التمادي في الكفر واللجاجة والعناد . « فقالوا له فأية آية تصنع لنرى وتؤمن بك . ماذا تعمل . آباؤنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا .

فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء الواهب حياة للعالم . فقالوا له يا سيد أعطنا في كل حين هذا الخبز . فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة . من يقبل إليّ فلا يجوع . ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً . ولكني قلت لكم إنكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون . فكان اليهود يتذمرون عليه لأنه قال أنا هو الخبز الذي نزل من السماء . وقالوا أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه . فكيف يقول هذا إني نزلت من السماء . فأجاب يسوع وقال لهم لا تتذمروا فيما بينكم لا يقدر أحد أن يقبل إليّ إن لم يجتذبه الأب الذي أرسلني وأنا أقيمه في اليوم الأخير . . الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فله حياة أبدية ، أنا هو خبز الحياة . آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا . . . كما أرسلني الآب الحي وأنا حي

---

(١) يوحنا ٥ : ٤١ ـ ٤٦ .

بالآب . فمن يأكلني فهو يحيا بي . هذا هو الخبز الذي نزل من السماء . ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا »[1] .

وإسرائيل ما عملت بناموس موسى ، فكيف تعمل بناموس يسوع « أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس . لماذا تطلبون أن تقتلوني »[2] .

ويلعن يسوع اليهود كما لعنهم الأنبياء والرسل الذين سبقوه ، وقد حقت عليهم اللعنات لأنها حكم الله الذي أرسل إليهم الرسل والأنبياء « ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون »[3] .

والتمويه والتضليل بعض أسلحة اليهود ، فهم ما تركوا نبياً دون أن يشهروا به أو يضللوا الناس حوله ، وقد قالوا في يسوع « إنه لم يقم نبيٌّ من الجليل »[4] .

وقد عطل اليهود شريعة موسى وضيعوها ، وحرفوا أحكامها وزيفوها ، ونسمعهم يجادلون يسوع في إقامة الحد على زانية ، مع كونهم جميعاً زناة « وقدم إليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت في زنا . ولما أقاموها في الوسط قالوا له يا معلم هذه المرأة أمسكت وهي تزني في ذات الفعل . وموسى في الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم . فماذا تقول أنت . قالوا هذا ليجربوه لكي يكون لهم ما يشتكون به عليه . وأما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب بإصبعه على الأرض . ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم من كان منكم بلا خطية فليرجمها أولاً بحجر. ثم انحنى أيضاً إلى أسفل وكان يكتب على الأرض . وأما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحداً فواحداً . مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين . وبقي يسوع وحده والمرأة واقفة في الوسط . فلما انتصب يسوع ولم

---

(١) يوحنا ٦ : ٣٠ - ٣٧ ، ٤١ - ٤٥ ، ٤٧ - ٥١ .
(٢) يوحنا ٧ : ٢٣ - ٢٤ .
(٣) يوحنا ٧ : ٤٩ .
(٤) يوحنا ٧ : ٥٢ .

ينظر أحداً سوى المرأة قال لها يا امرأة أين هم اولئك المشتكون عليك . أما دانك احد . فقالت لا أحد يا سيد . فقال لها يسوع ولا أنا أدينك . اذهبي ولا تخطي أبداً »[١] .

ويجابه اليهود يسوع ويتهمونه بالكذب والتكذيب « فقال له الفريسيون أنت تشهد لنفسك . شهادتك ليست حقا . . وأيضا في ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق . أنا هو الشاهد لنفسي ويشهد لي الآب الذي أرسلني . فقالوا له أين هو أبوك . أجاب يسوع لستم تعرفونني أنا ولا أبي . لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضا »[٢] .

ويتهم الزناة يسوع بالزنا ، ويفاخرون بأن ابراهيم أبوهم ، ولكن يسوع يرد عليهم ذلك ، فابراهيم أبو المؤمنين وليس أباهم ، ولكن ابليس أبوهم بالكفر والعصيان . وهذا يسوع يقول لهم « وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم . أجابوا وقالوا له . أبونا هو ابراهيم . قال لهم يسوع . لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم . . أنتم تعملون أعمال أبيكم . فقالوا له . إننا لم نولد من زنا . لنا أب واحد هو الله . فقال لهم يسوع . لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من قبل الله وأتيت . لماذا لا تفهمون كلامي . لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي . أنتم من أب هو إبليس . وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا . ذاك كان قتالا للناس من البدء . ولم يثبت في الحق لأنه ليس من حق . متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب . وأما أنا فلأني أقول الحق لستم تؤمنون بي . . الذي من الله يسمع كلام الله . لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله »[٣] .

ويتفجر غيظ اليهود على يسوع « وقالوا له ألسنا نقول حسنا إنك سامريّ وبك شيطان . أجاب يسوع أنا ليس بي شيطان لكني أكرم أبي وأنتم تهينونني . . فقال له

---

(١) يوحنا ٨ : ٢ - ١١ .

(٢) يوحنا ٨ : ١٣ ، ١٧ ، ١٨ .

(٣) يوحنا ٨ : ٣٨ - ٤٧ .

اليهود الآن علمنا أن بك شيطانا . قد مات إبراهيم والأنبياء . وأنت تقول إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت إلى الأبد . ألعلك أعظم من أبينا إبراهيم الذي مات . والأنبياء ماتوا . من تجعل نفسك . أجاب يسوع إن كنت أمجد نفسي فليس مجدي شيئا . أبي هو الذي يمجدني الذي تقولون أنتم إنه إلهكم ولستم تعرفون . وأما أنا فأعرفه . وإن قلت إني لست أعرف أكون مثلكم كاذبا . لكني أعرفه وأحفظ قوله . أبوكم ابراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح . فقال له اليهود ليس لك خمسون سنة بعد . أفرأيت إبراهيم . قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن . فرفعوا حجارة ليرجموه . أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازا في وسطهم ومضى هكذا »[1] .

ويمضي اليهود في التحريض على يسوع ، ويثيرون الشغب بين الشعب « لماذا تريدون أن تسمعوا أيضا . ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ . . . وأما نحن فإننا تلاميذ موسى . نحن نعلم أن موسى كلمه الله . وأما هذا فما نعلم من أين هو . . »[2] » .

ويقوم معتقد اليهود على أن يسوع ابن الخطيئة ، وهم يكررون هذا كثيرا في مسامعه « أجابوا وقالوا له في الخطايا ولدت أنت بجملتك وأنت تعلمنا . فأخرجوه خارجا »[3] .

واتهم اليهود يسوع بأنه شيطان يهذي « فقال كثيرون منهم به شيطان وهو يهذي »[4] .

وتستمر عداوة اليهود لرسل يسوع ، وكان لا بد لها أن تستمر ، ولا تزال هذه العداوة ماضية فيهم إزاء أنصار يسوع في المقام الأول ، وقد كان اليهود يعتبرون

---

(١) يوحنا ٨ : ٤٨ - ٥٩ .

(٢) يوحنا ٩ : ٢٧ - ٢٩ .

(٣) يوحنا ٩ : ٣٣ .

(٤) يوحنا ١٠ : ٢٠ .

يسوع أكثر الفوضويين خطورة على مصالحهم . وراحوا يهونـون من شأن آياتـه ومعجزاته بما كانوا يشيعونه من أن هذه المعجزات إنما هي من الشيطان .

وتشير الكتب المسيحية إلى أن حواريي عيسى لم يلاقوا النجاح الكبير في مهمتهم ، ولكنهم بقوا على صلات طيبة مع الشعب بفضل شدة تمسكهم بالتقاليد اليهودية ومواظبتهم على زيارة المعبـد ، وذلك يدل بلا شك علـى عدم اهتمـام المسيح بالانفصال عن عقيدة اسرائيل وعلى عدم رغبته في ذلك(١) .

ولكن هؤلاء أثاروا عداوة الكتبة والكهنة واحتقارهم واضطهادهم من خلال ما تسجله أعمال الرسل .

ومع كل ذلك فإننا حين نريد الوقوف على دعوة عيسى كما أرادها الله سبحانه فإننا نعود إليها في القرآن الكريم ، وفيه الحق ، وفيه القول الفصل . وقد رسم لعيسى صورة تجل عما نسب اليه اليهود ، كما نسبوا إلى من سبقه وإلى من أتى بعده .

وحارب اليهود الحواريين حرباً لا هوادة فيها ، فهذا شأنهـم مع كل حركة إصلاح ، مع كل دعوة إيمان ، مع كل كلمة حق وصدق ولكنهم ـ أي اليهود ـ كانوا يسلكون في حربهم سبل المراوغة حتى يظفروا بالرسل ، وكانوا يختلقون عليهم الأكاذيب والروايات حتى يثيروا عليهم الشعب الذي رأى في هذه الدعوة ما يخفف حدة الصراع المادي من خلال روحانية الدعوة الجديدة . ويقف اليهود من أحد الرسل الذي كان يعلم الشعب موقف الكيد والدسيسة « حينئذ دسوا لرجال يقولون إننا سمعناه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله . وهيجوا الشعب والشيوخ والكتبة فقاموا وخطفوه وأتوابه إلى المجمع . وأقاموا شهودا كذبة يقولون هذا الرجل لا يفتر عن أن يتكلم كلاما تجديفا ضد هذا الموضع المقدس والناموس . لأننـا سمعناه يقول إن يسوع الناصري هذا سينقض هذا الموضع ويغير العوائـد التـي

---

(١) شارل جنيبير : المسيحية نشأتها وتطورها ٥٢ ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود . المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت .

سلمنا إياها موسى »[1] .

ولا يجد هذا الرسول المقبوض عليه إلا أن يعيد إلى أذهان المجتمعين به في المجمع سجلا حافلا بماضيهم الذي خنق بالكفر والجحود وقسوة القلوب ، ويذكرهم بكفرهم برسولهم موسى « الذي أنكروه قائلين من أقامك رئيسا وقاضيا هذا أرسله الله رئيسا وفاديا بيد الملاك الذي ظهر له في العليقة . هذا أخرجهم صانعا عجائب وآيات في أرض مصر وفي البحر الأحمر وفي البرية أربعين سنة :

هذا هو موسى الذي قال لبني اسرائيل نبيا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم . له تسمعون . هذا هو الذي كان في الكنيسة في البرية مع الملاك الذي كان يكلمه في جبل سيناء مع آبائنا . الذي قبل أقوالا حية ليعطينا إياها . الذي لم يشأ آباؤنا أن يكونوا طائعين له بل دفعوه ورجعوا بقلوبهم إلى مصر قائلين لهرون أعمل لنا آلهة تتقدم أمامنا لأن هذا موسى الذي أخرجنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فعملوا عجلا في تلك الأيام وأصعدوا ذبيحة للصنم وفرحوا بأعمال أيديهم . فرجع الله وأسلمهم ليعبدوا جند السماء كما هو مكتوب في كتاب الأنبياء . هل قربتم لي ذبائح وقرابين أربعين سنة في البرية يا بيت إسرائيل . بل حملتم خيمة مولوك ونجم الهكم رمفان التماثيل التي صنعتموها لتسجدوا لها . فأنقلكم إلى ما وراء بابل .

يا قساة الرقاب وغير المختونين . بالقلوب والآذان أنتم دائما تقاومون الروح القدس . كما كان آباؤكم كذلك أنتم . أي الأنبياء لم يضطهده آباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار الذي أنتم الآن صرتم مسلمين وقاتلين . الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه .

فلما سمعوا هذا حنقوا بقلوبهم وصروا بأسنانهم عليه . . . فصاحوا بصوت

---

(١) أعمال الرسل ٦ : ١١ - ١٤ .

عظيم وسدوا آذانهم وهجموا عليه بنفس واحدة . وأخرجوه خارج المدينة ورجموه »[1] .

ولا يقض مضجع اليهود غير كلمة الله ، بل لا يؤرقهم ولا يثير حفائظهم غير كلمة الحق « وفي السبت التالي اجتمعت كل المدينة تقريبا لتسمع كلمة الله . فلما رأى اليهود الجموع امتلأوا غيرة وجعلوا يقاومون ما قاله بولس مناقضين ومجدفين ، فجاهر بولس وبرنابا وقالا كان يجب أن تكلّموا أنتم أولا بكلمة الله ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه الى الأمم . لأنه هكذا أوصانا الرب . فقد أقمتك نوراً للأمم لتكون أنت خلاصاً إلى أقصى الأرض . . . ولكن اليهود حركوا النساء المتعبدات الشريفات ووجوه المدينة وأثاروا اضطهادا على بولس وبرنابا وأخرجوهما من تخومهم »[2] .

ولم يتأثر اليهود بالدعوة الجديدة التي لم تنقض دعوة موسى أدنى تأثر ، بل إنهم لم يتغيروا عما كانوا عليه ، فالرذائل ذاتها ، والآثام هي نفسها التي امتلأت بها قلوبهم « لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبيّ . وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء . وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الانسان الذي يفنى والطيور والدواب والزحافات . لذلك أسلمهم الله أيضا في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم . الذين استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذي هو مبارك إلى الأبد آمين . لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان . لأن إناثهم استبدلن الاستعمال ا لطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة . وكذلك الذكور أيضا تاركين استعمال الأنثى الطبيعيّ اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكورا بذكور ونائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم الحق . وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا

---

(١) أعمال الرسل ٧ : ٣٥ - ٤٣ ، ٥١ - ٥٨ .

(٢) أعمال الرسل ١٣ : ٤٤ - ٤٧ ، ٥٠ .

يليق . مملوئين من كل إثم وزنا وشر وطمع وخبث مشحونين حسداً وقتلا وخصاماً ومكرا وسوءا . نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين متعظمين مدّعين مبتدعين شرورا غير طائعين للوالدين . بلا فهم ولا عهد ولا حنوٍّ ولا رضى ولا رحمة . الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت لا يفعلونها فقط بل أيضا يُسَرّون بالذين يعملون »(١) .

واليهود ـ فيما وصفتهم الأناجيل ـ يفعلون المنكر مع علمهم به ، ويكفرون مع كونهم أصحاب شريعة ، ويسرقون ، ويزنون ، وعندهم وصايا شريعتهم العشرة ولكنهم « هوذا أنت تسمى يهوديا وتتكل على الناموس وتفتخر بالله وتعرف مشيئته وتميز الأمور المتخالفة متعلما من الناموس . وتثق أنك قائد للعميان ونور للذين في الظلمة . ومهذب للأغبياء ومعلم للأطفال ولك صورة العلم والحق في الناموس . فأنت إذن الذي تعلم غيرك ألست تعلم نفسك . الذي يكرز أن لا يُسْرَق أتسرق . الذي تقول أن لا يُزنى أتزني . الذي تستكره الأوثان أتسرق الهياكل . الذي تفتخر بالناموس أبتعَدِّي الناموس تهين الله . لأن اسم الله يجدَّف عليه بسببكم بين الأمم كما هو مكتوب »(٢) .

ومع شريعة موسى ودعوة يسوع ، ومع معجزاتهما وآياتهما لليهود ، فإنهم بقوا على وثنيتهم كما بدأوا ، فهم يتساوون مع اليونانيين الوثنيين الذين لم ينزل عليهم كتاب « فماذا إذا . أنحن أفضل . كلا البتة . لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية . كما هو مكتور أنه ليس بارٌ ولا واحد . ليس من يفهم . ليس من يطلب الله . الجميع زاغوا وفسدوا معا . ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد . حنجرتهم قبر مفتوح . بألسنتهم قد مكروا . سمّ الأصلال تحت شفاههم . وفمهم مملوء لعنة ومرارة . أرجلهم سريعة إلى سفك الدم . في طرقهم اغتصاب وسُحق . وطريق السلام لم يعفوه . ليس خوف الله قدام عيونهم »(٣) .

---

(١) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١ : ٢١ ـ ٣٢ .

(٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٢ : ١٧ ـ ٢٤ .

(٣) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٣ : ٩ ـ ١٥ .

وتعيد الأناجيل أمام اليهود صورا من ماضيهم المظلم بالكفر وقد كان اليأس من إصلاحهم يدفع أنبياءهم إلى التوسل إلى الرب ضد اسرائيل ، كما فعل إيليا قائلا « يا رب قتلوا أنبياءك وهدموا مذابحك وبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي . . . وأما الباقون فتقسَّوْا كما هو مكتوب أعطاهم الله روح سبات وعيونا حتى لا يبصروا وآذانا حتى لا يسمعوا إلى هذا اليوم . وداود يقول لتصر مائدتهم فخا وقنصا وعثرة ومجازاة لهم . لتظلمْ أعينهم كي لا يبصروا ولتحنِ ظهورهم في كل حين »[1] .

ويبقى اليهود فيما حل بهم نتيجة كفرهم عبرة ونذراً لمن يلونهم ، والأناجيل لا تفتأ تعيد تلك الصفحات الغابرة من ذلك الكفر اليهودي العنيد « فإني لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر وجميعهم أكلوا طعاماً واحدا روحيا . وجميعهم شربوا شرابا واحداً روحياً . لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم . والصخرة كانت المسيح . لكن بأكثرهم لم يسرّ الله لأنهم طرحوا في القفر . وهذه الأمور حدثت مثالا لنا حتى لا نكون نحن مشتهين شرورا كما اشتهى أولئك . فلا تكونوا عبدة أوثان كما كان أناس منهم . . ولا تزن كما زنى أناس منهم فسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفا . ولا تجرب المسيح كما جرب أيضا أناس منهم فأهلكتهم الحيات . ولا تتذمروا كما تذمر أيضا أناس منهم فأهلكهم المهلك . فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالا وكتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور » .

وترد الأناجيل على اليهود ادعاءهم نسب ابراهيم ـ فالنسب الذي تعترف به شرائع السماء هو نسب الايمان لا نسب اللحم والدم والقرابة العنصرية . « كما آمن إبراهيم بالله فحسب له براً . اعلموا إذا أن الذين هم من الايمان أولئك هم بنو

---

(١) رسالة بولس الرسول إلى أهلى رومية ١١ : ٣ .

(٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس ١٠ : ١ ـ ١٢ .

إبراهيم . والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالايمان يبرر الأمم سبق فبشر ابراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم . إذا الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن »[١] .

ودعوة يسوع هي دعوة الروح لتحد من غلواء الجسد ، وتكبح جماح مادياته التي انغمس فيها اليهود « لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد . وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون[٢] ما لا تريدون . ولكن إذا أنقذتم بالروح فلستم تحت الناموس . وأعمال الجسد ظاهرة التي هي زنى عهارة نجاسة دعارة . عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة ، حَسَدٌ قتل سكر بطر وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضا . إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله »[٣] .

وفي الأناجيل يضرب باليهود المثل بالرجاسات والنجاسات أمام الأمم التي تدعى إلى الإيمان ، والمعروف عن أولئك إشاعة الخرافات والعمل بها ، وهذا بولس يدعو إلى عدم الاصغاء إلى هذه الخرافات « فلهذا السبب وبخهم بصرامة لكي يكونوا أصحاء في الإيمان لا يصغون إلى خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق »[٤] .

ويبقى اليهود ، كل جيل من أجيالهم شر خلف لشر سلف وعنوانهم أولئك الذين غضب الله عليهم فأبادهم في سيناء ، وليكون أولئك إشارة إلى أمة التوحيد التي ترفع راية لا إله إلا الله ، وإعلانا لها وبشرى لما سيؤول إليه حال أحفاد أولئك الذين كفروا وضلوا فهلكوا بكفرهم .

ويبقى ذلك الهلاك في سيناء بداية للعقاب الأبدي نفسه الذي قضاه الله على

---

(١) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطيّة ٣ : ٦ ـ ٩ .

(٢) الصواب تفعلوا في حالة النصب قذف نون الأفعال الخمسة .

(٣) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ٥ : ١٦ ـ ٢١ .

(٤) رسالة بولس إلى تيطس ١ : ١٣ ـ ١٤ .

أعدائه وأعداء دينه .

والرسالة إلى العبرانيين تُذكرهم بما هو مسطور في صدورهم وقلوبهم القاسية ، عن تجربة القفر وعقاب الرب لهم « فلا تقسوا قلوبكم كما في الإسخاط يوم التجربة في القفر . حيث جربني آباؤكم . اختبروني وأبصروا أعمالي أربعين سنة . لذلك مقتُّ ذلك الجيل وقلت إنهم دائما يضلون في قلوبهم ولكنهم لم يعرفوا سبلي . حتى أقسمت في غضبي لن يدخلوا راحتي . . فمن هم الذين إذ سمعوا أسخطوا . أليس جميع الذين خرجوا من مصر بواسطة موسى . ومن مقت أربعين سنة . أليس الذين أخطأوا الذين جثثهم سقطت في القفر . ولمن أقسم لن يدخلوا راحته إلا للذين لم يطيعوا . فنرى أنهم لم يقدروا أن يدخلوا لعدم الايمان »[1] .

وقضاء الله في أعدائه نافذ في التوراة والانجيل والقرآن ، في ألا يدخلوا راحته أو ملكوته ووطنه السماوي كما تذكر الأناجيل ، والحكم قد كتب عليهم في علم الله منذ الأزل « لأننا نحن المؤمنين ندخل الراحة كما قال حتى أقسمت في غضبي لن يدخلوا راحتي . مع كون الأعمال قد أكملت منذ تأسيس العالم . . . لأن كلمة الله حية وفعّالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته . وليست خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا »[2] .

لقد كفر اليهود بموسى وبرب موسى ، وارتدوا عن عبادة الرب إلى عبادة العجل والوثن، وكفروا بيسوع ورب يسوع ، وارتدوا عنه إلى عبادة الوثن ، فمن يرتد عن الوصية المقدسة بعد إذ تكون واضحة جلية فهو ـ كما تصفه الأناجيل ـ كلب قد عاد إلى قيئه وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمْأة « ولا سيما الذين يذهبون وراء الجسد في شهوة النجاسة ويستهينون بالسيادة .جسورون معجبون بأنفسهم لا

---

(١) الرسالة إلى العبدانيين ٣ : ٨ ـ ١١ ، ١٥ ـ ١٨ .

(٢) الرسالة إلى العبرانيين ٤ : ٣ ، ١٢ ـ ١٣ .

يرتعبون أن يفتروا على ذوي الأمجاد ـ حيث ملائكة وهم أعظم قوة وقدرة لا يقدمون عليهم لدى الرب حكم افتراء . أما هؤلاء فكحيوانات غير ناطقة طبيعية مولودة للصيد والهلاك يفترون على ما يجهلون فسيهلكون في فسادهم . آخذين أجرةالإثم . الذين يحسبون تنعم يومٍ لذة . أدناس وعيوب يتنعمون في غرورهم صانعين ولائم معكم . لهم عيون مملوءة فسقا لا تكف عن الخطية . خادعون النفوس غير الثابتة . لهم قلب متدرب في الطمع . أولاد اللعنة . قد تركوا الطريق المستقيم فضلوا تابعين طريق بلعام بن بَصورَ الذي أحب أجرة الإثم . . هؤلاء هم آبار بلا ماء غيوم يسوقها النَّوْء . الذين قد حفظ لهم قتام الظلام إلى الأبد . لأنهم إذ ينطقون بعظائم البطل يخدعون بشهوات الجسد في الدعارة من هرب قليلا من الذين يسيرون في الضلال . واعدين إياهم بالحرية وهم أنفسهم عبيد الفساد . لأنه إذا كانوا بعد ما هربوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح يرتكبون أيضاً فيها فينغلبون فقد صارت لهم الأواخر أشرمن الأوائل . لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر من أنهم بعد ما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم . قد أصابهم ما في المثل الصادق كلب قد عاد إلى قيئه وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة»(١)

تلك صورة اليهود في الأناجيل، وهي بلا شك الصورة التوراتية ذاتها، وهي بالتالي الصورة التي وردت تفصيلاتها في القرآن الكريم، وكلها لا تخرج عن وصف هذا الشعب بأخس الصفات البشرية ، بل إنها صفات تبعدهم عن مصاف البشر ، الذين صورت لهم خيالاتهم المريضة أنهم بصفاتهم هذه الشعب المختار الذي اختاره الرب واصطفاه ، متوهمين أن اختيارهم كان نتيجة محبة الرب لهم دون سواهم من المخلوقات . وكان إدعاؤهم صريحاً واضحاً حين قالوا إنهم ابناء الله وأحباؤه.

ووضحت لهم الأناجيل معنى الاختيار، وهو لا يتعدى الشعب المؤمن

(١) رسالة بطرس الرسول الثانية ٢ : ١٠ ـ ٢٢ .

الموحد ، فكان يدعو من آمن بيسوع شعبه ، مما يؤكد شرط الايمان للاختيار الالهي ، وآمن بيسوع من آمن ، وكفر به من كفر .

لقد كفر به اليهود المتمثلين في الفريسيين والصدوقيين والشيوخ والكتبة . وإن أردت الدقة والتحديد فإني أقول إن أولئك لم يؤمنوا بيسوع أصلاً رسولاً ونبيا ، وهذا يعطيهم صفة الكفر المعاند ، والجحود المكابر.

وتقصر الأناجيل اختيار شعب الله على المؤمنين الموحدين بالله الواحد الأحد الخالق السموات والأرض، وتبقى صفة الاختيار تدور في مجال الفئة القليلة المؤمنة في عهد عيسى، وقد كانت النواة للرسالة الموحدة الأبدية التي بشر بها عيسى . رسالة محمدﷺ.

وبظهورها على مسرح الحياة يتأكد الاختيار ـ والاصطفاء ، فالأمة المختارة هي أمة الاسلام. والدين الباقي الموحد هو دين الاسلام الذي صفى رسالات السابقين من شوائب الكفر ، فكان عنوانه الذي لا يكون بدونه إيمان مطلق كلمة « لا إله إلا الله».

وتختتم رسالات السماء بالقول الفصل لأمة « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون»(١). و« إن الدين عند الله الاسلام»(٢).

ويقرر القرآن الكريم اصطفاء هذه الأمة المسلمة الموحدة مما ينقض معه كل ادعاء يهودي « إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون»(٣).

---

(١) لـ عمران ١١٠ .
(٢) آل عمران ١٩ .
(٣) البقرة ١٣٢ .

اليهود في القرآن الكريم

جاء القرآن الكريم بصورة شاملة كاملة عن اليهود في آثامهم ورذائلهم وفسادهم وإفسادهم ، إذ لم يترك شيئاً من طباعهم ونفسيتهم إلا ذكرها .

وتوراة اسرائيل قد فصلت هذا كله ، والأجانيل وضحت بل أكدت ما جاء في التوراة من صفات هذا الشعب المعوج الطباع القاسي القلوب .

ولكن تأتي أهمية الصورة اليهودية القرآنية في أنها صورة باقية أبد الدهر ، ولن يستطيع أحد تغييرها أو تحويرها أو طمس معالمها لأنها من لدن حكيم خبير ولأن كتاب الله «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»[1] . و « «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»[2] .

وأول قضية عالجها القرآن الكريم هي ادعاء اسرائيل نسب إبراهيم نسب الايمان في ظاهر الأمر ، وقد جادلوا في هذا الادعاء وحاججوا ، وكان جدالهم في أن لهم من الرب ما لإبراهيم من فضل ووعد ، ونسوا بل تجاهلوا ـ وهم يعلمون علم اليقين ـ أنهم لا يمتون إلى إبراهيم بأدنى نسب من الإيمان والهداية ، ولا علاقة تربطهم باسحق ويعقوب ، لأن أولئك كانوا أمة مسلمة ، وهؤلاء اليهود قد كفروا .

---

(١) فصلت ٤٢ .
(٢) الحجر ٩ .

والحقيقة التوراتية التي يتجاهلونها ، والحقيقة الإنجيلية هو أن ابـراهيم ما كان يهوديا ، لأن اليهودية برزت إلى الوجود بعد ابراهيم بدهور طويلة ، ولا كان ابراهيم نصرانيا لأنه سبق هذا وذاك كله بأزمان طويلة لم يكن فيها شيء من يهودية أو نصرانية .

وقد حسم القرآن الكريم ذلك ، ورد على اليهود ادعاءهم فقال سبحانه « يا أهل الكتاب لم تحاجّون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون. ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم . فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون. ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلماً وما كان من المشركين»(١) .

والادعـاء الآخـر اللاحـق لادعائهـم الأول هو انتماؤهـم إلـى يعقــوب (اسرائيل)، وأنهم أبناؤه بالايمان ؛ وأن لهم ما ليعقوب. وفاتهم أن يهود اليوم لا يمتون إلى يعقوب اسرائيل ، لا بصلة الإيمان ، ولا بصلة الدم واللحم والقرابـة العنصرية . فيهود اليوم إنما هم أشتات دخلت اليهودية دون ان يكون لها ماض يتصل بيعقوب، حتى بنسب العنصر .

وإن كان لنسل يعقوب من بقية ، فهي لا يعتد بها في ميزان الإيمان ، وأولئك الأنبياء قـد جعل الله من نسلهم من آمن بالله الايمان المطلق، فكان ان حدد القرآن الكريم موقف رسالات السماء من ابراهيم واسحق ويعقوب فقال فيهم سبحانه «ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون. ام كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون »(٢) .

---

(١) آل عمران ٦٦ ـ ٦٧ .

(٢) البقرة ١٣٣ .

ووصف القرآن الكريم اسرائيل بما وصفتهم به التوراة من الرفض والتحدي والظلم والبغي إلا فئة قليلة نادرة لا تكاد تذكر ، قد استجابت إلى الحق .

وكانت وصايا الله إلى بني اسرائيل هي عبادة الله وتوحيده ، والإيمان رأس كل الفضائل . وكفرت اسرائيل بالله ، فاستحال بعد الكفر العمل بأي فضيلة ، فكان كفرهم سبيل كل إثم ورذيلة . « وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل . لا تعبدون إلا الله وبالواالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون»(١)

والتوحيد جوهر رسالات السماء وأصلها ، ودعوة موسى إلى بني اسرائيل أن لا إله إلا الله « وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلاً»(٢) .

وصلابة الرقاب بعض صفات إسرائيل ، وبها استقبلوا ما جاء به الأنبياء « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون»(٣) .

وضيعت اسرائيل التوراة ، توراة موسى . ورفضوا وصاياه وأحكامه وكفروا بما أنزل إليهم من كتاب « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا»(٤) .

وكما كفرت اسرائيل بموسى فقد كفرت بكل من جاء بعده « ولقد آتينا موسى الكتاب وقضينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس . أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون»(٥) .

---

(١) البقرة ١٨٣ .
(٢) الاسراء ٢ .
(٣) البقرة ١٠١ .
(٤) الجمعة ٥ .
(٥) البقرة ٨٧ .

وقد زيفت إسرائيل ما جاء به الأنبياء والرسل ، وما جاءت به كتب السماء ، والتاريخ والواقع يشهدان تزييفها الذي تحقق من خلاله أوهاما وخيالات توراتية صنعتها ايديهم «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا . فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون»[1].

ويل لهم مزيفي كلام الله ، ويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما تكسبه أيديهم ، وستنقلب عليهم أطماعهم خرابا ودماراً .

لقد كفر بنو اسرائيل ، ولم يستطع نبيٌّ أن يكبح جماحهم ، أو يليِّن قلوبهم بالإيمان « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار. وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما يعملون»[2].

وبنو إسرائيل قد لفظتهم كل أرض حلوا فيها لأنهم يعملون على استباحة حقوق الآخرين واستغلال تعبهم ومجهودهم دون وجه حق ، فهم كما قال فيهم سبحانه « سماعون للكذب أكالون للسحت»[3].

وفي سبيل قضم حقوق الآخرين نراهم يهبون مع كل صائحة ، يسعون فيها إلى الفساد والإفساد، حتى إن التاريخ ليجزم بأنه ما من ثورة اشتعلت او حركة عصيان تفجرت إلا كان اليهود هم محركيها ومشعلي نارها . « وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون»[4].

وهم يرفضون النصح والهداية ، وهم يأبون النهي والتناهي إذ « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون»[5] . ويقول سبحانه « لولا ينهاهم

---

(١) البقرة ٧٩ .

(٢) البقرة ٧٤ .

(٣) المائدة ٤٢

(٤) المائدة ٦٢ .

(٥) المائدة ٧٩ .

الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون»[1].

واسرائيل شعب قد تأصل في طبعهم الشر . وجبلت نفوسهم على الإثم ، وهم لا يستجيبون إلى الهداية بحال ، ولذلك فهم يحاولون إشعال نار الفتن في كل مكان بكفرهم ورجسهم ولكن الله سبحانه لهم بالمرصاد « وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين»[2].

وفي اسرائيل يقول سبحانه «بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى»[3]. وتندرج هذه الآية على كل اسرائيل على على طول تاريخها حتى عصرنا الحاضر . فمن ظنهم مجتمعين على رأي واحد فهو على خطأ ، لأنهم شتى القلوب كما كانوا قبل آلاف السنين. وكما يكونون حيث كانوا مجتمعين. فالشقاق بينهم والشقاق مع جيرانهم طبيعة لم تفارقهم منذ سمع بهم التاريخ .

وليس المقصود بالشقاق تلك الخلافات المذهبية التي اشتهر بها تاريخ اليهود .

وهو ليس المنازعات السياسية التي هي ظاهرة تتكرر في حياة الأمم . ولكنه تلك الظاهرة التي لم تنقطع في تاريخ اليهود . وهذه علة خاصة بهم دون سواهم . وخلاصتها أنها نشوز في التكوين الاجتماعي وقف بنموهم عند مرحلة مبتورة تحول دون تطورهم مع الزمن من تكوين القبيلة البدوية إلى تكوين الأمة الحضرية . فهم إلى اليوم يبلغون ما يبلغون من المدنية والعلم ولا يتخلصون من علاقة القبيلة بينهم كما كانت في دور البداوة . فمسألة الايمان بالديانة الاسرائيلية عندهم مسألة لحم ودم وقرابة عنصرية وليست مسألة الهداية الانسانية التي يشترك فيها جميع بني الانسان . وذلك هو النشوز الذي يجعلهم شذوذا ملحوظا في كل

---

(١) المائدة ٦٣ .

(٢) المائدة ٦٤ .

(٣) الحشر ١٤ .

بيئة فلا هم من قبائل البادية ولا هم من أمم الحضارة العالمية(١) .

وقد لعن الله سبحانه شعب اسرائيل وطمس على قلوبهم لكفرهم وجحودهم وتحريفهم الكتاب « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه »(٢) ـ

ولعن الأنبياء بني اسرائيل بعصيانهم واعتدائهم ، « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »(٣) .

وبنو اسرائيل هم شر خلق الله كما حكم القرآن الكريم ، وقد غضب الله عليهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت لقوله سبحانه «قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل »(٤) .

ويتصف بنو إسرائيل بالصلف واللجاجة والتجرؤ على الله ، فقد قالوا عنه سبحانه إنه بخيل فقال فيهم سبحانه « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء . وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا »أ؟ (٥) .

واليهود لا يكتفون بذلك بل إنهم يزينون البخل للمؤمنين . قال ابن اسحق(٦) : كان جماعة من اليهود فيهم حيي بن أخطب يأتون رجالا من الأنصار كانوا يخالطونهم يتنصحون لهم من أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون لهم : لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها ، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون علام يكون فأنزل الله سبحانه فيهم « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله »(٧) (أي من التوراة) .

---

(١) عباس العقاد : الصهيونية وقضية فلسطين . ؟؟ .

(٢) المائدة ١٣ .

(٣) المائدة ٧٨ .

(٤) المائدة ٦٠ .

(٥) المائدة ٦٤ .

(٦) ابن هشام : السيرة النبوية ـ ٢ : ٥٦٠ .

(٧) النساء ٣٧ .

وقالوا ـ لعنهم الله ـ إن الله فقير وهم أغنياء يستقرضهم الله أموالهم . فقد دخل أبو بكر الصديق بيت المدراس على يهود فوجدهم كثيرين اجتمعوا على واحد منهم اسمه فنحاص . فجاءه أبو بكر وقال له : يا يا فنحاص ، اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً لرسول الله قد جاءكم بالحق من عنده تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والانجيل . فرد فنحاص والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه لأغنياء . وما هو عنا بغني . ولو كان عنا غنيا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم . ينهاكم عن الربا ويعطيناه . ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا .

فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال : والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت رأسك أي عدو الله . فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ وحدثه بما حدث مع أبي بكر . فسأل الرسول ﷺ أبا بكر سبب ذلك فحدثه بما كان من فنحاص فأنكر فنحاص ذلك [1] فأنزل الله سبحانه « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق »[2] .

وتبلغ اللجاجة باليهود مداها ، فكما طلبوا من موسى أن يريهم الله جهرة كذلك طلبوا من محمد ﷺ أن يقول لهم من خلق الله ، وطلبوا منه أن يصف لهم الله عضوا عضوا .

« فقد أتى رهط من يهود إلى رسول الله فقالوا يا محمد : هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ؟ فغضب رسول الله ﷺ حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضبا لربه . قال فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه فقال خفض عليك يا محمد . وجاءه من الله بجواب ما سألوه « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »[3] .

---

(١) السيرة النبوية ٢ : ٥٨٨ ، ٥٨٩ .
(٢) آل عمران ١٨١ .
(٣) الإخلاص ١ ـ ٤ .

فلما تلاها عليهم قالوا : فصف لنا يا محمد كيف خلقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف عضده ؟ فغضب رسول الله ﷺ أشد من غضبه الأول وساورهم . فأتاه جبريل عليه السلام فقال له كما قال له أول مرة وجاء من الله تعالى الجواب « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون »[1] .

وتبرز المادية المحسوسة في شعب إسرائيل ، فهم لا يؤمنون بالغيبيات ، ولكنهم يحيلون هذا الإيمان إلى مجسدات محسات يطلبون من خلالها أن يروا الله جهرة ، كما طلبوا من موسى أيضا أن ينزل عليهم ربه الطعام والشراب ، فأنزل المن والسلوى وأكلوه ، وضرب بعصاه الحجر فشربوا منه ، وظلل عليهم الشمس بالغمام . . الى آخرهذه المحسوسات . وهم لا يؤمنون ، ولا يصدقون ، ومع كل معجزة كانوا يطلبون المزيد بصفاقة وصلافة .

ومن أبرز صفات أسرائيل الجبن والفزع ، حتى إنهم ليفرون من خشخشة ورقة الشجر كما تصفهم التوراة .

وتتجسد هذه الصفة فيما يخوضونه من حروب مع العرب بعامة ومع الفلسطينيين بخاصة ، فقد أعطت الحرب الفلسطينية الاسرائيلية في لبنان لعام ٨٢ العالم المثل الأعلى صمود الفلسطينيين وعشقهم الشهادة في سبيل الله والوطن، كما جسدت جبن الاسرائيليين الذين كانوا يقيدون بسلاسل داخل دباباتهم خوفا من الفرار من المعركة .

كما جسدت المعركة حرص الاسرائيليين على الحياة . وفيهم قال سبحانه « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة »[2] .

وهذا الجبن المتأصل فيهم ، والذي عشش في صدورهم وقلوبهم حملهم

---

(١) الزمر ٨٧ .
(٢) البقرة ٩٦ .

على مر التاريخ ويحملهم على التحصن داخل الحصون ، فهـم لا يقاتلـون إلا مدججين بالسلاح من داخل حصونهم ، وهذا ما نراه اليوم من اعتماد اسرائيل في المقام الأول على سلاح الطيران الذي يضمنون من خلاله عدم المواجهة مع المقاتلين العرب، وهم يظنون ان هذا كله سيمنعهم بأس أصحاب الحق «وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار »(١) .

وهم كذلك « لا يقاتلونكم إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر »(٢) .

ومرض اسرائيل القديم والحديث هو ظنهم أنهم أبناء الله وأحباؤه . . فقد(٣) أتى رسول الله جماعة من يهود فكلموه وكلمهم ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته فقالوا : ما تخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحباؤه . فأنزل الله تعالى فيهم : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير »(٤) .

واليهود قد كفروا بالله وباليوم الآخر ، وإن كان هناك حساب كما يقولون فهو العذاب القليل حتى لمن كفر مثلهم .

فقد قدم رسول الله ﷺ المدينة واليهود تقول . إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة . وإنما يعذب الله الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا في النار من أيام الآخرة . وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب . فأنزل الله تعالى « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة . قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته

(١) الحشر ٢ .
(٢) الزمر ٦٧ .
(٣) السيرة النبوية ٢ : ٥٦٣ .
(٤) المائدة ١٨ .

فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »[1] .

والفسق يلازم اسرائيل وهو قرين الكفر الذي فتح لهم أبواب الآثام والرذائل كلها ، فكفروا وحرفوا وبدلوا وظلموا « فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون »[2] .

وقال فيهم سبحانه « وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون »[3] .

ومعبود اسرائيل على مر التاريخ هو الذهب ، فقد عبدوا في أيام موسى عجلا ذهباً ، وعلى طول التاريخ هم عباد الذهب الذي يدورون حوله للسيطرة عليه والنفاذ من خلاله إلى السيطرة على العالم كله .

« واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين »[4] .

وكما كفر بنو إسرائيل برب موسى فقد كفروا برب محمدﷺ ، وجادلوا موسى في ربه ، وجادلوا عيسى من بعده ، وجادلوا من بعدهم جميعا محمداﷺ . فقد[5] أتى الرسولﷺ جماعة من يهود فقالوا له يا محمد ، أما تعلم مع الله إلّها غيره ؟ فقال رسول اللهﷺ الله لا إله إلا هو . بذلك بعثت وإلى ذلك أدعو . فأنزل الله فيهم وفي قولهم « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أإنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون »[6] .

والربا وما أدراكم ما الربا ؟ إن اليهود هم المرادف للربا ، إنه الوجه الكالح

(1) البقرة ٨٠ - ٨٢ .
(2) البقرة ٥٩ .
(3) الأعراف ١٦٣ .
(4) الأعراف ١٤٨ .
(5) السيرة النبوية ٢ : ٥٦٨ .
(6) الأنعام ١٩ .

للصدقة ، إذ الصدقة عطاء وسماحة وطهارة وزكاة وتعاون وتكافل ، والربا شح وقذارة ودنس وأثرة وفردية .

الصدقة نزول عن المال بلا عوض ولا رد إلا من ثواب الله سبحانه . والربا استرداد للدين ومعه زيادة حرام مقتطعة من جهد المدين . أو من لحمه[1] . ولهذا كان تشديد الاسلام على استئصال الربا بحزم وقوة .

وتوراة اسرائيل تحرم الربا مع اليهودي وتحلله مع سواه ، ذلك هو ما وصل إليه تحريفهم ، وتحريم القرآن للربا يعني أن كتب السماء كلها قد حرمت هذا النوع من الربح ، ولكن اسرائيل بدلوا كلام الله من بعد ما عقلوه .

وقد صور القرآن الكريم الفئة المرابية صورا رهيبة منفرة ، فيقول سبحانه « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس »[2] .

وقد تشدد الاسلام في القضاء على الربا لأنه الربح الحرام . كما كانت وصية رسول الله ﷺ في حجة الوداع « وإن كل ربا موضوع . . قضى الله أنه لا ربا »[3] .

ويشهد على هذه الآثام والرذائل اليهود أنفسهم ، مما يوحي إلى أن الله سبحانه قد شاء لهم الضلالة وطبع على قلوبهم الكفر إلى درجة يعترف معها اليهود بهذه الخطايا التي هي طبعهم وخلقهم « وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون »[4] .

وقال سبحانه وتعالى « . . فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا »[5] .

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن ١ : ٤٦٦ ـ ط : ٧ سنة ١٩٧١ ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت .

(٢) البقرة ٢٧٥ .

(٣) السيرة النبوية ٤ : ٦٠٣ .

(٤) البقرة ٨٨ .

(٥) النساء ١٥٥ .

وأشهد الله المؤمنين على هذا الشعب اليهودي ، ونهاهم عن اتخاذهم أولياء « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض . ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين »(١) .

واليهود هم أعداء الله ، ومن كان لله عدوا فهو للبشرية كلها عدو ومن يعاد الله فلا ولاية له « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون »(٢) .

واليهود في مجموع رذائلهم هم الفئة التي كفرت واشركت وضلت وأضلت وانحرفت ونقضت الشريعة ، وهدمت الفرائض ، وزيَّفَت وضللت ، وهم « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون »(٣) . وهم الذين قال فيهم سبحانه « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »(٤) .

وهم الشعب اللجوج المجادل في صفاقة وغلاظة رقاب « وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون ، قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما

---

(١) المائدة ٥١ .
(٢) الممتحنة ١ ـ ٢ .
(٣) البقرة ٢٧ .
(٤) البقرة ٦١ .

كادوا يفعلون »[1] .

واليهود شعب مغضوب عليه غضبا على غضب لكفرهم مع علمهم بالحق لقوله سبحانه « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا فلعنة الله على الكافرين . بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين . وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم . قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين . ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين »[2] .

والكفر بالله قد جرهم إلى الكفر بكل أركان الإيمان ، ومنها الكفر باليوم الآخر ، وهذا اللون من الكفر يشدهم إلى الحياة ، وينفرهم من الموت الذي لا يؤمنون بعده ببعث أو حساب « قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين . ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمَّر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمَّر والله بصير بما يعملون »[3] .

ومع هذا الكفر فإن اليهود يأملون في دخول الجنة ، حتى إنهم يرون أن الجنة لن يدخلها إلا اليهود والنصارى « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »[4] .

---

(١) البقرة ٦٧ - ٧١ .
(٢) البقرة ٨٩ - ٩٣ .
(٣) البقرة ٩٤ - ٩٦ .
(٤) البقرة ١١١ .

وما جزاء من كفر؟ بل ما جزاء ذلك الشعب الذي كفر الكفر الذي يمحق والله سبحانه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، أولئك جزاؤهم « إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين »[١] .

ذلك جزاء اسرائيل التي يقف لها ربها بالمرصاد ، وهو سبحانه يمد لهم في طغيانهم « قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار »[٢] .

وجزاء أولئك قد حدده القرآن في الدنيا والآخرة « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا »[٣] .

ومع طغيانهم الممدود في الحياة الدنيا ، فإن حكم الله سبحانه فيهم وقضاءه ماض لأنه لاتغيير لحكمه ولا مرد لقضائه . فالله سبحانه وتعالى يغفر للبشر ويغفر ، ويمد لهم ، ويعطيهم النعم ، وإذا شكر الإنسان ربه زاد سبحانه هذه النعم ولكن إذا كفر فحكم الله تعالى « وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد »[٤] .

وهكذا كان حال اسرائيل ـ آثام وخطايا ثم مغفرة ، رجاسات ورذائل ثم مغفرة ، ثم كفر ثم شرك حتى قال الله سبحانه فيما نزل بهم من عقاب على أيدي الأمم الأخرى ، ثم كانت المغفرة بعد كل عقاب وسبي وعذاب ، حتى كان الحكم الأخير له سبحانه ، في أن الله سيعود عليهم بالعذاب إذا هم عادوا إلى الكفر ، وعادت إسرائيل ، والكفر شريعتها ، والشرك ديدنها ، وهدم الأديان دستورها فكان الله سبحانه القائل وعز من قائلٍ في تجديد العذاب ، وعذابها أبدي ، وهو أول عذاب بدئت به اسرائيل من الله ، وكان التيه والضياع ، وكان التبديد والتشريد بين

---

(١) آل عمران ٩١ .

(٢) البقرة ١٢٦ .

(٣) الإسراء ٧٢ .

(٤) إبراهيم ٧ .

الأمم يقول سبحانه « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدُنَّ في الأرض مرتين ولتعلُنَّ علوا كبيرا . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثرنفيرا . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا »[١] .

وإن عدتم عدنا ، عودة إلى الكفروالآثام وانغماس دائم فيها ، ثم عذاب الله أبدا « وهذه جهنم التي كنتم توعدون »[٢] .

---

(١) الإسراء ٤ ـ ٨ .

(٢) يس ٦٣ .

محمد ﷺ في الأناجيل

لن أبحث هنا في الأناجيل من حيث هي وحي الله تعالى إلى رسوله عيسى ابن مريم ، لأنها في مجموعها تحريف لانجيل عيسى الذي لا يكاد يبقى منه إلا ملامح تنبىء عن جوهر رسالته وأساس دعوته .

فعيسى في أصل خلقه من روح الله ، وصدوراً عن أصل خلقه كانت دعوته ومعجزاته ، خلق بالروحانية التي لم يكن لها حد يحدها ، فهي روحانية أرسلت إلى بني إسرائيل لتحد من غلواء ماديتهم ، ولتكبح انطلاقات شواتهم المدمرة .

والأناجيل التي بين أيدينا قد دخلها كثير من التحريف والزيادات ، وكلها زيادات تحمل آثار الأمم المختلفة من يونانية ورومانية ووثنية .

وكان لبولس الرسول اليد الطولى في هذه الزيادات التي أراد من خلالها نشر الدعوة بيسر بين هذه الأمم . وهذا لا يكون إلا بموافقتها لتلك الأمم وما تدين به . فقال بولس بالتثليث[1] ، وهذا هو ما ينقض الدعوة من أساسها . وقال بعدم ضرورة الختان الذي كان فرضاً من الخالق الى خلقه بدءاً بإبراهيم عليه السلام .

وقد أدى ذلك الى ان تطغى على روح الانجيل العيسوي تعاليم بولس، فانتقلت الدعوة بصورتها الجديدة من الشرق الى الغرب، وأوجدت بالتالي تعبير

(١) المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي : النصرانية والاسلام ٢٩٦ ـ دار الانصار ـ القاهرة .

عالمية المسيحية، وهذا لم يصدر عن عيسى صاحب الدعوة . فقد أرسل عيسى الى بني اسرائيل فحسب، وفي هذا يقول القرآن الكريم «ورسولاً الى بني إسرائيل »(١).

بل إنه ليس من حق أحد سوى اليهود باعتناق الديانة العيسوية او السير على نهجها ، وقد أرسلت إليهم لكسر حدتهم وتخفيف جشعهم وطمعهم وبغيهم .

ولو أضفنا إلى هذه الأناجيل انجيل برنابا الذي حرمت الكنيسة تداول لخطورته على العقيدة المسيحية البولسية لوجدنا الصورة المبشرة بمحمد ﷺ واضحة جلية كما أكدها القرآن الكريم بلسان عيسى (ص) .

وأبدأ بالأناجيل المتداولة التي تنتشر في أثنائها صورة رسول الله محمد ﷺ . وأول الأسماء التي أطلقت عليه هو « المعزي » حيث يقول عيسى « ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء »(٢) .

ويقترن اكتمال رسالات الأنبياء والرسل بانتهاء آجالهم ، فرسالة عيسى تكتمل في الثالثة والثلاثين من عمره ، ومع اكتمال دوره الذي هيأه الله له لا بد أن يذهب ، إذ لا بد أن يكمل دورة الرسالات نبي ورسول يأتي من بعده ، ولا تقتصر دعوته على فئة معينة ، أو شعب محدد ، وإنما هي دعوة عالمية ورسالة إلى البشرية كافة « وما أرسلناك إلا كافة للناس تبشيراً ونذيراً »(٣) .

يقول يسوع « وأما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني وليس أحد منكم يسألني أين تمضي . لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي . ولكن إن ذهبت أرسله

---

(١) آل عمران ٤٩ .

(٢) يوحنا ١٥ : ٢٦ ـ ٢٧ .

(٣) سبأ ٢٨ .

إليكم . ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة »[1] .

ورسول الله محمد المرتقب ﷺ سيتحدث بالوحي وهو روح الحق « وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية . ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم »[2] .

وحزن المؤمنين بانتقال عيسى إلى ربه يتحول إلى فرح باستقبال باستقبال الرسول الجديد المرتقب « الحق الحق أقول لكم إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح . أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح . المرأة وهي تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت . ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح لأنه قد ولد إنسان في العالم »[3] .

ويعلن كل رسول إكمال رسالته وانتهاء دوره فقد قالها عيسى ، وقالها من بعده محمد ﷺ . واكمال رسالة عيسى هو البداية « أنا مجدتك على الأرض . العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته »[4] .

« وبعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمل . فلكي يتم الكتاب قال أنا عطشان »[5] .

وهذه الخطوط المتناثرة للبشارة بمحمد ﷺ في الأناجيل ، قد فصلها إنجيل برنابا تفصيلاً يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم . وبرنابا هذا كان رفيقاً لبولس ولكنه انفصل عنه فوجد فيه بولس مرائياً . « حتى إن برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم »[6] .

---

(١) يوحنا ١٦ : ٥ ـ ٨ .

(٢) يوحنا ١٦ : ١٢ ـ ١٣ .

(٣) يوحنا ١٦ : ٢٠ ـ ٢١ .

(٤) يوحنّا ١٧ : ٤ .

(٥) يوحنا ١٩ : ٢٨ .

(٦) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢ : ١٣ .

كما أن برنابا يصف بولس بأنه من الذين ضلوا ، فكان ضلال بولس دافعاً لبرنابا على وضع انجيله . وقد ضل بولس فيما أدخله على روح الانجيل العيسوي « داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً مجوزين كل لحم نجس . الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى . وهو السبب الذي لأجله اسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله . فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً »(1) .

وفي هذه البشارة يقول يسوع « لأن كل الأنبياء البالغين مئـة وأربعين ألفـاً الذي أرسلهم الله إلى العالم قد تكلموا بالمعميات بظلام . ولكن سيأتي بعد بهاء كل الأنبياء والأطهار فيشرق نوراً على ظلمات سائر ما قال الأنبياء . لأنه رسول الله . ولما قال هذا تنهد يسوع وقال ارأف بإسرائيل أيها الرب الإله »(2) .

وبعد طول الترقب والانتظار ، سيأتي رسـول الله ﷺ الـذي هيأ له يسـوع طريقه « وقد جاء الأنبياء كلهم إلا رسول الله الذي سيأتي بعدي لأن الله يريد ذلك حتى أهيىء طريقه »(3) .

والكون كله مخلوق لأجل رسول الله ﷺ ، واسمه مكتوب في علم الله منذ الأزل ، والخليقة كلها عاشت الدهور والأحقاب تتهيأ لاستقبال الحبيب حامل لواء لا إله إلا الله « فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشـمس نصها لا إله إلا الله محمد رسول الله . ففتح حينئذ آدم فاه وقال أشكرك أيها الرب إلهي لأنك تفضلت فخلقتني . ولكن أضرع إليك أن تنبئني ما معنى هذه الكلمات محمد رسول الله .

---

(1) برنابا ص ٣ ترجمة عن الانجليزية الدكتور خليل سعاده ـ مطبعة محمد علي صبيح الأزهر .

(2) برنابا ١٧ : ٢١ ـ ٢٥ .

(3) برنابا ٣٦ : ٦ .

فأجاب الله مرحباً بك يا عبدي آدم . وإني أقول لك إنك أول إنسان خلقت . وهذا الذي رأيته إنما هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة . وسيكون رسولي الذي لأجله خلقت كل الأشياء . الذي متى جاء سيعطي نوراً للعالم الذي كانت نفسه موضوعة في بهاء سماوي ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئاً » .

فضرع آدم إلى الله قائلاً : يا رب هبني هذه الكتابة على أظفار أصابع يدي . فمنح الله الانسان الأول تلك الكتابة على إبهامه وعلى ظفر إبهام اليد اليمنى ما نصه لا إله إلا الله . فقبل الانسان الأول هذه الكلمات ومسح عينيه وقال : بورك ذلك اليوم الذي ستأتي فيه إلى العالم »[1] .

ويذكر الانجيل كيفية طرد آدم وحواء من الجنة بعد غواية الشيطان لهما . وهذه الغواية سترفع عن الجنس البشري برسول الله ﷺ الذي ستكون دعوته كبحا لجماح الشيطان بالإيمان والتسبيح وذكر الله « لأني أرسل ابنكما على كيفية يمكن بها لذريتكما ان ترفع سلطة الشيطان عن الجنس البشري لأني سأعطي رسولي الذي سيأتي كل شيء .

فاحتجب الله وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس . فلما التفت آدم رأى مكتوباً فوق الباب « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فبكى عند ذلك وقال : أيها الابن عسى الله أن يريد أن تأتي سريعاً وتخلصنا من هذا الشقاء »[2] .

وانتظر اليهود على طول تاريخهم ، ولا يزالون ينتظرون المخلص الذي ذكرته التوراة باسم « مسيّا » . واختبروا يسوع ليعلمهم إن كان هو مسيا المرتقب ، وأرسل كهنة اليهود « اللاويين وبعض الكتبة يسألونه قائلين من أنت ؟ فاعترف يسوع وقال : الحق أني لست مسيّا . . . أنا صوت صارخ في اليهودية كلها

---

(١) برنابا ٣٩ : ١٤ ـ ٢٨ .

(٢) برنابا ٤١ : ٢٧ ـ ٣٣ .

يصرخ : أعدوا طريق رسول الرب كما هو مكتوب في إشعيا . . قالوا إذا لم تكن المسيح ولا إيليا أو نبيا فلماذا تبشر بتعليم جديد وتجعل نفسك أعظم شأناً من مسيّا ؟

أجاب يسوع : إن الآيات التي يفعلها الله على يدي تظهر أني أتكلم بما يريد الله . ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه . لأني لست أهلاً أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذي تسمونه مسيّا الذي خلق قبلي وسيأتي بعدي وسيأتي بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية »[1] .

ويطلب تلاميذ يسوع منه ان يحدثهم عن مسيّا هذا الذي كرمه الله فخلق الأكوان لأجله . حينئذ قال اندراوس : لقد حدثتنا بأشياء كثيرة عن مسيّا فتكرم بالتصريح لنا بكل شيء .

فأجاب يسوع كل من يعمل فإنما يعمل لغاية يجد فيها غناء لذلك أقول لكم إن الله لما كان بالحقيقة كاملاً لم يكن له حاجة الى غناء . لأنه الغناء عنده نفسه . وهكذا لما أراد أن يعمل خلق قبل كل شيء نفس رسوله الذي لأجله قصد الى خلق الكل . لكي تجد الخلائق فرحاً وبركة بالله . ويسر رسوله بكل خلائقه التي قدر أن تكون عبيداً . ولماذا وهل كان هذا هكذا إلا لأن الله أراد ذلك .

الحق أقول لكم إن كل نبي متى جاء فإنه يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله . ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا إليه . ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه . وسيأتي بقوة على الظالمين ويبيد عبادة الاصنام بحيث يخزى الشيطان . لأنه هكذا أوعد الله إبراهيم قائلاً انظر فإني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض . وكما حطمت يا إبراهيم الاصنام تحطيماً هكذا سيفعل نسلك »[2] .

---

(١) برنابا ٤٢ : ٤ ـ ١٥ .

(٢) برنابا ٤٣ : ٥ ـ ١٩ .

ورسول الله ﷺ هو الشهيد على الشهداء الذين أرسلهم الله إلى أقوامهم كما جاء في القرآن الكريم « ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء . ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين »(٢) .

وفي هذا يقول المسيح « ولذلك أقول لكم إن رسول الله بهاء يسر كل ما صنع الله تقريباً . لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة وروح الحكمة والقوة ، روح الخوف والمحبة ، روح التبصر والاعتدال ، مزدان بروح المحبة والرحمة ! روح العدل والتقوى ، روح اللطف والصبر التي أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه . ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم . صدقوني إني رأيته وقدمت له الاحترام كما رآه كل نبي لأن الله يعطيهم روحه نبوة . ولما رأيته امتلأت عزاء قائلاً يا محمد ليكن الله معك وليجعلني أهلاً أن أحل سير حذائك لأني إذا نلت هذا صرت نبياً عظيماً وقدوس الله »(٢).

ويمضي الإنجيل في سرد علامات ذلك الموقف الرهيب حين يتحدث عن محمد ﷺ « فمتى مرت هذه العلامات تغشى العالم ظلمة أربعين سنة ليس فيها من حي إلا الله وحده الذي له الإكرام والمجد إلى الأبد . ومتى مرت الأربعون سنة يحيي الله رسوله الذي سيطلع أيضاً كالشمس بيد أنه متألق كألف شمس فيجلس ولا يتكلم لأنه سيكون كالمجنون . وسيقيم الله أيضاً الملائكة الأربعة المقربين لله الذين ينشدون رسول الله . فمتى وجدوه قاموا على الجوانب الأربعة للمحل حراساً له . ثم يحيي الله بعد ذلك سائر الملائكة الذين يأتون كالنحل ويحيطون برسول الله . ثم يحيي الله بعد ذلك سائر أنبيائه الذين سيأتون جميعهم تابعين لآدم . فيقبلون يد رسول الله واضعين أنفسهم في كنف حمايته . ثم يحيي بعد ذلك سائر الأصفياء الذين يصرخون اذكرنا يا محمد . فتتحرك الرحمة في رسول الله

---

(١) النحل ٨٩ .

(٢) برنابا ٤٤ : ١٩ - ٣١

لصراخهم ، وينظر فيما يجب فعله خائفاً لأجل خلاصهم »[1] .

ومحمد ﷺ هو وحده الحبيب إلى الله لأنه سيكفيه مؤونة الخوف من هول يوم الحساب كما يقول يسوع « وبعد هذا يقيم الله الشيطان الذي سيصير كل مخلوق عند النظر إليه كميت خوفاً من هيئة منظره المريع . ثم قال يسوع أرجو الله أن لا أرى هذه الهولة في ذلك اليوم . إن رسول الله وحده لا يتهيب هذه المناظر لأنه لا يخاف إلا الله وحده . . عندئذ يبوق الملاك مرة أخرى فيقوم الجميع لصوت بوقه قائلاً : تعالوا للدينونة أيتها الخلائق لأن خالقك يريد أن يدينك فينظر حينئذ تصرخ الملائكة « تبارك إلهنا أنت الذي خلقتنا وأنقذتنا من سقوط الشيطان . عند ذلك يخاف رسول الله لأنه يدرك أن لا أحد أحب الله كما يجب . لأن من يأخذ بالصرافة قطعة ذهب يجب أن يكون معه ستون فلساً . فإذا كان عنده فلس واحد فلا يقدر أن يصرفه . ولكن إذا خاف رسول الله فماذا يفعل المملوؤون شراً »[2] .

ورسول الله محمد ﷺ هو الشفيع لأمته يوم القيامة ، ويسهب إنجيل برنابا في وصف ذلك الموقف فيقول يسوع « ويذهب رسول الله ليجمع كل الأنبياء الذين يكلمهم راغباً إليهم أن يذهبوا معه ليضرعوا إلى الله لأجل المؤمنين فيعتذر كل أحد خوفاً . ولعمر الله إني أنا أيضاً لا أذهب إلى هناك لأني أعرف ما أعرف . وعندما يرى الله ذلك يذكر رسوله كيف أنه خلق كل الأشياء محبة له . فيذهب خوفه ويتقدم الى العرش بمحبة واحترام والملائكة ترنم تبارك اسمك القدوس يا الله إلهنا .

ومتى صار على مقربة من العرش يفتح الله لرسوله كخليل لخليله بعد طول الأمد على اللقاء ويبدأ رسول الله بالكلام اولاً فيقول : إني عبدك وأحبك يا إلهي . . لأنك أردت فخلقتني لأكون عبدك وخلقت كل شيء حبا فيّ لأحبك لأجل كل

---

(١) برنابا ٥٤ : ١ - ١١ .

(٢) برنابا الفصل ٥٤ .

شيء . وفي كل شيء وفوق كل شيء .

فليحمدك كل خلائقك يا إلهي حينئذ تقول كل مخلوقات الله : نشكرك يا رب وتبارك اسمك القدوس . الحق أقول لكم إن الشياطين والمنبوذين مع الشيطان يبكون حينئذ ، حتى إنه ليجري من الماء من عين الواحد منهم أكثر مما في الأردن . ومع هذا فلا يرون الله .

ويكلم الله رسوله قائلاً : مرحباً بك عبدي الأمين ، فاطلب ما تريد تنل كل شيء . فيجيب رسول الله يا رب اذكر انك لما خلقتني قلت انك أردت أن تخلق العالم والجنة والملائكة والناس حباً فيّ ليمجدوك بي أنا عبدك . لذلك أضرع إليك أيها الرب الإله الرحيم العادل أن تذكر وعدك لعبدك .

فيجيب الله كخليل يمازح خليله ويقول : أعندك شهود على هذا يا خليلي محمداً ؟ فيقول باحترام نعم يا رب . فيقول الله اذهب وادعهم يا جبريل فيأتي جبريل إلى رسول الله ويقول من هم شهودك أيها السيد فيجيب رسول الله هم آدم وإبراهيم وإسماعيل وموسى وداود ويسوع ابن مريم .

فينصرف الملاك وينادي الشهود المذكورين الذين يحضرون إلى هناك خائفين . فمتى حضروا يقول لهم الله . أتذكرون ما أثبته رسولي ؟ فيجيبون أي شيء يا رب فيقول الله إني خلقت كل شيء حباً فيه ليحمدني كل الخلائق به فيجيب كل منهم . عندنا ثلاثة شهود أفضل منا يا رب . فيجيب الله ومن هم هؤلاء الثلاثة ؟ فيقول موسى : الأول الكتاب الذي أعطيتنيه ، ويقول داود الثاني الكتاب الذي أعطيتنيه . ويقول الذي يكلمكم[1] يا رب إن العالم كله أغراه الشيطان . يقال إني كنت ابنك وشريكك ، ولكن الكتاب الذي أعطيتنيه قال حقاً إني أنا عبدك . ويعترف ذلك الكتاب بما أثبته رسولك . فيتكلم حينئذ رسول الله ويقول هكذا يقول الكتاب الذي أعطيتنيه يا رب . فعندما يقول رسول الله هذا يتكلم الله

---

(١) يسوع المسيح .

قائلا إن ما فعلت الآن إنما فعلته ليعلم كل أحد مبلغ حبي لك . وبعد أن يتكلم هكذا يعطي الله رسوله كتابا مكتوبا فيه كل أسماء مختاري الله . لذلك يسجد كل مخلوق لله قائلا لك وحدك اللهم المجد والإكرام لأنك وهبتنا لرسولك .

ويفتح الله الكتاب الذي في يد رسوله فيقرأ رسوله فيه وينادي كل الملائكة والأنبياء وكل المختارين ويكون مكتوباً على كل جهة علامة رسول ويكتب في الكتاب مجد الجنة .

فيمر حينئذ كل أحد إلى يمين الله الذي يكون بالقرب منه رسول الله . ويجلس الأنبياء بجانبه ، ويجلس القديسون بجانب الأنبياء ، والمباركون بجانب القديسيين . . »[1].

ومتى انتهى الحساب يقول الله لرسوله : انظر يا خليلي ما كان أعظم شرهم فإني أنا خالقهم ، سخرت كل المخلوقات لخدمتهم فامتهنوني في كل شيء . فالعدل كل العدل إذاً أن لا أرحمهم . فيجيب رسول الله حقاً أيها الرب إلهنا المجيد . إنه لا يقدر أحد من أخلائك وعبيدك ان يسألك رحمة بهم . وإني أنا عبدك أطلب قبل الجميع العدل فيهم »[2] .

ويسألُ التلاميذ يسوع كيف يمكن لرسول الله المملوء رحمة ألا يشفق على أولئك المنبوذين . « فأجاب يسوع : أما سمعتم ما يقول داود النبي كيف يضحك البار من هلاك الخطاة فيستهزىء بالخاطىء بهذه الكلمات قائلا : رأيت الانسان الذي اتكل على قوته وغناه ونسي الله . فالحق أقول لكم إن إبراهيم سيستهزىء بأبيه وآدم بالمنبوذين كلهم ، وإنما يكون هذا لأن المختارين سيقومون كاملين ومتحدين بالله حتى إنه لا يخالج عقولهم أدنى فكر ضد عدله . ولذلك سيطلب كل منهم إقامة العدل ولا سيما رسول الله . لعمر الله الذي أقف في حضرته مع أني الآن أبكي شفقة على الجنس البشري لأطلبن في ذلك اليوم عدلا بدون رحمة لهؤلاء الذين يحتقرون

(١) برنابا ٥٥ و ٥٦ : ١ - ٧ .

(٢) برنابا ٥٧ : ٢٠ - ٢٤ .

كلامي . ولا سيما أولئك الذين ينجسون إنجيلي »[1] .

ويقترب موعد انصراف يسوع عن العالم ليهيء الطريق لرسول الله ﷺ « فاقترب الذي يكتب هذا (برنابا) إلى يسوع بدموع قائلاً : يا معلم قل لي من هو الذي يسلمك ؟ .

أجاب يسوع قائلاً يا : برنابا ليست هذه الساعة هي التي تعرفه فيها . ولكن يعلن الشرير نفسه قريباً لأني سأنصرف عن العالم .

فبكى حينئذ الرسل قائلين : يا معلم لماذا تتركنا لأن الأحرى بنا أن نموت من أن تتركنا .

أجاب يسوع لا تضطرب قلوبكم ولا تخافوا لأني لست أنا الذي خلقكم بل الله الذي خلقكم يحميكم. أما من خصوصي فإني قد أتيت لأهيّء الطريق لرسول الله الذي يأتي بخلاص للعالم . ولكن احذروا أن تغشوا لأنه سيأتي أنبياء كذبة كثيرون يأخذون كلامي وينجسون إنجيلي .

حينئذ قال أندراوس : يا معلم اذكر لنا علامة لنعرفه .

أجاب يسوع : إنه لا يأتي في زمنكم بل يأتي بعدكم بعدة سنين حينما يبطل إنجيلي، ولا يكاد يوجد ثلاثون مؤمنا . في ذلك الوقت يرحم الله العالم فيرسل رسوله الذي تستقر على رأسه غمامة بيضاء يعرفه احد مختاري الله وهو سيظهره للعالم. وسيأتي بقوة عظيمة على الفجار ويبيد الأصنام من العالم . وإني أسر بذلك لأنه بواسطته سيعلن ويمجد الله ويظهر صدقي وسينتقم من الذين سيقولون إني أكبر من إنسان . . . وستُحَيِّي طربا أبراج مدينة آبائنا بعضها بعضا . فمتى شوهد سقوط عبادة الأصنام إلى الأرض واعترف بأني بشر كسائر البشر فالحق أقول لكم إن نبيّ الله حينئذ يأتي »[2].

---

(١) برنابا ٥٨ : ١٦ - ٢٢ .

(٢) برنابا ٧٢ : ٥ - ١٨ ، ٢٣ - ٢٤ .

والرسول المرتقب المخلص أو مسيا ، يعرفه شعب اسرائيل وستقام صلاة المسيا في كل مكان، لا في مكان صلاة محدد ، كما يرى اليهود في الهيكل، الذي أضحى وكرملذاتهم وشهواتهم « ويل لك يا بلاد اليهودية لأنك تفخرين قائلة هيكل الرب ، هيكل الرب ، وتعيشين كأن لا إله منغمسة في الملذات ومكاسب العالم . . . الحق أقول لك إن الله روح وحق ويجب ان يسجد له بالروح والحق . لأن عهد الله إنما أخذ في أورشليم في هيكل سليمان لا في موضع آخر . لكن صدقيني إنه يأتي وقت يعطي الله رحمته في مدينة اخرى . ويمكن السجود له في كل مكان بالحق ويقبل الله الصلاة الحقيقية في كل مكان رحمته»(١) .

لقد هيئت اورشليم الكنعانية العربية منذ الأول لتكون أولى القبلتين ، وتنتقل القبلة عنها إلى مكة المكرمة التي كان منها رسول الله ﷺ الذي بشرت به كتب السماء ـ وتكون مكة قبلة أمة الاسلام إلى الأبد ، « قالت المرأة لعلك أنت مسيا أيها السيد .

أجاب يسوع إني حقا أرسلت إلى بيت إسرائيل نبيّ خلاص . ولكن سيأتي بعدي مسيا المرسل من الله لكل العالم الذي لاجله خلق الله العالم . وحينئذ يسجد لله في كل العالم وتنال الرحمة»(٢) .

ويشرح يسوع لتلاميده معنى الإيمان الذي كان خاتماً ختم الله به محمداً ﷺ ، وبالإيمان تنتصر أمة التوحيد حين ترفع راية لا إله إلا الله . قال له تلاميذه « علمنا ما هو الإيمان حباً في الله . فنهضوا وإغتسلوا وصلوا لإلهنا المبارك إلى الأبد فلما انتهت الصلاة اقترب تلاميذ يسوع إليه ففتح فاه وقال اقترب يا يوحنا لأني اليوم سأجيبك عن كل ما سألت ، الإيمان خاتم يختم الله به مختاريه وهو خاتم أعطاه لرسوله الذي أخذ كل مختار الإيمان على يديه . فالإيمان واحد كما ان الله واحد . لذلك لما خلق الله قبل كل شيء رسوله وهبه قبل كل شيء الإيمان الذي هو بمثابة

---

(١) برنابا ٨٢ : ٢ ـ ٨ .

(٢) برنابا ٨٢ : ١٥ ـ ١٨ .

صورة الله وكل ما صنع الله وما قال الله »[1] .

ووقع اضطراب عظيم في اليهودية ثار له الشعب ، فمنهم من قال إن المسيح هو الله ، ومنهم من قال إنه ابن الله ، والآخرون قالوا إن نبي . فقال رئيس الكهنة ليسوع « قف يا يسوع لأنه يجب علينا أن نعرف من أنت تسكينا لأمتنا .

أجاب يسوع : أنا يسوع ابن مريم من نسل داود. بشر مائت ويخاف الله وأطلب ان لا يعطي الاكرام والمجد إلا الله :

أجاب الكاهن : إنه مكتوب في كتاب موسى إن إلهنا سيرسل لنا مسيّا الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله وسيأتي للعالم برحمة الله . لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق هل انت مسيا الله الذي ننتظره ؟

أجاب يسوع : حقا إن الله وعد هكذا ولكني لست هو لأنه خلق قبلي وسيأتي بعدي .

أجاب الكاهن : إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبي وقدوس الله . لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها وإسرائيل أن تفيدنا حبا في الله بأن كيف سيأتي مسيا ؟

أجاب يسوع : لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي إني لست مسيا الذي تنتظره كل قبائل الأرض كما وعد الله أبانا إبراهيم قائلاً : بنسلك أبارك كل قبائل الأرض. ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن تحمل عادم التقوى على الاعتقاد بأني الله وابن الله . فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمنا . حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله . الذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر . وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين لا يؤمنون به وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً»[1] .

---

(١) برنابا ٩٦ : ١ - ١٤ .

والمتأمل في هذه المحاورة بين يسوع والكاهن يدرك صحة هذا الانجيل المحرم كنسياً ، وأنه لم يكتب في الاسلام في عهد متأخر منه كما يدّعي المدعون فلو كان ذلك لذكر برنابا شيئا من صفات الرسول ﷺ ومعجزاته منذ ولد إلى أن بعث ، وبعد البعثة ، بخاصة أن هذه المعجزات تعطي اسرائيل تأكيدا حسياً يطلبونه دائما مع رسل الله وأنبيائه . ونجد أن برنابا لا يذكر من أمور دعوة محمد ﷺ إلا تحطيم الأصنام ومحاربة عابديها ، وهذه في المقام الأول أساس العقيدة .

وجهل برنابا بصفات الرسول ﷺ يشعرنا بأنه بعيد عن تصور تلك الصفات التي لا يكاد يجهلها مسلم عالم بدينه .

ويمضي يسوع فيقول « ومع أني لست مستحقاً أن أحلَّ سير حذائه قد نلت نعمة ورحمة من الله لأراه . . إن كلامكم لا يُعزِّيني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور . لكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب فيّ . وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره . لأنه هكذا وعد الله أبانا ابراهيم ، وأن ما يعزيني هو أن لا نهاية لدينه لأن الله سيحفظه صحيحاً .

أجاب الكاهن : أيأتي رسل آخرون بعد مجيء رسول الله ؟

فأجاب يسوع : لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله . ولكن يأتي عدد غفير من الأنبياء الكذبة وهو ما يحزنني . لأن الشيطان سيثيرهم بحكم الله العادل فيتسترون بدعوى إنجيلي .

فقال حينئذ الكاهن : ماذا يسمىّ مسيا وما هي العلامة التي تعلن مجيئه ؟

أجاب يسوع : إن اسم مسيا عجيب لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي قال الله : اصبر يا محمد لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجما غفيراً من الخلائق التي أهبها لك حتى ان من يباركك يكون

---

(١) برنابا ٩٦ : ١ - ١٥ .

مباركاً، ومن يلعنك يكون ملعوناً. ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص، وتكون كلمتك صادقة حتى إن السماء والأرض تهنان ولكن إيمانك لا يهن أبداً. إن اسمه المبارك محمد.

حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يالله أرسل لنا رسولك. يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم»(١).

وانجيل برنابا هو الانجيل الوحيد الذي ينفي صلب المسيح. ومحمدﷺ في كتابه سينفي عملية الصلب «فاعلم يا برنابا أنه لأجل هذا يجب علي التحفظ وسيبيعني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة من نقود. وعليه فإني على يقين من ان من يبيعني يقتل باسمي لأن الله سيصعدني من الأرض. وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياي. ومع ذلك فإنه لما يموت شر ميتة أمكث في ذلك العار زمنا طويلاً في العالم. ولكن متى جاء رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة. وسيفعل الله هذا لأني اعترفت بحقيقة مسيّا الذي سيعطيني هذا الجزاء. أي ان اعرف أني حيّ وأني بريء من وصمة تلك الميتة»(٢).

وستصيب رحمة الله أهل جهنم إكراماً لرسول الله محمدﷺ من خلال وصف الجحيم الذي يذهب إليه الأبرار للمشاهدة لا للمكابدة. «أفيدكم أنه حتى رسول الله يذهب إلى هناك ليشاهد عدل الله. فترتعد ثمة الجحيم لحضوره. وبما أنه ذو جسد بشري يرفع العقاب عن كل ذي جسد بشري من المقضيّ عليهم بالعقاب. فيمكث بلا مكابدة عقاب مدة إقامة رسول الله لمشاهدة الجحيم. ولكنه لا يقيم هناك طرفة عين. وإنما يفعل الله هذا ليعرف كل مخلوق أنه نال نفعا من رسول الله. ومتى ذهب إلى هناك ولولت الشياطين وحاولت الاختباء تحت الجمر المتقد قائلاً لبعضهم البعض: اهربوا اهربوا فإن عدونا محمداً قد أتى. فمتى سمع الشيطان ذلك يضع وجهه بكلتا كفيه ويقول صارخاً «ذلك بالرغم عني لأشرف مني وهذا إنما فعل ظلماً»(٣).

---

(١) برنابا ٩٧ : ١ - ١٨ .

(٢) برنابا ١١٢ : ١٣ - ١٨ .

(٣) برنابا ١٣٧ : ٦ .

ويكون من مبلغ جدوى دين رسول الله أن كل من آمن به يذهب الى الجنة بعد العقوبة . . . حتى ولو لم يعمل عملاً صالحاً لأنه . مات على دينه»[1].

وبرسول الله ﷺ يظلل الله المؤمنين برحمته « حينئذ قال يسوع ٤ أيها الاخوة إن سبق الاصطفاء لسر عظيم حتى إني أقول لكم الحق إنه لا يعلمه جليا إلا إنسان واحد فقط وهو الذي تتطلع إليه الأمم الذي تتجلى أسرار الله تجلياً . فطوبى للذين سيصيخون السمع إلى كلامه متى جاء إلى العالم لأن الله سيظللهم كما تظللنا هذه النخلة . بلى إنه كما تقينا هذه الشجرة حرارة الشمس المتلظية هكذا تقي رحمة الله المؤمنين بذلك الاسم من الشيطان .

أجاب التلاميذ : يا معلم من عسى ان يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه الذي سيأتي إلى العالم ؟

أجاب يسوع بابتهاج قلب : إنه محمد رسول الله ومتى جاء إلى العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة الغزيرة التي يأتي بها . . »[1] .

وتثبت شخصية المسيا وتتأكد في شخص محمد ﷺ . حيث يقول برنابا « لقد رأيت كتيباً قديماً مكتوبا بيد موسى ويشوع . . وهو كتاب موسى الحقيقي . ففيه مكتوب أن اسماعيل هو أب لمسيا ، واسحق أب لرسول[2] مسيا . وهكذا يقول الكتاب إن موسى قال أيها الرب إله اسرائيل القدير الرحيم أظهر لعبدك في سناء مجدك . فأراه الله من ثم رسوله على ذراعي اسماعيل واسماعيل على ذراعي ابراهيم . ووقف على مقربة من اسماعيل اسحق وكان على ذراعيه طفل يشير باصبعه إلى رسول الله قائلاً : هذا هو الذي لأجله خلق الله كل شيء .

فصرخ من ثم موسى بفرح : يا اسماعيل إن في ذراعيك العالم كله والجنة .

---

(١) برنابا ١٣٧ : ٦ .

(١) برنابا ١٦٣ : ٣ - ٩ .

(٢) أي يسوع الذي بشر بمحمد ﷺ .

اذكرني أنا عبد الله لأجد نعمة في نظر الله بسبب ابنك الذي لأجله صنع الله كل شيء »[٣] .

وكما كان التبشير العيسوي بمسيّا أول دعوة يسوع وخلاصتها كذلك كان آخر ما تحدث به إلى اسرائيل وأعلنه « فاقترب منه رئيس الكهنة قائلاً : قل لي يا يسوع أنسيت كل ما كنت قد اعترفت به من أنك لست الله ولا ابن الله ولا مسيا ؟

أجاب يسوع : لا . البتة ، لم أنس ، لأن هذا هو الاعتراف الذي أشهد به أمام كرسي دينونة الله في يوم الدينونة . لأن كل ما كتب في كتاب موسى صحيح كل الصحة ، فإن الله خالقنا أحد وأنا عبد الله وأرغب في خدمة رسول الله الذي تسمونه مسيّا»[١] .

ورغم أن توراة موسى بشرت بمسيا وذكرت صفاته إلا أن اليهود أنكروا ذلك وضيعوه مع ما ضيعوا ، وهم يسألون يسوع عن مسيا وماهيته « حينئذ قال رئيس الكهنة نحب أن نعرف شيئاً عن مسيا . حينئذ اجتمع الكهنة والكتبة والفريسيون نطاقا حول يسوع .

أجاب يسوع ما هو الشيء الذي تريدون ان تعرفوه عن مسيّا ؟ لعله الكذب . حقا إني لا أقول لك الكذب . لأني لو كنت قلت الكذب لعبدتني انت والكتبة والفريسيون مع كل اسرائيل . ولكن تبغضونني وتطلبون أن تقتلوني لأني أقول لكم الحق»[٢] .

واليهود يعرفون من توراتهم من سيكون مسيا ، ومن هو مسيا ـ ولكنهم بما

---

(٣) برنابا ١٩١ : ٣ ـ ١٠ .
(١) برنابا ٢٠٦ : ١ ـ ٥ .
(٢) برنابا ٢٠٦ : ١١ ـ ١٦ .

عرفوا من لجاجة وعناد يريدون أن يموهوا ويزيفوا بلسان يسوع . حتى يجعلوا مسيا من نسل اسحق ، وهذا رئيس الكهنة يسأل يسوع « فقل لنا من كان ابن ابراهيم هذا ؟

أجاب يسوع : إن غيرة شرفك يا الله تؤججني ولا أقدر أن أسكت. الحق أقول إن ابن ابراهيم هو اسماعيل الذي يجب أن يأتي من سلالته مسيّا الموعود به ابراهيم أن به تتبارك كل قبائل الأرض .

فلما سمع هذا رئيس الكهنة حنق وصرخ . لنرجم هذا الفاجر لأنه اسماعيلي وقد جدف على موسى وعلى شريعة الله »(٣) .

وزيف اليهود توراتهم وحرفوها حيث ضيعوا توراة موسى ، وقد ساروا في تاريخهم الطويل على نهج توراتهم التي وضعتها أيديهم الملطخة بدماء البشر بدءاً بالأنبياء .

أمر واحد لم يستطيعوا تزييفه ، ذلك هو شخص المسيا المرتقب ، ولم يستطيعوا أن ينقلوه من نسل اسماعيل إلى نسل اسحق وداود .

فمسيا هو محمد ، رسول الله ﷺ وخاتم الرسل والأنبياء ، ورسالته خاتمة الرسالات ، ويبقى الدين الأبدي دينه الاسلام « أيها الرب الجواد والغني في الرحمة امنح خادمك أن يكون بين أمة رسولك يوم الدين . وليس أنا فقط بل كل من قد أعطيتني مع سائر الذين سيؤمنون بي بواسطة بشيرهم . . أيها الرب الإله الذي بعنايتك تقدم كل الضروريات لشعبك إسرائيل . اذكر قبائل الأرض كلها التي قد وعدت أن تباركها برسولك الذي لأجله خلقت العالم ، ارحم العالم وعجل بإرسال رسولك لكي يسلب الشيطان عدوك مملكته »(١) .

---

(٣) برنابا ٢٠٨ : ٥ ـ ٨ .
(١) برنابا ٢١٢ : ١٤ ـ ١٧ .

ورسول الله محمدﷺ سيكشف كفر من كفر بتأليه عيسى الذي يقول في انجيل برنابا « فلما كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أني كنت بريئا في العالم أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أنني أنا الذي مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة . وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله »[٢] .

ويبقى إنجيل برنابا في مجموعه قائما على البشارة برسول الله محمدﷺ . ومن خلال هذه البشارة عالج القضايا التي هي موضع الخلاف الجوهري مع دين التوحيد .

وهذه القضايا انحرفت بجوهر الرسالة العيسوية القائمة على التوحيد المطلق المنزه عن مسارها الذي أراده لها الله .

ومن خلال إنجيل برنابا نجد أن الكاتب ضليع بالتوراة التي بشرت بمحمد ﷺ .

ولم تكن حرب اليهود الشرسة الضارية لدعوة محمد ص إلا انطلاقاً من هذه البشارة التي شاءوها لنسل داود ، فكانت لمحمد بن اسماعيل الذبيح الذي مضى فيه ختم النبوة .

وكان محمدﷺ خاتم النبيين والرسل . وهذا ما بشر به عيسى ومن سبقه من الرسل والأنبياء .

وكان عيسى آخر الأنبياء من نسل داود الذي هو من فرع اسحق ، ولم يتزوج عيسىﷺ ، وفي هذا نهاية فرع اسحق ، وكان عيسى معاصراً زكريا الذي لم ينجب ذرية ، وقد تقدمت به وبزوجه السن . ويشاء الله سبحانه أن يمنّ عليهما بمولود ذكر يقول فيه سبحانه « كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء

---

(٢) برنابا ٢٢٠ : ١٩ ـ ٢٠ .

خفيا . قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا . ولم أكن بدعائك رب شقيا . وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا . قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا . قال كذلك قال ربك هو عليّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا »[1] .

ويحيى بن زكريا هو المعروف بيوحنا المعمدان حسب ما ورد في الأناجيل ، وقد جاء ليبشر بعيسى عليه السلام . وكان يحيى حصورا أي ممنوعاً من النساء لا يرجى له نسل وقتل دون أن يتزوج . وقد ذكرت التوراة والأناجيل ذلك حيث قتله هيرودوس بناء على طلب سالومة ابنة أخيه من هيروديا ، وقد طلبت رأسه على طبق من ذهب وتم لها ذلك .

وهؤلاء الأنبياء الثلاثة قد تعاصروا على بني اسرائيل ، وماتوا أو قتلوا دون ذرية منهم ترث النبوة من آل يعقوب أي من بني اسرائيل .

لقد طلب زكريا من ربه أن يهب له غلاما زكيا يرثه ويرث من آل يعقوب ، وقد لبى الله له واستجاب دعاءه حين أقر عينه بيحيى رغم كبر سنه هو وزوجه ، ولكن الله لم يشأ ليحيى أن يرث من آل يعقوب ، فقد جعله الله سبحانه حصورا لتقف عنده النبوة من فرع اسحق ، ولتنتهي النبوة بعيسى بن . . داود . . بن اسحق .

ويجف غصن لجفاف قلوب أهله من الإيمان ، ويثمر فرع آخر وأخير . هو فرع اسماعيل بن إبراهيم .

فالأمة التي أثمرت قد ذكرها سفرحزقيال حيث عبر عن الشريعة الجديدة بالشجرة الخضراء بعد يبس ، وبإيباس الشجرة الخضراء « هكذا قال السيد الرب

(١) مريم ١ - ٨ .

وآخذ أنا من فرع الأرز العالي وأغرسه وأقطف من رأس خراعيبه غصنا وأغرسه على جبل عال وشامخ في جبل إسرائيل العالي ، أغرسه أغرسه فينبت أغصانا ويحمل ثمراً ويكون أرزا واسعا تحته كل طائر كل ذي جناح يسكن في ظل أغصانه . فتعلم جميع أشجار الحقل أني أنا الرب وضعت الشجرة الرفيعة ، ورفعت الشجرة الوضيعة ويبست الشجرة الخضراء وأفرخت الشجرة اليابسة . أنا الرب تكلمت وفعلت »[1] .

والشجرة الوضيعة التي رفعها الرب هي شجرة اسماعيل بن إبراهيم أخي اسحق . ويفسر هذا أنها شجرة كانت خالية من النبوة فأفرخها لتنتج النبوة المنتظرة الشاملة التي يستظل بظلها الناس كافة ويسكنون إليها .

وقد أكدت الأناجيل هذا الوعد بانتقال النبوة من فرع اسحق الى فرع اسماعيل ، يقول المسيح في جموع اليهود في الهيكل « اسمعوا مثلا آخر كان إنسان رب بيت غرس كرماً وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجاً وسلمه إلى كرامين وسافر . ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره . فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا .

ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك . فأخيرا أرسل إليهم ابنه قائلا : يهابون ابني . وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه . فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه . فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين . قالوا له أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها . قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب . الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا . لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا

---

(١) حزقيال . ظ ؛ ططـ ٢٤ .

الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه »[1] .

فالكرم هو شريعة السماء والكرامون الأولون هم بنو إسرائيل الذين قتلوا وجلدوا ورجموا عبيد الكرم أي الأنبياء ، وأما الكرامون الآخرون فهم الذين جاءوا من جهة الحجر الذي رفضه البناؤون أي أبناء اسماعيل ، وقد أصبحوا حجر الزاوية في الأهمية . وأما الثمار فهي العبادات .

وصدورا عن هذا نقرأ خطاب الرب ابراهيم « أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم . فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك ابراهيم لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم »[2] .

وابراهيم هو الاسم الذي دعاه القرآن الكريم به فقال سبحانه وتعالى « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلماً وما كان من المشركين »[3] .

فهذه الأمة التي رفعها الله لترفع راية التوحيد هي أمة محمد ﷺ ، فالأمة المسيحية بإنجيلها مكملة لشريعة موسى حيث يقول يسوع « ما جئت لأنقض الناموس بل لأكمل »[4] والمسيحيون هم من آمن من اليهود أنفسهم ، وقد انحرف أولئك في المسيحية كما انحرف سواهم في الشريعة الموسوية وعنها .

وأمة محمد ﷺ هي الأمة القائمة الباقية بأمر الله سبحانه ، ولا يضرها من خالفها حتى تقوم الساعة « ولله العزة ولرسوله والمؤمنين »[5] . والوعد الأبدي الذي لا شرط له الا الإيمان لهذه الأمة الموحدة المؤمنة المسلمة قوله سبحانه « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين »[6] .

---

(١) متى ٢١ : ٣٣ ـ ٤٤ .
(٢) تكوين ١٧ : ٤ ـ ٥ .
(٣) ال عمران ٦٧ .
(٤) متى ٥ : ١٧ .
(٥) المنافقون ٨ .
(٦) آل عمران ١٣٩ .

وشريعة محمدﷺ هي الدعوة إلى جميع شعوب الأرض ، وإلى الناس كافة نورا ورحمة وهداية ، فهي الدستور الأبدي المساير كل عصر وكل مكان ، والمتفق [1]مع ما يتفتق عنه العقل البشري من معارف وعلوم « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »[2] .

وقبل ختم هذا الفصل عن « محمد في الأناجيل » لا بد من التركيز على نقاط تحدد مسيرة البشرية مع رسالات السماء حتى انتهت بدعوة العقل أو دعوة الإسلام .

وقد أوفى العقاد في حديثه عن الاسلام والحضارة الانسانية الحديث عن نقطة الديانات السابقة لدعوة محمدﷺ ، وكل نبوة كانت تنتظر ما بعدها ، دون أن تكون واحدة من تلك الديانات هي الختام في عصرها ، لأنها كانت تبدأ وتنتهي قبل أن توجد في أذهان الناس فكرة الانسانية العامة وفكرة الانسان المسؤول المحاسب من خلال عقله وضميره .

ويقول العقاد ، إن الأمم قبل البعثة المحمدية كانت تفهم أن النبوة استطلاع للغيب وكشف للأسرار والمخبآت ، يستعينون بها على رد الضائع وإعادة المسروق أو الدلالة عليه . ويستخبرونها عن طوالع الخير والشر ومقادير السعود والنحوس .

وكان من تلك الأمم من يحسب أن النبوة وساطة بين المعبود وعباده للتشفع وتسليم القرابين .

وكانوا يطلبون وساطة الأنبياء دفعا للنوازل التي يستحقونها أو تنزل بهم لأنها قضاء مبرم يتوقعه الصالحون العارفون ويسألون المعبود في رفعه قبل نزوله .

فجاءت نبوة الإسلام بجديد لم تسبق له سابقة في الدعوات الدينية ، ولا

---

(١) موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ١٤٥ ، سنة ١٩٧٧ ـ دار المعارف .
(٢) فصلت ٥٣ .

حاجة بعده إلى جديد ولا استطاعة فيه للتجديد ، لأنه يخاطب في الانسان صفته الباقية وخاصته الملازمة . وهي خاصة النفس الناطقة بين الأحياء ، وخاصة الضمير المسؤول الذي يحمل تبعته ولا تغنيه عنها شفاعة ولا كفارة من سواه .

إنها نبوة فهم وهداية وليست نبوة استطلاع وتنجيم ، إنها نبوة هداية بالتأمل والنظر ، وليست نبوة خوارق وأهوال تروع البصر والبصيرة وتروع الضمائر بالخوف والرهبة حيث يعييها قبول الإقناع .

إنها نبوة مبشرة منذرة لا تملك لهم نفعا ولا ضرا ولا تعمل لهم عملا غير ما يعملونه لأنفسهم بمشيئتهم إذا اهتدوا بهداية العقل المتدبر والضمير السليم « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضراً إلا ما شاء الله . ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء . إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون »[1] .

وهي نبوة لا تحتمل الإغراء ولا المساومة على قربان أو جزاء بين الأخذ والعطاء « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن اتبع إلا ما يوحى إليّ قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون »[1] .

وقد جاءت سمعة المعجزة ميسرة لصاحب هذه النبوة يوم مات ابنه ابراهيم وكسفت الشمس فظن الناس أنها كسفت لموته وأبَى النبي الصادق أن يسكت عليها فتكلم ليعلمهم (أن الشمس والقمر آيتان . . . لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته) .

فإذا جاء النبي بهذه الرسالة التي تكل الانسان إلى « خاصة إنسانية » لا تفارقه وتعطيه البينة من شهوده فيما يراه حوله ولا يغيب عن حسه وفكره . فأين تنتهي هذه الرسالة ؟ وماذا تعمل الرسالة التي تأتي بعدها لتنسخها أو تخلفها ؟ إنها لا تعمل إلا أن تنسخ العقل أو تعود به كرة أخرى إلى القرون الأولى . وليست هذه ولا تلك بدعوة يحتاج إليها إنسان من الراشدين بعد أن وكل إلى هداه . فمن لم يكن من

---

(١) الأعراف ١٨٨ .

الأنعام ٥٠ .

الراشدين فحاجته إلى المعلم الذي يدله على ما فاته من هداية النبوة ألزم من حاجته إلى نبي جديد معيد لما تقدمه ، كأنه يسقط واجب التعليم .

ولقد تقدمت نبوة الإسلام دعوات كثيرة من أكبر الدعوات شأنا في تاريخ العقيدة ، ولا يستطيع مؤرخ ـ كائنا ما كان معتقده ـ أن يختتم دور النبوة في تاريخ الانسانية بدعوة من تلك الدعوات على جلالة شأنها وبعد أثرها في العصور اللاحقة بعصرها ، لأنها جميعا قد بدأت وانتهت قبل أن توجد في أذهان الناس فكرة الانسانية العامة وفكرة الانسان المسؤول المحاسب على أمانة العقل والضمير .

فنبوات بني اسرائيل لم تزل مقصورة على سلالة بشرية واحدة تنعزل بحاضرها ووعود مستقبلها عن سائر الأمم ، وعيسى عليه السلام قد نقل الرسالة نقلة واسعة حين أدخل أبناء إبراهيم بالروح في عداد أبنائه بالجسد ، ولكنه أدى رسالته وبقي الإنسان بعده محتاجاً أشد الحاجة إلى رسالة تخلصه من الاعتماد على غيره في النجاة من أوزاره والتكفير عن سيئاته والنهوض بتبعات صلاحه وتربية روحه . ولن تفرغ أمانة النبوة في تاريخ الإنسانية قبل أن توجد للانسانية فكرة عامة في نفوس أبنائها . ولن تختتم النبوات قبل أن يوجد الانسان الذي يخاطب بخطاب العقل ويحاسب بحسابه ، ويحمل تبعاته على عاتقه ويشترك على سواء بينه وبين إخوته من البشر في عبادة إلى واحد هو رب العالمين أجمعين . وليس بالرب الذي يخلق نعمته لسلالة واحدة من خلقه أو لعشيرة واحدة يدركها الخلاص بفضل لم تفضله ، وحساب لم تضعه في موازينها بعمل يمينها .

فلما جاءت نبوة الإسلام صح في حكم العقل أن تختتم بها النبوة لأنها حاضرة في كل وقت يحضره الانسان العاقل المسؤول وتحضره آيات الله لقوم يعقلون .

فختام النبوة بعد الدعوة المحمدية قد صح في حكم العقل ، وهي بالتالي قد صح في حكم الواقع والتاريخ ، فإن العالم الإنساني الذي تعاقبت فيه النبوات قبل

محمدﷺ لم تظهر فيه نبوة مسموعة بعده ، ولم يظهر فيه غير أدعياء النبوة الذين ذهبوا ولم يستمع إليهم أحد في حياتهم أو بعد مماتهم . ولم يظهر من أولئك الأدعياء أنفسهم من يستند إلى رسالته لا يحيلها إلى النبوة الاسلامية بقواعدها وأركانها .

إن اختتام محمدﷺ للنبوات عقيدة يصدقها المسلم بوحي إيمانه ، وهي كذلك حقيقة علمية يفهمها بفكره ويشهد دلائلها في العصور الغابرة كما يشهدها في عصره مؤتمرا بأوامر دينه[1] .

وكل أعجوبة من أعاجيب العلم فهي جزء من معجزات هذا الدين الذي جاء به خاتم النبيين « وأبصر فسوف يبصرون »[2] .

(١) عباس محمود العقاد : الاسلام والحضارة الانسانية ١٣٢ ـ ١٣٥ المكتبة العصرية بيروت ـ صيدا .
(٢) الصافات ١٧٩ .

عيسى (ص) في القرآن الكريم

أرسل عيسى (ص) إلى بني إسرائيل نبياً ورسولاً يدعوهم في المقام الأول إلى الأساس الذي بنيت عليه شرائع السماء ، ذلك هو التوحيد المطلق المنزه لله خالق السموات والأرض .

وكانت شريعته استكمالاً للشريعة الموسوية وامتداداً لها، ولم تستطع أن تحول بني إسرائيل عن وثنيتهم القديمة التي لا تؤمن إلا بالمعبود المحسوس الذي يختارونه بقسوة قلوبهم وغلاظة رقابهم .

وجاءت دعوة عيسى تكمل ، وتنسخ ما لا يستقيم مع الدعوة الجديدة الموحدة ، فكانت دعوة إلى الزهد والتسامح والعدل والسلام ، ولكن دعوته لم تؤت ثمرها المرجو بين بني إسرائيل ، حتى ليكاد بعض الدارسين يقرون أن عيسى لم ينجح في دعوته[1] مع من أرسل إليهم ، ولم ينتهجوا النهج الذي أرادته لهم شريعة عيسى ، بما عرف فيهم من عناد وجحود وشرك وتعنت .

ولن نفصل فيما انتهت إليه دعوة عيسى على يد اليهود وفي مقدمتهم بولس اليهودي الفريسي الذي ادعى المسيحية ليهدم هذه الديانة من الداخل ، فأدخل إليها من وثنيات الأمم ما انحرف بالدعوة عن جوهرها الموحد إلى التثليث .

وادعى شاول ان السيد المسيح بعد نهايته على الأرض ظهر له وصاح فيه وهو

(١) اشارل جنيبير : المسيحية ٤٣ .

في طريقه إلى دمشق فقال له يسوع : لماذا تضطهدني فخاف شاءول وصرخ : من أنت يا سيد ؟ قال : أنا يسوع الذي تضطهده . قال شاءول : ماذا تريد أن أفعل ؟ قال يسوع : قم وكرِّز بالمسيحية . وبعد هذا الموقف فجأة يقف شاءول ليعلن ما غير وجه التاريخ والدعوة « وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله »[1] .

وجاء القرآن الكريم ليعطي عيسى (ص) صورته الحقيقية التي شوهها المشركون والمثلثون وأعطى القرآن الكريم عيسى الإجلال والتقديس الذي جحده من أرسل إليهم .

تبدأ حياة المسيح في القرآن الكريم من خلال اصطفاء الله آل عمران عائلة أمه التي تنبىء بأنها ستكون الطرف الوحيد المعجز في الحياة المرتقبة لبني إسرائيل آنذاك ، حيث يولد بمشيئة الله طفل بدون رجل . يقول سبحانه « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين »[2] .

ومن آل عمران امرأة عمران أو أم مريم التي نذرت ما في بطنها محرراً لله ، ولكن الله سبحانه شاء أن يكون ما في بطنها أنثى وليس ذكراً « إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب »[3] .

وما كان ذلك النذر من امرأة عمران إلا تمهيداً وتهيئة من الله سبحانه

---

(١) أعمال الرسل ٩ : ٣٠ .

(٢) آل عمران ٣٣ .

(٣) آل عمران ٣٥ ـ ٣٧ .

لاستقبال الأنثى مريم بدلاً من الذكر . وتفي امرأة عمران بالنذر فتهب مريم للمعبد حتى تكون بعيدة عن كل بشر ، وحتى لا تكون هناك أدنى فطنة تلحقها حين تحدث المعجزة في ولادتها بدون رجل .

ويمنع كل بشر من الدخول إلى مريم سوى زكريا الذي كفلها بأمر الله وتدبيره « ذلك من أبناء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون »[1] .

ويهيّىء الله سبحانه وتعالى مريم في معبدها وخلوتها ، وهي تهيئة تعطيها السلام والأمان والاطمئنان حين يصطفيها الله من دون البشر ثم يطهرها كما يجب أن تطهر الأنثى من معرفة أي رجل يشينها ، ثم يصطفيها الله من دون النساء . اصطفاءان عظيمان بينهما عملية تطهير تربأ بها عن أدنى شبهة وأقل مظنة « وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين »[2] .

وهذا الاصطفاء والتطهير والاصطفاء يتطلب المبالغة في القنوت والسجود والركوع ، صلاة دائمة دائبة ترتقي معها النفس والجوارح الى الذروة في الشفافية والروحانية المطلقة ، التي تهيّىء للروح الذي سيكون من الروح « يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين »[3] .

وبعد هذه العبادة والإغراق في الروحانية يأتي وحي الله سبحانه إلى مريم في صورة البشارة التي تحمل في طياتها ألوان الأمل والفرح والأمان والاطمئنان ، إنها البشارة بمولود شاء الله أن يكون معجزة في خلقه ، ويرسم الله سبحانه لمريم المعجزات التي ستكون لذلك المولود تقوية لقلبها « إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون

(١) آل عمران ٤٤ .
(٢) آل عمران ٤٢ .
(٣) آل عمران ٤٣ .

لي ولد ولم يمسسني بشر . قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى امراً فإنما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل . ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين . ومصدقاً لما بين يديّ من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ، وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم »[1] .

لقد كانت البشارة لمريم ترسم حدود المعجزة التي تصدر عن الروح وهي طبيعة خلق عيسى ، وتثبت مصداقية المعجزة عملياً في حمل مريم ، حين جاء إليها وحي الله وهي مختلية تتعبد « واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً . فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً . قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا . قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو عليّ هيّن ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا . فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا . فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا . وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا . فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر احداً فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا »[2].

وتتكامل المعجزة في الأم وابنها من خلال الصورة الواضحة التي لا تقبل الشك حول ما وصف القرآن الكريم به مريم « ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين »[3] .

---

(١) آل عمران ٤٥ ـ ٥١ . (٢) مريم ١٦ ـ ٢٦ . (٣) التحريم ٢ .

وأسباب المعجزة واضحة من خلال القرآن الكريم حتى تتكامل في صورتها التي جعلها الله للعالمين آية « والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين »[١] .

ومع هذا الاصطفاء الإلهي والتطهير المدبر له ، ومع كل آيات الاعجاز أمام قوم مريم فقد اتهموها بالزنا يقول سبحانه « فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريا . يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا »[٢] .

ويوحي الله سبحانه إلى مريم ألا ترد على اتهامات المتهمين ، لأنه سيُنطق لهم عيسى الرضيع وما ينطقه هو تحديد رسالته المستقبلية ، وجوهرها الذي هو جوهر رسالات السماء « فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا وقال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا . وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا . والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا »[٣] .

وطبيعة هذه الخليقة لعيسى ستكون موضع جدل وخلاف لأنها تخالف منطق الخلق ، والمعجزة الإلهية هي أن تكون متجاوزة هذا المنطق ومخالفة هذه السنة التي فطر عليها الخلق « ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون »[٤] .

ومع هذا الاعجاز في خلق عيسى عليه السلام يذكر القرآن الكريم كفر من كفر بعيسى ، حين يحملهم هذا الخلق على نسبة عيسى إلى خالقه كما ينسب الابن الى أبيه « ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون . وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم »[٥] .

---

(١) انلأبياء ٩١ .
(٢) مريم ٢٧ ـ ٢٨ .
(٣) مريم ٢٩ ـ ٣٣ .
(٤) مريم ٣٤ .
(٥)

وكثرت الاختلافات حول عيسى ، فخلطوا بين بشريته وبين ألوهية الخالق سبحانه . وقد رد القرآن الكريم عليهم ذلك وأوضح أن خلق عيسى بدون أب ليس أقوى في إعجازه من خلق آدم من تراب « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين »(١) .

وقد كتب في علم الله سبحانه وتعالى كفر من كفر منذ الأزل بتأليههم عيسى ، ويشاء سبحانه أن يبطل كفرهم بلسان عيسى نفسه في عدة مواقف .

أحد هذه المواقف يخاطب فيها الله سبحانه وتعالى عيسى حين يعدد أمام من ألّهوه معجزاته التي كانت بأمر الله وبإذنه ومشيئته ، ولا تكون هذه المعجزات من عمل عيسى نفسه دون إذن ربه ، حتى يتأكد للكافرين أن لا قدرة لعيسى على مثل ذلك لولا الله سبحانه « إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا . وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل . وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا الا سحر مبين . وإذ أوحيت إلى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون »(٢) .

ومع هذا التأكيد الإلهي لحدوث معجزات عيسى بإذنه سبحانه فإن الكافرين قد تمادوا في كفرهم ، والله تعالى يعلم أنهم سيتمادون في الضلال والكفر ، ولكنه سبحانه يشاء أن يقر عيسى بنفسه بعبوديته له ، حتى يكون في إقراره شهادة تدين من كفر « وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمّي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما

---

(١) آل عمران ٥٩ .

(٢) المائدة ١١٠ ـ ١١٥ .

أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم . فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم »[1] .

وبعد هذه التأكيدات من عيسى على عبوديته لله تعالى ، وإقراره بذلك أمام من كفر يأتي الحكم الإلهي الذي كان في علمه المسبق سبحانه فيعلن صراحة « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً . ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير . وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير »[2] .

والمسيح يؤكد ويعلن أمام الكافرين عبوديته ، كما يبين لهم جزاء من يشرك « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار »[3] .

وحكم الله سبحانه فيهم صريح والعقاب اكيد « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّنَّ الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمّه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون »[4] .

---

(١) المائدة ١١٦ ـ ١١٨ .
(٢) المائدة ١٨ ـ ١٩ .
(٣) المائدة ٧٢ .
(٤) المائدة ٧٣ ـ ٧٥ .

وما طلبه كفار شريعة موسى من موسى طلبه حواريو عيسى من عيسى ليطمئنوا على صدق نبوته ويتأكدوا منها ، وكأن قد راود أولئك بعض الشك في هذه النبوة ، فطلبوا من عيسى الدليل الماديّ كما عرفنا في بني إسرائيل « إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين »(١) .

وتتأكد عبودية عيسى في كل موقف ، فهو ليس الله ولا ابن الله ، وهو بشر سيمضي كما سيمضي سواه ، وهو يبشر بمحمد ﷺ الذي سيأتي بعده ، ولكنه رسول الله جاء ليؤدي مهمة ويبلغ رسالة تهيّىء لما بعدها « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين »(٢) .

ويصدر عن الله سبحانه النهي عن المغالاة في الدين ، وإنكار الحق الذي يعرفونه تماماً « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق . إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه . فآمنوا بالله ورسله . ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله . وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من

---

(١) المائدة ١١١ ـ ١١٥ .

(٢) الصف ٦ .

دون الله ولياً ولا نصيراً »[1] .

وعناد الكافرين وتماديهم في الضلال قد دفع أنبياءهم إلى أن يلعنوهم ، « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »[2] .

والوحدانية تستقيم مع العقل والمنطق ، وإن لم تكن كذلك في مقياس الكافرين الضالين . والكون والحياة تأبى أن يكون لها إلهان « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون »[3] .

ومع هذا فبنو إسرائيل الذين أرسل إليهم عيسى لم يؤمنوا به كما لم يؤمنوا بنبي قبله . وكادوا لعيسى وحاربوه وطاردوه ووشوا به ودسوا عليه لدى اعدائه ، وحاولوا قتله وصلبه ، بل لقد قالوا إنهم قتلوه وصلبوه ولكن « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً . وإن من اهل الكتاب إلا ليؤمننَّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً »[4] .

والقتل لم يتم ولا الصلبُ ، ولكنها الوفاة الطبيعية « إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة . ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون . فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين »[5] .

ولن أبحث في تأويل الآيات الدالة على نهاية عيسى عليه السلام ، ولن أتعسف في تفسيرها واستشراف باطنها ، حيث إن الظاهر ينبىء بالنهاية ، وعيسى

---

(١) النساء ١٧١ - ١٧٣ .
(٢) المائدة ٧٨ .
(٣) مريم ٣٠ .
(٤) النساء ١٥٧ - ١٥٩ .
(٥) آل عمران ٥٥ - ٥٦ .

مثل سواه من البشر يمر في اطوار الميلاد ثم الحياة ثم الموت ومن ثم البعث ، سنة الله لا تتخلف ولا تتبدل .

وقد رد الله سبحانه عليهم فإن قالوا قتلناه قال سبحانه « وما قتلوه » وإن قالوا وصلبناه قيل لهم « وما صلبوه » ولكن شبِّه لهم واختلط عليهم وتوهموا وتخيلوا ، والتوهم والتخيل يتنافى مع العقل « ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ، وهذا يعني بوضوح وصراحة أنهم « وما قتلوه يقينا » . فماذا إذن ؟ « بل رفعه الله إليه » والرفع واضح في القرآن الكريم ، فهو رفع المكانة والمنزلة كما قال تعالى في إدريس ، « ورفعناه مكاناً عليا »[1] .

ويؤكد القرآن الكريم موت عيسى موتاً طبيعياً بقوله سبحانه « وإن من اهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً »[2] . والموت يعني الوفاة الطبيعية البعيدة عن القتل والصلب .

ويبقى بعد عيسى إيمان المؤمنين به رسولاً إلى بني إسرائيل وداعياً إلى عبادة الله الواحد الأحد خالق السموات والأرض ، والفئة المؤمنة التي آمنت به هي نواة المؤمنين بالدعوة الجديدة التي بشر بها عيسى (ص) وبرسولها محمدﷺ رسول البشرية الذي ستمضي دعوته الشاملة عبر الزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وأما الذين كفروا فسيعذبهم الله عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة ، فعذاب اليهود في الدنيا هو الذلة والمسكنة والتفرق والتشتيت في كل الأرض تشتيتاً لا وصل له وتفرقاً لا يُرجى جمعه . وعذاب النصارى في الدنيا هو الاختلاف فيما بينهم وتفرقهم أحزاباً وفرقاً وشيعا ،فضلاً عن الحرب التي لا يهدأ أوراها بينهم وفيها تراق الدماء وتفنى الذراري وتخرب الدور والبلاد[3] .

---

(١) مريم ٥٧ .

(٢) النساء ١٥٩ .

(٣) النصرانية والإسلام ٢١٥ .

وأما عذاب الآخرة فهو عذاب من كفر ، إنها جهنم خالدين فيها « وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »[1] ، و « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً »[2] .

« ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون »[3] .

---

(١) آل عمران ١١٦ .

(٢) النساء ١٤٨ .

(٣) مريم ٣٤ .

الذبيح في القرآن الكريم

اختلفت الآراء حول الذبيح الذي ذكره القرآن الكريم ، فهل هو اسماعيل أو اسحق ؟

وهذه الاختلافات لا تخرج عن كونها تأويلات المؤولين الذين لم يعتمدوا فيما اعتمدوه نص القرآن الكريم وروحه ، وهم إن اعتمدوا على شيء فإنما هي الأحاديث الموضوعة ، التي تنسب في هذا المجال إلى كعب الأحبار ، فإنه لما أسلم في عهد عمر جعل يحدثه عن كتبه ، فربما استمع له عمر رضه فترخّصَ الناس في استماع ما عنده ، ونقلوه بغثه وسمينه[1] .

والمعروف عن كعب الأحبار انه مصدر معظم الاسرائيليات التي زجت في ثنايا التفسيرات المختلفة للقرآن العظيم .

والقرآن الكريم لم يذكر اسم الذبيح ، ولكن القرائن كلها تؤكد أن اسماعيل هو الذبيح دون تأويل ودون تعسف ، ودونما اجتهادات قد تخرج صاحبها عن جادة الحق والعقل والمنطق .

ونوضح صورة الذبيح من خلال القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . بقرائن تكشف عن الحكمة الإلهية في اختيار اسماعيل لعملية

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير القريشي الدمشقي ٤ : ١٧ .

الفداء الخالدة التي تكتمل بإتمامها أركان الإيمان عند المؤمنين الموحدين الذين جعل الله دينهم هو الحق، ودين السماء «إن الدين عند الله الاسلام»[1].

إبراهيم هنا هو نقطة البداية في مرحلة حياته الثانية، إذ بعد أن نصره الله على قومه، ويئس من إيمانهم مع ما رأوا من الآيات العظيمة هاجر من بين أظهرهم «وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين. رب هب لي من الصالحين ـ فبشرناه بغلام حليم. فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر أذبحك فانظر ماذا ترى. قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين. فلما أسلما وتلّه للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين. إنه من عبادنا المؤمنين. وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين. وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين»[2].

وذهاب إبراهيم إلى ربه هو هجرة نفسية قبل أن تكون هجرة مكانية، يترك فيها أهله وعشيرته وكل ماله صله بماضيه إلى حيث التسليم المطلق والخلوص والطمأنينة واليقين.

وحتى يعوض ما ترك ويملأ وحدته يسأل ربه «رب هب لي من الصالحين»، وتكون الاستجابة الفورية من الله سبحانه «فبشرناه بغلام حليم». والغلام هو اسماعيل البكر الذي رزقه من زوجه هاجر. وقد كان عمر ابراهيم تسعا وتسعين سنة[3].

ويأمر الله سبحانه ابراهيم ان يذهب بزوجه هاجر وابنه اسماعيل وهو رضيع إلى مكة. فمضى بها إلى هناك فوضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندها

---

(١) آل عمران ١٩.

(٢) الصافات ٩٩ ـ ١١٣.

(٣) القرطبي ٤ : ٤ . ٣٦.

جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قضى ابراهيم منطلقاً ، فتبعته أم اسماعيل فقالت يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء . قالت ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها فقالت له آلله أمرك بهذا ؟ قال نعم . قالت إذاً لا يضيعنا . ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى إذا كان عند الثنيّة حيث لا يرون استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه الدعوات ورفع يديه فقال «ربنا إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وازرقهم من الثمرات لعلهم يشكرون»[١] .

ويتردد ابراهيم على مكة لزيارة زوجه هاجر وابنه ، ويكبر اسماعيل حتى يبلغ السعي في مرافقة ابيه الذي قرت عينه بابنه ، ومع عظيم فرحة ابراهيم بوحيده يأتي أمر الله سبحانه له في رؤيا رآها ، ورؤيا الأنبياء وحي « قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى»[٢] .

ويستسلم ابراهيم لربه ويخضع خضوع المؤمن الواثق ، ويستسلم اسماعيل لأبيه ويخضع خضوع الطائع البار « وقال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين»[٣] .

الاثنان أسلما وهذا هو الاسلام الحق ، ثقة وطاعة وتسليم وطمأنينة ورضى وتنفيذ . ويمسك ابراهيم ابنه ليذبحه بيديه « فلما أسلما وتلّه للجبين . وناديناه أن يا إبراهيم . قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه في الآخرين . سلام على إبراهيم . كذلك نجزي المحسنين . إنه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين . وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين»[٥] .

---

(١) ابراهيم ٣٧ .
(٢) الصافات ١٠٢ .
(٣) الصافات ١٠٢ .
(٤) الصافات ١٠٣ .
(٥) الصافات ١٠٣ - ١١٣ .

وينجح ابراهيم وابنه في امتحان الطاعة والتسليم والإيمان، طاعة ابراهيم لله سبحانه ، وطاعة الابن لابيه الموحي إليه من الله . ويهيأ الأثنان لبذر النواة الأولى لديانه التوحيد ، ليكونا هما البداية ، وليكون من ذريتها من يختتم ديانتهما الموحدة .

ويعلن الامتحان عن فوز الاثنين المؤمنين ، ويبشر الأول بالجائزة ينالها من الله سبحانه ، إنها البشارة باسحق نبياً صالحاً ويمنح الابن لقب شرف أبدي يليق بالديانة الخالدة التي ستكون من نسله ، وصدق الوعد من أعظم ما يمتاز به الرجال العظماء « واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً»[١] . وقد منح هذا الشرف على عظيم صبره على ما ابتلاه الله سبحانه وهو غلام حليم حين قال لأبيه «ستجدني إن شاء الله من الصابرين» .

فموطن الذبح مكة . عن الأصمعي قال : سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال : يا أصمعي أين عزب منك عقلك ومتى كان إسحق بمكة ،؟ وإنما كان اسماعيل بمكة ، وهو الذي بني البيت مع أبيه والمنحر بمكة ، وأما اسحق فقد كان في ارض كنعان[٢] .

ونفسر هذا كله من خلال العقل الذي نؤمن بالله سبحانه وتعالى من خلاله ، فنقول : لقد كان في أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام بأخذ زوجه هاجر وابنه اسماعيل الرضيع إلى مكة حكمة إلهية هي أولى إشارات التهيئة السماوية لتمكين دينه الموحد على الأرض .

ولم يكن في مكة يومئذ أحد . وفي هذا إشارة إلهية ثانية تهيّيء مكة من خلالها لتكون موطن الدين الحق ومنطلقه ، من البلد البكر التي لم تدنس بصنم أو كفر، ولكن بدايتها كانت بنزول اسماعيل اليها قبل سواه من البشر، وفي هذا إيذان إلى بداية التوحيد المطلق ، في ابراهيم إلى اسماعيل إلى . . .

---

(١) مريم ٥٤ .

(٢) القرطبي ٧ : ٥٥٤٤.

محمد ﷺ . الفرع الابراهيمي المؤمن الذي باركه الله ووعده الكثرة والنصرة .

وقد تجسد هذا الايمان المطلق في أمر الله سبحانه إبراهيم واسماعيل في بناء البيت حين نجح في كل ابتلاء ابتلاه الله به « وإذ ابتلى إبراهيم ربُه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين . وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مُصَلىً وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود . . . وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم . ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين»[1]

وابتلاء الله ابراهيم بذبح ابنه وحيده اسماعيل إنما هو جزء مكمل لهذه المناسك التي أراها الله ابراهيم ، إنها مناسك الحج ، والتضحية فيها جزء منها « وفديناه بذبح عظيم » .

والإشارة الثالثة تكمن في دعاء ابراهيم لهذا البلد بالمحبة والأمان والخير والشوق واللهفة المتجددة تجدد الزمان بما يؤكد معه خلود دين الله وبقائه واستمراره من خلال لهفة المسلمين أجمعين على تأدية فريضة الحج في مكة . وهي قبلة صلاتهم وأنظارهم في كل مكان « إوإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر»[2].

فالأمان معقود بالإيمان الذي لا يتزعزع «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا

---

(١) البقرة ١٢٤ ـ ١٢٥ ، ١٢٧ ـ ١٣١ .

(٢) البقرة ١٢٦ .

البلد آمنا واجنبني وبنيّ ان نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني، ومن عصاني فإنك غفور رحيم. ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »[1].

من تبع إبراهيم فهو منه ، واسماعيل من تبع أباه بالتسليم والطاعة هو ونسله ختاما بمحمد ﷺ خاتم الرسل والأنبياء . والمؤمنون المسلمون هم من تبعوا ابراهيم، وهم من شملهم دعاء ابراهيم « أفئدة من الناس» ولو قال أفئدة الناس لازدحمت على البلد الأمين فارس والروم والترك والهند واليهود والنصارى والمجوس[2].

ونعود إلى الاشارات التي يُوحي بها نجاح ابراهيم في الابتلاء فقد كان ثواب الله أبدياً ، فقد أثابه بالسلام وإنه « سلام على إبراهيم» . ولا أعتقد أنه غير ما نقرؤه في صلاتنا حيث نردد قبل التسليم « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد» .

إنها صلاة باقية بقاء دين الله الخالد الأبدي .

ومع هذا الثواب الإلهي الخالد لابراهيم كانت البشرى باسحق نبيا من الصالحين. وكان ذلك بعد ولادة اسماعيل بثلاثة عشر عاماً وكان ابراهيم قد بلغ كما يقول ابن عباس مائة واثنتي عشرة سنة[3]. «ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاماً فما لبث أن جاء بعجل حنيذ. فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة

(١) ابراهيم ٣٥ - ٣٧ .

(٢) القرطبي ٤ : ٣٦٠٢ .

(٣) القرطبي ٤ : ٣٦٠٤ .

فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب . قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله . رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت إنه حميد مجيد . . فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى تجادلنا في قوم لوط . إن إبراهيم لحليم أواه منيب »[١] .

لقد بشرت ساره إذاً باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ، مما يعطي اسماعيل التأكيد بالذبح ، إذ كيف يمكن ان يكون اسحق هو الذبيح وقد أكدّ القرآن أنه سيعيش حتى يخلف يعقوب ؟

واليهود أنفسهم يعلمون حق العلم من خلال توراتهم أن الذبيح هو اسماعيل ، ولكنهم يجحدون ذلك حسداً وحقداً ، حتى ينفوا عن ابن هاجر الجارية اي نعمة وأي فضل بسبب صبره فقد أرسل عمر بن عبد العزيز إلى رجل يهودي كان عنده بالشام فأسلم هذا وحسن إسلامه ، وكان يرى أنه من علمائهم فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك فقال له عمر : أي ابني إبراهيم أمر بذبحه ؟ فقال : اسماعيل . والله يا أمير المؤمنين إن يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به . فهم يجحدون ذلك ، ويزعمون أنه إسحق لأن إسحق أبوهم[٢] .

وتوراتهم تذكر بصريح العبارة أن الذي أمر بذبحه هو ابن ابراهيم وحيده ، فإن ذكر هذا يصرف الذهن دون ريب إلى اسماعيل ابنه وحيده حيث قد ولد اخوه اسحق بعده بثلاثة عشر عاماً . ولكن هذا كله مؤشر يشير إلى اسماعيل الذي قضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون هو وأبوه مؤسسي دين التوحيد في بناء الكعبة وفي رفع قواعدها ، ثم في تأسيس مناسك الحج الذي تجعل من الفداء جزءاً لا يتجزأ من إتمام هذه الفريضة التي جعلها الله سبحانه وتعالى آية من آيات الوحدة

---

(١) هود ٦٩ - ٧٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤ : ١٨ .

الاسلامية ، في اعظم مؤتمراتهم على الإطلاق، ولقاء الأمة الاسلامية في هذا المؤتمر الذي يسعون إليه من أنحاء المعمورة بلهفة الايمان الى بيت الله الذي يعيد إلى أذهانهم إيمان إبراهيم واسماعيل وطاعتهما المطلقة لله وصبرهما على ابتلائهما الذي كان نواة التضحية في عيد التضحية ، ثم إيمان ابنهما بالايمان والهداية محمد ﷺ الذي أوحى إليه ما أنزله الله في توراة موسى ، فحرّفه بنو اسرائيل وضيعوه حتى يطمسوا كل حقيقة تعلي شأن محمد وأباه اسماعيل، حين انتقلت إلى فرعه النبوة التي ما رعاها بنو اسرائيل ولا حفظوها، فهدموها كما هدموا بناء التوراة وأحالوها إلى هيكل بلا مضمون، وجسد بلا روح، ولكن القرآن حفظ ووعى وهو كتاب الله الذي قال فيه سبحانه « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»[1].

وفي الكتاب العزيز وصية إبراهيم إلى نبيه، وهي الوصية التي تحملهم أمانة الاسلام والهداية والايمان، وبهذا وحده يعلو الفرع الإبراهيمي المؤمن الذي امتحن في حياته بالذبح ليكون في هذا إعلاناً وإشارة إلى ان من يصبر على ابتلاء ربه له بالذبح لهو الأجدر بصبره وصدق وعده على الحفاظ على دين الله الذي لا يقدر عليه إلا الصابرون المؤمنون يقول ابراهيم وهو يرفع قواعد البيت مع ابنه اسماعيل « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم . ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين. ووصّى بها إبراهيم نبيه ويعقوب يا بَنِيَّ إنّ الله اصطفى لكم الدين فلا تَموتن إلا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون»[2]

---

(١) الحجر ٩ .

(٢) البقرة ١٢٨ ـ ١٣٣ .

فدين ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف هو الإسلام، وأما نسلهم فقد هدموا وضيعوا وحرفوا وكفروا ، فلم يعد يربطهم بآبائهم المسلمين من الأنبياء غير رابطة القرابة العنصرية التي لاحساب لها في حكم الأديان ، فرابطة الأديان هي الإيمان والهداية ، فكان أن جف فرع النبوة من إسحق كما تذكر توراتهم، وكانت من ثم الانتقالة الإلهية بدين السماء إلى الفرع الآخر الاسماعيلي الذي اخضر واورق وأينع فحمل الأمانة التي كان عنوان الإخلاص لها هو بذل الروح والحياة، وشعار رفع راية لا إله إلا الله هو الجهاد في سبيلها حتى ينال صاحبها إحدى الحسنين النصر أو الشهادة . . والرابطة بين اسماعيل وربه من خلال إبراهيم هو الايمان والصبر على الذبح، كما أن الرابطة بين المسلمين المؤمنين وأمانة ربهم الإسلام هي الاستشهاد وبذل الروح، والموقفان يتمثلان في والتضحية بالحياة طاعة وخضوعاً وامتثالاً وتسليما لله ولدين الله«والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون»[1].

ويصبح النحر في الحج رمز الطاعة والتطهير ورفض الماديات الزائفة، وترك كل ما من شأنه ان ينسي المؤمن ذكر الله ، ولا يعود المسلم عندها يذكر إلا الله سبحانه الواحد الأحد، وينسى عندها المال والولد ، حتى ليصبح كل شيء صغيراً أمام حب الله ، تماماً ، كما وقف إبراهيم أمام ربه ممتثلاً طاعة وخضوعاً لذبح ابنه وحيده حباً في الله وصبراً على حكم الله ، وفاز إبراهيم وانتصر اسماعيل، تمهيداً لانتصار دين الله الاسلام بمحمد ﷺ « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم»[2]. هذا هو الاسلام الفرع الأخضر أبدا إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) البقرة ١٧٧ .

(٢) البقرة ١٦٣ .

الذبيح في التوراة

للتوراة رأي تنفرد به في ذبيح ابراهيم ، وقد جعلت بزيفها اسحق هو الذبيح حقدا وحسداً على العرب الذين خصوا بذبح أبيهم اسماعيل ، وهذا يعني عندهم ابن هاجر الجارية التي يجعلونها دون سارة الحرة منزلة من خلال مقياس عنصريتهم وعنادهم وجحودهم . وغرض وضاع التوراة في المقام الأول والأخير هو تزييف الوعد الذي وعده إبراهيم بتملك المؤمنين من نسله الأرض التي هيئت منذ الأزل لتكون أرض التوحيد والرسالات والأنبياء والرسل .

وكان التحريف التوراتي لقضية الذبح الذي كان تمهيدا لانتقال فرع النبوة إلى اسماعيل الذبيح من أخيه اسحق . وألفوا ما وسعهم التأليف واختلقوا من الذرائع الواهية ما شاء لهم ذلك . وبقي أمر واحد يؤكد نفسه رغم الاختلاق والتزوير ، ذلك أن الذبيح هو اسماعيل ، وأن الوعد الذي يتمسحون به إنما هو وعد لنسل اسماعيل المؤمن المسلم الموحد ، والتوراة ذاتها تشهد .

أبدأ هنا بالنقطة ذاتها التي بدأت بها في القرآن الكريم ، تلك هي نقطة الهجرة التي هاجرها ابراهيم بعد أن يئس من إيمان أبيه وأهله وعشيرته .

« وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك . فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك . وتكون بركة . وأبارك مباركيك ولا عنك ألعنه . وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض . فذهب أبرام كما قال

له الرب وذهب معه لوط . وكان ابـرام ابـن خمس وسـبعين سنـة لما خرج من حاران . فأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطا ابن أخيه . . وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان . فأتوا إلى أرض كنعان .

واجتـاز أبـرام في الأرض إلـى مكان شكيم[1] إلـى بلوطـة مورة . وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض . وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض فبنى هناك مذبحا للرب الذي ظهر له . . ثم ارتحل أبـرام ارتحـالا متـواليا نحـو الجنوب .

وحدث جوع في الأرض فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديدا . وحدث لما قرب أن يدخل إلى مصر أن قال لساراي امرأته . إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلوني ويستبقونك . قولي إنك أختى ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك .

فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا . ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون . فأخذت المرأة إلـى بيت فرعـون . فصنع إلى أبرام خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال . فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام . فدعا فرعون أبرام وقال ما هذا الذي صنعت بي . لماذا لم تخبرني أنها امرأتك . لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي . والآن هوذا امرأتـك ـ خذهـا واذهـب . فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامرأته وكل ما كان له »[2] .

وضاع التوراة يحملون إبراهيم على الكذب على فرعون ، كما أنه يتاجـر بجمال ساراي فيعطيه فرعون المال الكثير إكراما لجمال ساراي . وهـذا بلا شك جزء من سياسة اسرائيل التي تجعل من النساء طعاماً لاصطياد من تريد لتحقيق مآربها وأطماعها .

---

(١) نابلس . (٢) تكوين الاصحاح ١٢ .

ولا يطول المقام بإبرام في مصر فصعد منها « هو وامرأته وكل ما كان له ولوط معه إلى الجنوب . وكان أبرام غنيا جدا في المواشي والفضة والذهب . وسار في رحلاته إلى الجنوب إلى بيت إيل إلى المكان الذي كانت خيمته فيه في البداءة بين بيت إيل وعاي .

ولوط السائر مع أبرام كان له أيضا غنم وبقر وخيام ولم تحتملهما الأرض . إذ كانت أملاكهما كثيرة . فلم يقدرا أن يسكنا معا . فرفع لوط عينيه ورأى كل دائرة الأردن أن جميعها سقي قبلما أخرب الرب سدوم وعمورة كجنة الرب كأرض مصر حينما تجيء إلى صوغر . فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن وارتحل لوط شرقاً . . . أبرام سكن في أرض كنعان ولوط سكن في مدن الدائرة ونقل خيامه إلى سدوم . وكان أهل سدوم أشرارا وخطاة لدى الرب جدا »[1] .

« . . . بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا قائلا لا تخف يا أبرام أنا ترس لك . أجرك كثير جدا . فقال أبرام أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماضٍ عقيما ومالك بيتي هو اليعازر الدمشقي . وقال أبرام أيضا إنك لم تعطني نسلا وهوذا ابن بيتي وارث لي . فإذا كلام الرب إليه قائلا : لا يرثك هذا ، بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك . فآمن بالرب فحسبه له براً . . »[2] .

لقد بشر أبرام إذا بابن يرثه ، والإرث المرتقب ليس إرثا مادياً دنيوياً حسب ما سيكون من شأن أبرام أو إبراهيم ، فهو المؤسس الأول لدين التوحيد الذي سيكون نسله المؤمن هو الوارث .

«وأما ساراي امرأة أبرام فلم تلد له . وكانت له جارية مصرية اسمها هاجر . فقالت ساراي لأبرام هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة أدخل على جاريتي لعلي أرزق منها بنين . فسمع أبرام لقول ساراي . فأخبرت ساراي امرأة أبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة أبرام في أرض كنعان وأعطتها لأبرام

(١) تكوين ١٣ : ١ - ٧ ، ١٠ - ١٢ .

(٢) تكوين ١٥ : ١ - ٤ .

رجلها زوجة له . فدخل على هاجر فحبلت . ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها . فقالت ساراي لأبرام ظلمي عليك . أنا دفعت جاريتي إلى حضنك فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينيها . يقضي الرب بيني وبينك . فقال أبرام لساراي هوذا جاريتك في يدك . افعلي بها ما يحسن في عينيك فأذلتها ساراي فهربت من وجهها .

فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية . . فقال لها ملاك الرب ارجعي إلى مولاتك . . تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك .

فولدت هاجر لأبرام ابنا . ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر اسماعيل . وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل لأبرام »[1] .

ويضيّع وضاع التوراة أهم رحلة لإبراهيم ، تلك هي رحلته إلى مكة التي كان لها شأن عظيم شاء الله أن يؤسس بإبراهيم هناك أساس الدين الموحد ومناسكه . وأن يبني ابراهيم واسماعيل بيت الله برفع قواعده قبلة أبدية يتوجه إليها الموحدون في صلاتهم .

وهذه الرحلة الى مكة لم يضيعها التوراتيون عبثا ، إذ إنهم يعلمون حق العلم أنها بداية توريث النبوة للفرع الابراهيمي المؤمن الذي كان في نسل اسماعيل عليه السلام ، مع ما يترتب على هذا التوريث من وعد بالأرض التي هي لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين .

وتقفز التوراة مرة واحدة إلى البشرى بإسحق فتقول « ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الله القدير . سر أمامي وكن كاملاً . فأجعل عهدي بيني وبينك . . فلا يدعى بعد اسمك أبرام بل يكون اسمك إبراهيم .

وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي . أنت ونسلك من بعدك في

(١) تكوين ١٦ : ١ - ١٠ ، ١٥ - ١٦ .

أجيالهم . هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك . يختن منكم كل ذكر . فتختنون في لحم غرلتكم . فيكون علامة عهد بيني وبينكم . ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم . وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك . يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك فيكون عهدي في لحمكم عهدا أبدياً . وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها . إنه نكث عهدي .

وقال الله لإبراهيم ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا . أباركها فتكون أمماً وملوك شعوب منها يكونون . فسقط إبراهيم على وجهه وضحك . وقال في قلبه هل يولد لابن مئة سنة ، وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة .

وقال إبراهيم لله ليت اسماعيل يعيش أمامك فقال بل سارة امرأتك تلد لك ابنا **وتدعو اسمه اسحق وأقيم عهدي معه عهدا أبديا لنسله من بعده** . وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة . ولكن عهدي أقيمه مع اسحق الذي تلده لك ساره . في هذا الوقت في السنة الآتية . فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم »[1] .

أقف عند نقطة البشارة باسحق ، وتكاد تتفق مع ما جاء في القرآن الكريم ، وهي النقطة ذاتها التي تؤكد كون اسماعيل هو الذبيح . فالتوراة تقول « وتدعو اسمه اسحق وأقيم عهدي معه عهدا أبديا لنسله من بعده » . فكيف يكون اسحق هو الذبيح بينما البشارة في أساسها أن إسحق سيخلف نسلا يقيم الرب عهده معه . فالذبح في الطفولة يعني أنه لن تكون لصاحبها حياة أو نسل أو عهد . . !

وأعود إلى ابراهيم لينفذ عملية الختان التي أمره بها الرب ، فكان هو واسماعيل أول من اختتنا في التاريخ .

---

(١) تكوين ١٧ : ١ - ٢٢ .

« فأخذ إبراهيم اسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته كل ذكر من أهل بيت إبراهيم وختن لحم غرلتهم في ذلك اليوم عينه كما كلمه الله . وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته . وكان اسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حيث ختن في لحم غرلته . في ذلك اليوم عينه ختن ابراهيم واسماعيل ابنه وكل رجال بيته ولدان البيت والمبتاعين بالفضة من ابن الغريب ختنوا معه » .[1]

وتذكر التوراة الملائكة الذين جاءوا في هيئة رجال إلى إبراهيم ليبشروه باسحق . ويشاء وضاع التوراة أن يأكل أولئك الملائكة الرجال مما وضعه ابراهيم لهم ، وذلك يخالف بلا شك ما جاء به القرآن الكريم حين رفع الضيوف أيديهم عن الأكل ولم يأكلوا فأوجس ابراهيم منهم خيفة تقول التوراة « وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض . وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك . ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة . فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت .

فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعي بثلث كيلات سميذاً اعجني واصنعي خبز ملة . ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلا رخصا وجيدا وأعطاه للغلام فأسرع ليعمله . ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم . وإذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا .

وقالوا له أين سارة امرأتك . فقال ها هي في الخيمة . فقال إني أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن . وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو وداءه . وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام . وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء . فضحكت سارة في باطنها قائلة أبعد فنائي يكون لي تنعمٌ

---

(١) تكوين ١٧ : ٢٣ - ٢٧ .

وسيدي قد شاخ . فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت . هل يستحيل على الرب شيء . في الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابن . فأنكرت سارة قائلة لم أضحك لأنها خافت . فقال لا بل ضحكت »[1] .

وتبلغ اللجاجة أقصاها في نفسية قوم اسرائيل ، فهم يضعون سارة في هذا الموقف وقد وقفت تجادل الرب ، وتنفي عن نفسها الضحك وتتمادى في هذا إلى درجة الكذب على الرب حين أنكرت كذبها ، وهو يرد على ذلك فيقول لا بل ضحكت . .

هكذا تصور التوراة ذلك الموقف الدقيق المعجز ، بينما نقرأ الموقف نفسه بجلاله ورهبته في القرآن الكريم فيقول سبحانه « ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء إسحق يعقوب . قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد »[2] .

وتقترن بشارة ابراهيم باسحق بضرورة بل بشرط الإيمان الذي سيكون رابطة النسب بين ذلك النسل وبين إبراهيم أبيهم . ولن تكون القرابة العنصرية وقرابة اللحم والدم هي الرابطة بينهم . وبذا يتوجب على ذلك النسل الذي سيكون من ابراهيم أن يحفظ طريق الرب ليعمل البر والعدل .

وأي الفرعين قد عمل بهذه الوصية حتى تكتمل ابتلاءاته واختباراته التي تهيئه لحمل الرسالة بصلابة وأمانة وصبر وصدق وعد. فهل هو فرع اسحق ؟

---

(١) تكوين ١٨ : ١ ـ ١٥ .

(٢) هود ٦٩ ـ ٧٣ .

« فقال الرب هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله . وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية . ويتبارك به جميع أمم الأرض . لأني عرفته لكي يوصي بنيه وبيته من بعده أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا برا وعدلا لكي يأتي الرب لإبراهيم بما تكلم به »(١) .

« وافتقد الرب سارة كما قال . وفعل الرب لسارة كما تكلم فحبلت سارة وولدت لابراهيم ابنا في شيخوخته . في الوقت الذي تكلم الله عنه . ودعا ابراهيم اسم ابنه المولود له الذي ولدته سارة إسحاق . وختن إبراهيم إسحق ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله . وكان ابراهيم ابن مئة سنة حين ولد له اسحق ابنه . وقالت سارة . قد صنع إليَّ الله ضحكا . كل من يسمع يضحك لي . وقالت من قال لابراهيم سارة ترضع بنين . حتى ولدت ابنا في شيخوخته . فكبر الولد وفطم وصنع ابراهيم وليمة عظيمة يوم ولد اسحق »(٢) .

وقضية إرث الايمان في نسل ابراهيم أمر مسلم به في التوراة ، والوعد بذلك الارث إنما هو للفرع المؤمن . فإذا كانت سارة تعلم ذلك الأمر كما أوحى الله به إلى إبراهيم فإن ذلك يعني أن طلب سارة بترحيل هاجر وابنها إنما هو حكمة أرادها الله تمهيداً لأمر يشاؤه سبحانه ، مما يتغير معه وجه التاريخ .

فكان من هذا أن صرحت سارة بمكنونها حين اعترضت على أن ينال اسماعيل حقا في ارث ابراهيم أبيه « ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح . فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق . فقبح الكلام جدا في عيني إبراهيم لسبب ابنه . فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك . في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه بإسحق يدعى لك نسل . وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك .

---

(١) تكوين ١٨ : ١٦ - ٢٢ .

(٢) تكوين ٢١ : ١ - ٨ .

فبكر إبراهيم صباحاً وأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعا إياهما على كتفها والولد وصرفها . فمضت وتاهت في برية بئر سبع . ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس لأنها قالت لا أنظر موت الولد . فجلست مقابله ورفعت صوتها فبكت فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها ما لك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومي احملي الغلام وشدي يدك به . لأني سأجعله أمة عظيمة . وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء . فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام . وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية . وكان ينمو رامي قوسي . وسكن في برية فاران وأخذت له أمه زوجه من أرض مصر »[1] .

والقضية الأولى في عملية تزييف اليهود حق اسماعيل هو إهمالهم رحلة ابراهيم مع هاجر وابنه اسماعيل إلى مكة ، لما في هذه الرحلة من تحويل خطير أو البدء في عملية التحويل الخطير للنبوة من فرع اسحق الى فرع اسماعيل ، واليهود يعلمون ذلك حق العلم .

فرحلة ابراهيم بابنه اسماعيل وزوجه هاجر الى مكة ترمي إلى مغزى عميق وإلى هدف بعيد ، ذلك هو نشوء اسماعيل في مكة الأرض البكر ، بعيدا عن البشر الذين قد يتأثر بهم في طفولته ، وغذاء العقل في طفولته هو الأساس للبناء الكبير الذي ستدور حوله حياة الإنسان في مسيرته في الحياة .

ووحدة إسماعيل في طفولته تعني طهارة العقل أو تطهيره مما قد يلبس عليه ، بل إن حكمة الله في رحيل إبراهيم بإسماعيل رضيعاً إلى مكة هو ألا يعلق في أعماقه أو خبايا عقله شيء من ماض في أرض غير أرض مكة ، مما قد يؤثر عليه في تهيئته الجديدة لحياة التوحيد الخالص .

فإسماعيل وأمه هاجر هما نواة الحياة في مكة التي أشربا حبها مع ما صارت

(١) تكوين ٢١ : ٩ ـ ٢١ .

عليه فيما بعد ، حين أمر إبراهيم وإسماعيل ببناء البيت فيها ، وقد امتدت حياته في مكة التي أضحت له وطناً وتعمقت في أرضها جذوره ؛ فقد تزوج في قبيلة جرهم العربية الأصيلة التي اتخذت مكة موطنها بعد أن تفجرت فيها عين زمزم بيد هاجر . وليس كما تذكر التوراة في زواج أو تزويج اسماعيل من مصرية ، وهذا بلا شك يرمي إلى الخلط في نسل اسماعيل الذي لا تريده التوراة ان يكون نسباً عربياً خالصاً تنبلج منه أنوار محمد بن عبد الله ﷺ .

ثم إن قرار إبراهيم بترحيل هاجر وإسماعيل ليس بناء على أمر من سارة زوجه ، ولكنه وحي إلهي ، خرج معه إبراهيم مع زوجه وابنه ولم يتركهما يذهبان وحيدين كما تذكر التوراة . والرحلة كانت الى مكة وليست الى برية بئر سبع . فقد هيأ الله سبحانه مكة لتستقبل اهلها ابراهيم وهاجر وإسماعيل ، وليكون في هذا أنس لإبراهيم وإلف للبلد الذي سيقيم عليه ابراهيم وإسماعيل بيت الله ، لتأسيس الحال وتمهيد المقام وخط الموضع للبيت المكرم والبلد المحرم(١) .

وقد قدَّر الله سبحانه وتعالى أمراً في كل خطوة تخطوها هاجر بابنها اسماعيل ، وتفجير زمزم أحد هذه الأمور المقدرة في دين السماء إلى الأرض دستوراً خالداً ، فقد ترك إبراهيم هاجر وإسماعيل في مكة وقفل راجعاً إلى ارض كنعان ، « وجعلت أم إسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها . وجعلت تنظر اليه يتلوى . فانطلقت كراهية ان تنظر إليه . فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً . فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها . ثم سعت سعي الإنسان المجهود ثم جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليه فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبي ﷺ « فذلك سعي الناس بينهما » . فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صه . تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت : قد

---

(١) القرطبي ٤ : ٣٥٩٩

أسمعته إن كان عندك غواث . فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه ـ أو قال بجناحه ـ حتى ظهر الماء . فجعلت تخوضه وتقول بيدها هكذا . وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف قال ابن عباس قال النبي ﷺ « يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً » . قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فإن ها هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه . وإن الله لا يضيع أهله(١) .

فهجرة هاجر وإسماعيل إلى مكة بدء المناسك التي أقرها الله سبحانه في فريضة الحج ، والسعي بين الصفا والمروة احد المناسك ، ثم التغذي بماء زمزم ولقوله ﷺ « ماء زمزم لما شُرِب له ، إن شربته تشتفي به شفاك الله وإن شربته لشبعك أشبعك الله به وإن شربته لقطع ظمئك قطعه وهي هزمة جبريل وسقيا الله إسماعيل »(٢) .

وبعد هذا التضييع التوراتي المتعمد لرحلة ابراهيم بزوجه وابنه اسماعيل إلى مكة تعود فجأة إلى الامتحان او الابتلاء في اسحق « وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم . فقال له يا إبراهيم فقال هأنذا فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق واذهب إلى أرض المُريّا وأصعده هناك محرقةً على أحد الجبال الذي أقول لك فبكر إبراهيم صباحاً وشد على حماره وأخذ اثنين من غلمانه معه وإسحق ابنه وشقّق حطباً لمحرقة وقام وذهب إلى الموضع الذي قال له الله . وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد فقال إبراهيم لغلاميه اجلسا أنتما ههنا مع الحمار . وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما . فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضعه على اسحق ابنه وأخذ بيده النار والسكين . فذهبا كلاهما معاً . وكلم إسحق إبراهيم أباه وقال يا أبي . فقال هأنذا يا ابني . فقال هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة . فقال إبراهيم الله يرى له

---

(١) تفسير القرطبي ٤ : ٣٥٩٨ .

(٢) المصدر السابق ٤ : ٣٥٩٩ .

الخروف للمحرقة يا ابني . فذهبا كلاهما معاً .

فلما أتيا الى الموضع الذي قال له الله بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب . ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه . فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم إبراهيم . فقال هأنذا . فقال لا تمدّ يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئاً ، لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني . فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقرنيه . فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يَهْوَه يراه ، حتى إنه يقال اليوم في جبل الرب يُرى .

ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء . وقال بذاتي أقسمت يقول الرب . إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطىء البحر . ويرث نسلك باب اعدائه . ويتبارك في نسلك جميع امم الأرض من اجل أنك سمعت لقولي ثم رجع إبراهيم الى غلاميه . فقاموا وذهبوا معاً إلى بئر سبع . وسكن إبراهيم في بئر سبع »(١) .

والتوراة تؤكد في عملية الابتلاء على ابن إبراهيم وحيده وتذكر هذا الابن الوحيد بالاسم فتقول عنه إسحق .

فهل يعني هذا أن اسحق هو الابن الوحيد الذي بقي عند أبيه وهل هي تفترض أن إسماعيل قد فقد ؟

إن دل هذا على شيء فهو يدل على أن التوراة لا تعتبر لإبراهيم غير ابن واحد وحيد هو اسحق ، ولذلك فالابتلاء توجهه كله اليه ، بل إنها تصرف الابتلاء إليه صرفاً ، مع علمها يقيناً ان اسماعيل هو الابن الوحيد حين كان ابتلاء الله لابراهيم .

---

(١) تكوين ٢٢ : ١ ـ ١٨ .

نقطة اخرى قد افتعلتها التوراة ، وهي أنها قد وقتت لهذا الابتلاء فجعلته بعد رحيل إبراهيم بهاجر وإسماعيل ، وقد جعلت الرحيل بعد أن كبر إسماعيل وليس رضيعاً كما هو معروف ، « ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لابراهيم يمزح . فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها . لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق »[١] .

فرحيل اسماعيل - في التوراة - يعني فقدانه أو انسلاخه عن أبيه ابراهيم وأخيه اسحق إلى درجة لا يستحق معها الإرث كما هو لإسحق ، كما ان التوراة تخص الابن الاصغر بالميراث .

ويزعم بعض الفقهاء من علماء اليهود المعاصرين أن الشريعة العبرية تميز الابن الأصغر بالميراث ، فالأستاذ جوزيف جاكوب يعلل تفضيل اسحق على اسماعيل ، وتفضيل يعقوب على عيسو ، وتفضيل يوسف على إخوته بأن الشريعة العبرية كانت لذلك العهد تأخذ بالحكم الذي كان شائعاً في بعض الشرائع الأولى منها شريعة حمورابي وهو اختصاص الابن الأصغر بالحصة الوافية من الميراث .

ويقول جاكوب : إن مؤرخي العهد القديم لم يدركوا معنى هذه السُّنة القديمة فحاولوا تصحيحها بتعليلات شتى ولكن القاعدة تطرد اطراداً لا يمكن تعليله بالمصادفة ، فلما قدم يوسف ولديه منسى وأفرايم إلى أبيه يعقوب ليتلقيا بركته حول الجد عينيه إلى أفرايم ويساره إلى منسى . وهكذا تولى داود الملك وهو أصغر أبناء أبيه . وقد أتبع داود هذه السنة فولى سليمان عرش الملك من بعده وهو أصغر من أخيه أدوناي[٢] .

وهذه نقطة تضاف الى ما لإسماعيل من فضل ، لأن الابتلاء كان قبل التبشير بإسحق كما ذكر القرآن الكريم ، بل إن التبشير بإسحق كان نتيجة نجاح إبراهيم في إبتلاء الله وامتحانه ، ويقترن هذا بالتبشير بيعقوب من بعد اسحق . « فلما أسلما

(١) تكوين ٢١ : ٩ - ١٠ .

(٢) عباس العقاد : ابراهيم ابو الأنبياء ١٧٨ - دار الهلال .

وتلّه للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه في الآخرين سلام على إبراهيم . كذلك نجزي المحسنين . إنه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين »(١) . والبشرى كذلك لسارة امرأة إبراهيم « وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء اسحق يعقوب »(٢) .

إسماعيل في حكم النسب والمنطق وحيد إبراهيم يوم كان الابتلاء بالذبح ، حتى وان شاء وضاع التوراة غير ذلك . وتزييفهم الحقيقة ، وصرف الابتلاء إلى اسحق إنما هو صادر عما انطقوا به ساره حيث قالت إن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق .

فإن كان هذا الارث هو إرث النبوة والنسب إلى إبراهيم ، فذلك ما لا يمكله احد ، ولا يستطيع ان ينفيه أو يجحده جاحد . والأبوة ليست إرثاً يورّثه من يستحقه من الأبناء ، ويحرم منه من لا يستحقه ، وإن كان إرث الإيمان فنسل إسماعيل هم النسل الوحيد .

بل إن التوراة ذاتها تؤكد أحقية الابن البكر في هذه البكورية حتى وإن كان من الزوجة المكروهة « إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة . فإن كان الابن البكر للمكروهة فيوم يقسم لبنيه ما كان له لا يحل له أن يقوم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر . بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته له حق البكورية »(٣) .

تذكر التوراة هذا الحق بالبكورية للابن البكر في الوقت الذي تحرم فيه عيسو

---

(١) الصافات ١٠٣ - ١١٢ .

(٢) هود ٧١ .

(٣) تثنية ٢١ : ١٥ - ١٧ .

أخا يعقوب من بكوريته وتعطيها ليعقوب أخيه كما دبرت امه وكادت لزوجها اسحق .

فماذا يعني ذلك غير المفارقات والمتناقضات التي تمتلىء بها التوراة ، وغير التزييف والتضليل للحقائق التي كشفها القرآن الكريم ، وبيَّن فيها تضليلهم وتحريفهم .

فتدبير الله سبحانه في اختيار اسماعيل ذبيحاً لأبيه إبراهيم خضوعاً لله وتسليماً هو توطئة لرسالة الاسلام الخالدة وقبلته بيت الله الحرام في البلد الحرام وهو تهيئة لهما وتمهيد .

ولو وضعنا حياة اسماعيل عليه السلام منذ بشر به أبوه إبراهيم إلى أن بنى البيت مع أبيه إلى غير ذلك وغيره في ميزان الايمان العقلي والمنطق لوجدنا أنها تستقيم مع الإسلام في أحكامه وشموليته وكماله وإنسانيته وعالميته ، بل إن العقل لا يستطيع ان يغفل أية خطوة خطاها إسماعيل دون ان يجدها أساساً لخطوة تليها ، حتى لنجد خطواته في النهاية حلقاتٍ متكاملة إلى بناء الإسلام الشامخ الذي حمل امانته محمدﷺ .

ويُكمل الإيمان العقلي حلقات اسماعيل الذبيح حتى يصل بها إلى عبد المطلب الذي أعطي عشرة من الولد وكان نذره ان يذبح العاشر منهم ، وكان عبد الله هو عاشرهم، وكيف اقدم أبوه عبد المطلب على تقديمه للذبح لولا ان فداءه كان مئة من الإبل ، فكان محمدﷺ ابن الذبيحيين الصابرين الصادقي الوعد ، فكانﷺ في صبره على تبليغ أمانة ربه الى العالم مثلاً يقتدى ، وكان في صدقه ما حمل عصره الذي ضج بالكذب والموبقات على أن يطلقوا عليه « الصادق الأمين » .

ليس ما تقدم استطراداً في غير طائل ، ولكنه استطراد يوضح لنا ما كان بنو إسرائيل يعرفونه في توراتهم حق المعرفة ، فجعلوا تلك النقطة هي منطلقهم إلى جعل اسحق هو الذبيح ، وكان الابتلاء فيه ان يُصْعَدَ محرقَة على جبل المُريّا الذي

جعلوه نقطة البداية الى ما دبروه بتزييفهم .

فما جبل المريّا هذا ؟

إنه التلة او الهضبة التي كان فيها كهف ملكي صادق الكاهـن السليمـي[1] الكنعاني الفلسطيني الموحد الذي بارك إبراهيم حين مر من هناك . وبُنـي حول كهف ملكي صادق وكهوف السكان آنذاك مدينة يبوس أو أوروسالم .

وأرض المريّا هي الأرض التي اختارها داود فيما بعد ليبني عليهـا الهيكل الذي أمره الرب ببنائه كما تقول التوراة ، وأكمله من بعده ابنه سليمان .

وقد اشترى داود هذه الأرض التي كانت لأرونة اليبوسي بخمسين شاقلاً من الفضة وبنى عليها مذبحاً للرب .

وجاء سليمان وبنى بيت الرب في هذا المكان الذي هو جبل المريا أو تل المريّا .

فبم يفسر ذلك ؟

إن جعل إسحق هو الذبيح على جبل المريا لا يرمي به وضاع التوراة إلى نسبة الفضل إلى إسحق بابتلاء ربه . ولكنهم يحصرون الاهتمام بالبقعة التي اقيم عليها المبعد السليماني ، وهم بذلك يرمون إلى نفـي اية صفـة يبـوسيه كنعـانية فلسطينية عن تلك الهضبة او التلة ، مزمعين بذلك . حصر أهميتها في اختيار الرب لها ليقدم ابراهيم محرقته عليها ، ليصرفوا الأنظار والتاريخ عن أصل هذه الهضبة التي كانت ملكاً لملكي صادق الكنعاني اليبوسي أو الأورشليمي قبل ان يأتي إليها إبراهيم .

وليس في اهتمام اليهود بالمريّا أية قيمة دينية ، بل ليس لذلك أي أثـر في تاريخ الانسانية أو في مسيرة رسالات السماء ، بل ليس في كون اسحق ذبيحاً أي تفسير منطقي قد يخدم حكمه الله سبحانه أو يفسرها . وقد جعلـت قضية الابتلاء

(١) نسبة الى اوروساليم التي عرفت في الكنعانية أورشليم .

بالذبح هي اساس ذلك الدين الخالد الذي هيّىء له محمد ﷺ بالفداء ، والصبر على هذا الابتلاء صبر المؤمنين ، والصدق بالوعد صدق الصابرين ، في أبويه اسماعيل ثم عبد الله ، ليكونا لأمة محمد ﷺ رمز البذل بالروح في سبيل الأمانة السماوية ، دين الاسلام ، وليكون عنوان مجد الأمة الاسلامية وغرة دينها في احدى الحسنيين النصر او الشهادة ، نصر الدين برفع راية لا إله إلا الله أو الموت في سبيله مع استعذاب الشهادة واسترواح الموت صبراً وتسليماً وخضوعاً ويقيناً ، كما كان تسليم اسماعيل وخضوعه .

وهل بقي لجبل المريّا من معنى في توراة اليهود او واقعهم ، بعد أن شاء الله أن يدمر المعبد ويزول الى الأبد ؟

هل في اعتبار اليهود اسحق ذبيحاً على هذا الجبل استمرارية لدين الله الخالد الذي شاءه لعباده ؟

واقع الأمر انها قضية خاسرة من أساسها لأن فرع نبوة اسحق قد جف ، واينع فرع اسماعيل بمحمد ﷺ ، خاتم الرسل والأنبياء ، ورسالته خاتمة رسالات السماء . وليس من رسالة خالدة بدون جذور عميقة لها في أعماق التاريخ وفي بطن الزمان وتحت ارض الواقع الحي المعاش المتجدد . وجذور رسالة الاسلام تبدأ بإبراهيم الموحد وأبنائه الأنبياء من نسل اسحق أولاً ،لأن النبوة[٢] أمانة موروثة في أعقابه لا تنقطع في جيل ، ولا بد لها من ورثة أبرار .

ويبقى الفداء قائماً ما قام دين الله العزيز الخالد في مكة وليس الفداء محرقة تُصْعَد على جبل المريّا . وقد قضى الله على هيكله بالفناء ليقام بإذن الله سبحانه المسجد الأقصى اولى القبلتين ويخلدها الدين وفي خلوده تخليد لإسماعيل الذبيح والمسجد الأقصى على المريّا والبيت الحرام ، في مكة ، وكلها واكبت دين التوحيد منذ إبراهيم الى عهد محمد .

---

(١) صموئيل الثاني ٢٤ : ٢٥ .

(٢) عباس محمود العقاد : إبو الأنبياء ٩ .

وتنتهي نبوة فرع اسحق بعيسى عليه السلام ولم يبق بعده من يدعـي إرث النبوة حكمه من الله بالغة . وليكون في هذا نهاية فرع وبداية فرع جذوره موغلة في القدم، وليكون اسماعيل ابن ابراهيم البداية لها، ومحمد ﷺ من تسلّم تلك الامانة وهي خاتمة الامانات السماوية، وليعلن رسول الله محمد ﷺ ان النبوة ليست إرثاً يورث حتى يقفل من بعده أبواباً قد ينفذ منها المدعون لهذا الحق . وتشاء حكمة الله سبحانه ان تستقر الأمانة كما ارادها الله لها منذ الأزل فينتقل محمد ﷺ الى الرفيق الأعلى وليس له من الابناء الذكور أحد، وكلهم ـ ما عدا ابراهيم الذي مات رضيعا قد ماتوا قبل بعثته ﷺ .

سلسلة متماسكة متكاملة أحكمت حلقاتها فكانت بدايتها ابراهيم الموحد أبا الأنبياء وابنه اسماعيل الصابر الصادق الوعد ذبيح الله ، ثم يتسلم محمـد ﷺ الأمانة منهما يبلغها الانسانية كلها بما فيها من فرائض وأحكام ومناسك ، وكلها تذكرنا بإبراهيم وإسماعيل وما تحملاه من ابتلاء في سبيل الرسالة ، وهما خير قدوة لخير مقتد ، عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه ، آمين .

اليهود في بروتوكولاتهم
والحياة المعاصرة

« برتوكولات حكماء صهيون» هو الكتاب اللغز في مجال البحث التاريخي وفي مجال النشر والمصادرة. فقلما ظهر في لغة من اللغات حتى يعجل إليه النفاد بعد أسابيع أو أيام من ظهوره .

ويشيع اليهود أن كل من يجرؤ على ترجمته أو إذاعته سيكون مصيره الاغتيال او الايذاء الشديد مما أفزع الكثيرين فأحجموا عن ترجمته .

وسبب وضع البروتوكولات أن زعماء الصهيونيين عقدوا ثلاثة وعشرين مؤتمراً منذ سنة ١٨٩٧ م. وكان آخرها المؤتمر الذي انعقد في القدس لأول مرة سنة ١٩٥١ م. وظاهره البحث في مسألة الهجرة إلى اسرائيل ومسألة[١] حدودها. وباطن هذه المؤتمرات جميعاً دراسة الخطط التي تؤدي إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية .وكان أول مؤتمراتهم في مدينة بال بسويسرة سنة ١٨٩٧ م. برئاسة زعيمهم هرتزل . واجتمع فيه نحو ثلاثمائة من أعتى حكماء صهيون كانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية . . . وقرروا فيه خطتهم السرية لاستبعاد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود .

وتتلخص خطتهم في محاولتهم السيطرة على السياسة العالمية بالقبض على زمام الصيرفة .

---

(١) اسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي لا تعرف حدودها ، ولم تحدد هذه الحدود.

وتتعدد وسائل الفتنة التي تمهد لقلب النظام العالمي وتهدده في كيانه بإشاعة الفوضى والإباحية بين شعوب ، وتسليط المذاهب الفاسدة والدعوات المنكرة على عقول أبنائه ، وتقويض كل دعامة من دعائم الدين او الوطنية او الخلق القويم(٢) .

وليس أدل على أطماع اليهود وسلوكهم من هذه البروتوكولات ، التي ترسم لهم الخطط التي ينفذونها خطوة خطوة في تحقيق أطماعهم ومآربهم التي تقوم على السلب والنهب والسطو والاستغلال .

وأضع هنا الخطوط العريضة لهذه البروتوكولات بمقدار ما تبرز سلوكهم في تاريخنا المعاصر على وجه التحديد، وصورتهم المعاصرة هي صورتهم على مر التاريخ والعصور . بكل ما فيها من رذائل ورجاسات وطغيان وعصيان وتمرد وشقاق وغلاظة رقاب وقساوة قلوب . حتى إن هذه الصفات تسري منهم مسرى الدماء في الشرايين .

ما يسعى إليه اليهود هو خراب العالم ودماره ليقيموا فوق أنقاضه مملكتهم الوهمية الأسطورية ، وهم ينشرون في سبيل هذا الوهم أوهاماً وخرافات بلغوا معها حداً توهموا فيه أن . اليهود هم من نطفة مميزة تختلف عن باقي النطف . فمن تعاليم تلمودهم الذي كان أساساً لهذه البروتوكولات « إن نطفة غير اليهودي كنطفة باقي الحيوانات»(٢) .

ويرسم التلمود ـ الذي يضعه اليهود في منزله التوراة ـ صورة الله سبحانه وتعالى ، ويرى فيه صفات بشرية منها الندم والغضب والطيش إلى آخر هذه الصفات .

ويروي التلمود ان الله قد ندم على ما أنزله باليهود والهيكل إلى درجة قال معها : تبّاً لي لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي .

---

(١) الصهيونية وقضية فلسطين ٣٤ .

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود : شوقي عبد الناصر ٣٣ ـ ط ٢

والله غير معصوم من الغضب حين غضب على بني اسرائيل فاستولى عليه الطيش . فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه . ولم ينفذ قسمه لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة .

ويقرر التلمود ان الله هو مصدر الشر كما انه مصدر الخير . وأنه اعطى الانسان طبيعة ردية وسنّ له شريعة لم يستطع بطبيعته الرديئة أن يسير على نهجها ، فوقف الانسان حائراً بينه اتجاه الشر في نفسه ، وبين الشريعة المرسومة إليه[1] .

هم ـ كما يتوهمون ـ متميزة أرواحهم عن باقي الأرواح ، وأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من أبيه ، وهذا يبيح بل يوجب لهم دخول الجنة التي خلقت لهم وليس لأحد سواهم ، فيقول التلمود « النعيم مأوى أرواح اليهود ولا يدخل الجنة إلا اليهود . . أما الجحيم فمأوى الكفار اختلفت أسماء دياناتهم . ولا نصيب لهم فيها إلا البكاء لما فيها من الظلام والعفونة والطين»[2] .

ورد القرآن الكريم على اليهود وأدحض افتراءاتهم ، ونقض ادعاءاتهم فقال سبحانه «وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»[3] .

واليهود يكفّرون كل الأمم التي لا تدين بدينهم ، وغرابة هذا المنطق أنهم يكفرون من جاء بعد دين موسى ، أما منطق السماء ورسالاتها والواقع أن كل من لم يؤمن بعيسى ، ومن بعده محمد فهو كافر ، ودليل ذلك أن فئة منهم آمنت وأخرى كفرت .

يقول التلمود « الأمم الخارجة عن دين اليهود أشبه بالحمير ، ويعتبر اليهود بيوتهم أشبه بزرائب الحيوانات»[4] .

---

(١) اليهودية (مقارنة الأديان) ٢٧٥ .

(٢) برتوكولات ٣٤ .

(٣) البقرة ١١١ .

(٤) بروتوكولات ٣٥ .

ويقول القرآن الكريم « فآمنت طائفة من بين اسرائيل وكفرت طائفة» . وذلك يؤكد اعوجاج منطقهم وغلاظة طباعهم .

ولا يكتفي التلمود ـ المقدس عندهم تقديساً يفوق تقديسهم التوراة ـ بذلك بل إنهم يصمون عيسى وصمات يأنف منها الخلق قبل ان تكفره شرائع السماء ، التي جعلت أركان الايمان : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقضاء خيره وشره .

يقول تلمودهم في عيسى (ص) وأمه مريم « إنّ يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين الزفت والقطران والنار وإنّ أمه مريم أتت به من العسكري ـ باندارا ـ بمباشرة الزنا .

والقرآن الكريم قد برأ عيسى من هذه الوصمة بتبرئة أمه مريم عليها السلام تبرئة ناصعة أبد الدهر « والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين» [1] .

ويقولون في الكنائس إنها « بمقام قاذورات وإنّ الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة» [2] .

فالمسيحيون كلهم كفرة بدءاً بالمسيح الذي يقولون فيه « يسوع المسيح ارتد عن الدين اليهودي وعبد الأوثان وكل مسيحي لم يتهود فهو وثني عدو لله ولليهود» [3] .

ولذلك فهم يرون أن «قتل المسيحي من الأمور الواجب تنفيذها وان العهد مع المسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم به اليهودي . إن الواجب أن يلعن

(١) الأنبياء ٩١ .

(٢) بروتوكولات ٣٤ .

(٣) بروتوكولات ٣٥ .

اليهودي ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يظهرون العداوة ضد بني إسرائيل»[1].

وماضي اليهود في التوراة والتاريخ وحاضرهم يؤكد ماأمربه تلمودهم الأسود من القتل والسفك حيث يرون « قتل غير اليهودي من الأفعال التي يكافىء عليها الله. وإذا لم يتمكن اليهودي من قتلهم فواجب عليه ان يتسبب في هلاكهم في أي وقت وبأي طريقة ممكنة»[2].

والقتل في تلمودهم الذي يعملون به حق وعدل ، فهم يرون أن من العدل قتل غير اليهود الذين يعتبرونهم كفاراً إذ «من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر لأن من يسفك دم الكافر يقدم قربانا إلى الله[3].

والشفقة في تلمودهم ممنوعة لغير اليهودي « فإذا رأيته واقعاً في نهر أو مهدداً بخطر فيحرم عليك أيها اليهودي أن تنقذه ، لأن السكان الذين كانوا في أرض كنعان وقضت التوراة بقتلهم جميعاً لم يقتلوا عن آخرهم ، بل هرب بعضهم واختلط بباقي أمم الأرض . ولذلك يلزم قتل غير اليهودي لاحتمال أن يكون من هؤلاء الهاربين»[4].

وغرابة الأمر ان توراتهم ذاتها تؤكد ، والتاريخ يشهد أن الكنعانيين والفلسطينيين لم يتركوا أرضهم حين غزاها الأسرائيليون ، بل إن اليهود انفسهم يذكرون في التوراة ويعلمون حق العلم أن بني اسرائيل سكنوا بين اهل الأرض الأصليين لأنهم لم يستطيعوا أن يخرجوهم من أرضهم. ولكن المنطق الأسرائيلي كما هو معروف ـ لا يتنفس إلا الكذب والتزييف.

---

(١) بروتوكولات ٣٤ .

(٢) بروتوكولات ٣٦ .

(٣) بروتوكولات ٣٦ .

(٤) اليهودية ٢٧٨ .

ولا يمكن لأي عقل ان يتصور ان تتمكن اسرائيل من طرد أهل فلسطين عن أرضهم ، لأن الحياة والتاريخ ألا يضيع حق وراءه مطالب ؛ بخاصة إذا كان صاحب الحق هم أهل فلسطين . لأن اسرائيل تعرف من هم اولئك الفلسطينيون الذين علموها القتال كما تذكر التوراة وكما يعلمهم التاريخ . وأقرب شاهد لنا معركة بيروت التي علمت اسرائيل أن فلسطين لابد مستردة بأيدي أبنائها الذين تصدوا لها في معركة بيروت . مهما بلغت شراسة اسرائيل وجنونها في سفك الدماء والتقتيل ، ومهما تكررت المجازر التي تصدر عن قلوبهم المتعطشة إلى الدماء . وأقرب هذه مجازر مخيمي صبرا وشاتيلا في بيروت الغربية في ايام ١٦ ـ ١٨ من أيلول، وقد اقترفتها اسرائيل بالغدر والمكر والخديعة وهي لا تصنع شيئاً إلا في ظلام الدسائس، بعد أن خرج مقاتلو فلسطين من بيروت الغربية التي لم تستطع غزوها بحال في أثناء وجود المقاتلين فيها.

ومهما يكن من أمر ، فإن التاريخ المعاصر يشهد عودة الحروب الفلسطينية الاسرائيلية التوراتية ، وقد كان أهل الأرض فيها هم الحق وبهم انتصر الحق ، ولا بد أن ينتصر الحق فوق أرض الخير والرسالات السماوية والرسل والأنبياء .

البروتوكول الأول :

ونصل إلى البروتوكولات المصنوعة من مواد التلمود والتوراة الداعية إلى الشر والقتل والزنا والانحراف والكفر والكذب والخداع والآثام ، وهي ترمي إلى إقامة مملكة داود الأسطورية على أكتاف رجال سياستها وهي « اللا أخلاق» « إذ إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء ، والحاكم المقيد بالأخلاق سياسي غير بارع ، وهو لذلك غير ثابت على عرشه . . لابد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والدهاء والرياء . . فإن الصفات الانسانية العظيمة . . من الإخلاص والأمانة تصبح رذائل في السياسة ، وإنها لتبلغ في زعزعة العرش أعظم مما يبلغه ألد الخصوم . هذه الصفات لابد ان تكون صفات « الجوييم» أي البلاد الأممية غير اليهودية . ولكننا غير

مضطرين إلى أن نقتدي بهم على الدوام[1].

وهذا هو عينه الذي صرح به إريئيل شارون للصحفية أو رويانا فالاكش في جريدة التايمز . فقد قال « الأمن اهم من كل شيء في إسرائيل . اهم من القيم والأخلاق والقوانين والأعراف الدولية»[2]. وحديثه هذا صادر عما رسمه البروتوكول الأول حيث يقول « وعلينا ـ ونحن نضع خططنا ـ ألا نلتفت الى ما هو خير او ما هو مبني على الأخلاق ببقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري.

ولذلك يلزم ألا نتردد لحظة واحدة في نشر الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق أهدافنا»[3].

البروتوكول الثاني :

وهو يبحث في الحكم المحلي المرتبط بها والسائر في ركابها ، والمحقق أهدافها وسنختار من بين العامة رؤساء إداريين ممن لهم ميول العبيد ، ولن يكونوا مدربين على فنون الحكم . ولذلك سيكون من السهل ان يصبحوا كقطع الشطرنج في أيدي مستشارينا المدربين خصوصاً على حكم العالم منذ بدء طفولتهم. دعوهم يعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التي أوحينا بها إليهم أنما هي من صالحهم ، ويحصر أنظارهم في هذا الموضوع . وبمساعدة صحافتنا نزيد ثقافتهم العمياء إلى هذه القوانين زيادة مستمرة .

لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء . ولا حظوا هنا أن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل . والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأحمي غير اليهودي سيكون واضحاً لنا بشكل مؤكد . . . ولكي

---

(١) البروتوكول الأول ٥٩ .

(٢) مجلة الحوادث اللبنانية عدد ١٣٤٩ في ١٤ ايلول سنة ١٩٨٢ .

(٣) البروتوكول الأول ٦١ ، ٦٢ .

نتجنب ارتكاب الأخطاء في سياستنا وفي عملنا الإداري يلزم علينا ان ندرس ونعي في أذهاننا الخطر الحالي من الرأي وهو اخلاق الأمة وميولها .

البروتوكول الثالث :

اليهود هم مثيرو الفتن ومشعلو الثورات من وراء ستار « تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها الكبرى . إن أسرار تنظيمها التمهيدي كانت معروفة لنا جيداً لأنها من صنع أيدينا . ونحن من ذلك الحين نقود الأمم قدماً من خيبة إلى خيبة حتى إنهم يتبرأون منا لأجل الملك المستبد من دم صهيون . وهو الملك الذي نعده لحكم العالم . ونحن الآن ـ كقورة دولية) فوق المتناول ، لأنه لو هاجمتنا إحدى الحكومات الأممية لقامت لنصرتنا أخريات . إن المسيحيين بخستهم الفاحشة ليساعدوننا على استقلالنا حينما يركعون أمام القوة ، وحينما لا يرثون للضعيف، ولا يرحمون معالجة الأخطاء ويتساهلون مع الجرائم .

إن كلمة الحرية تدفع بالمجتمع الى نزاع مع كل القوى حتى قوة الطبيعة وقوة الله . وذلك هو السبب في أنه يجب علينا حين نستحوذ على السلطة ان نحطم ونمحو كلمة الحرية من قاموس الإنسانية، باعتبار أنهارمز القوة الهمجية الوحشية. تحيل الشعب حيوانات متعطشة للدماء . ولكن يجب ان نركز عقولنا في ان الحيوانات تستغرق في النوم حينما تشبع من الدم. وفي تلك اللحظة يكون سهلاً يسيراً علينا أن نسخرها وان نستعبدها . وهذه الحيوانات إذا لم تعط الدم فلن تنام، بل سيقاتل بعضها بعضاً .

البروتوكول الرابع :

إن المحافل الماسونية المنتشرة في كل أنحاء العالم تعمل في السر كقناع لأغراضنا. إلا أن الفائدة التي نحن جادون في تحقيقها من هذه القوة في خطة عملنا وفي مركز قيادتنا ستظل دائماً غير معروفة كثيراً للعالم .

إن الناس تحت سيطرة الإيمان سيكونون موضوعين تحت حماية هيئاتهم الدينية وسيعيشون في هدوء واطمئنان وثقة بإرشاد قادتهم الروحيين . وسيخضعون لمشيئة الله في الأرض . وهذا هو السبب الذي يتحتم علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقيدة المسيحيين وأن نضع بدلاً منها أرقاماً حسابية وضرورات مادية . ولكن لكي تهز حياة الأميين الاجتماعية هزا وتدمرها تدميراً يجب علينا ان تسير التجارة على أساس المضاربة .

وتكون النتيجة الحتمية لهذا أن خيرات الأرض والاستثمارات لن تستقر في أيدي الأميين بل ستسير عبر المضاربات إلى خزائننا .

البروتوكول الخامس :

لقد بذرنا بذور الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع نواحي حياة الأمميين » شخصية أو قومية ، بنشر التعصبات الدينية والقبلية وذلك خلال عشرين قرنا . ومن هذا كله تتقرر حقيقة هي أن أي حكومة منفردة لن تجد لها سندا من جاراتها حين تدعوها إلى مساعدتها ضدنا . لأن كل واحدة منها ستظن أن أي عمل ضدنا سيكون نكبة على كيانها الذاتي .

إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض . وقد منحنا الله العبقرية كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل .

وعلى هذا الإدعاء الأسطوري يقول عباس العقاد ، إن من الناس من يتقبل هذا الادعاء بغير نظر أو مناقشة ، وهو أن اليهود يمتازون بالذكاء الخارق وأن نوابغهم أكثر عددا من نوابغ الآخرين . فهذا لا أساس له من الواقع ولا من حساب الأرقام ، لأن اليهود في الوقت الحاضر يقاربون ستة عشر مليونا في أنحاء العالم . ونسبة نوابغهم في العالم بأسره لا تزيد على نسبة النوابغ الحاضرين أو التاريخيين في أية أمة متحضرة يقارب أبناؤها ستة عشر مليونا من النفوس . . .

فإن فضل كل نابغ راجع إلى أمته وإلى بيئته القومية التي يتزود منها ثقافته ، أما اليهود فإنهم يستفيدون من ثقافة كل بلد يعيشون فيه ، من هنا كان نوابغ اليهود من شتى بلدان العالم أكثر عددا من نوابغ كل أمة على حدة ، وذلك في مجموعه راجع الى فضل تلك البلاد على اليهود الذين تزودوا ثقافتها واستفادوا من بيئتها القومية[1] .

ويمضي البروتوكول الخامس فيقول إن تجريد الشعب من السلاح في هذه الأيام أعظم أهمية من دفعه إلى الحرب . وأهم من ذلك أن نستعمل العواطف الملتهبة في أغراضنا بدلا من إخمادها . إن المشكلة الرئيسية لحكومتنا هي كيف تضعف عقول الشعب بالانتقاد وكيف تفقدها قوة الإدراك التي تخلق نزعة المعارضة وكيف تسخر عقول العامة بالكلام الأجوف .

البروتوكول السادس :

الارستقراطيون من حيث هم ملاك الأرض ما زالوا خطرا علينا لأن مواردهم منها تكفل لهم معيشة مستقلة . ولذلك يلزمنا أن نجردهم من أراضيهم بكل الأثمان . وأفضل الطرق هو فرض الضرائب والأجور العالية مما ينزل بمستوى الانتفاع بالأرض إلى أحط مستوى ممكن .

ولكي نخرب صناعة الأمميين ونساعد المضاربات سنشجع حب الترف المطلق الذي نكون قد نشرناه من قبل .

وسنزيد الأجور التي لن تساعد العمال . . كما سنقضي بكل مهارة على أسس الإنتاج ببذر بذور الفوضى بين العمال وتشجيعهم على إدمان الخمر .

البروتوكول السابع :

يجب أن ننشر في سائر الأقطار الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادله . . .

---

(١) الصهيونية وقضية فلسطين؟ ، ٣٢٥ .

وبهذا نتحكم في أقدار كل الدول التي تعرف أن لنا المقدرة على خلق الاضطرابات كما نريد ، مع قدرتنا على إعادة النظام . وكل البلاد معتادة على أن تنظر إلينا مستغيثة عند الضرورة متى لزم الأمر .

ويجب علينا أن نكون مستعدين لمقابلة كل معارضة بإعلان الحرب على الدول المجاورة التي تجرؤ على الوقوف في طريقنا . ولكن إذا غدر هؤلاء الجيران فقرروا الاتحاد ضدنا فالواجب علينا خلق حرب عالمية .

والنجاح الأكبر في السياسة يقوم على درجة السرية التي يتبعها أتباعنا ، أي أن أعمال الدبلوماسيين يجب ألا تطابق كلماتهم .

البروتوكول الثامن :

إننا سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين وهذا هو السبب في أن علم الاقتصاد هو الموضوع الرئيسي الذي يجب أن يتعلمه اليهود . وسنكون محاطين بألوف من رجال البنوك وأصحاب الصناعات وأصحاب الملايين .

وما دام ملء المناصب الحكومية بإخواننا اليهود في أثناء ذلك سيكون غير مأمون . فسوف نعهد بهذه المناصب الخطيرة إلى الأفراد الذين ساءت سمعتهم وانحطت أخلاقهم حتى تقف مخازيهم فاصلا بينهم وبين الأمة . وكذلك سوف نعهد بهذه المناصب الخطيرة إلى الأفراد الذين عصوا أمرنا وتوقعوا المحاكمة والسجن . والغرض من ذلك كله أنهم سيدافعون عن مصالحنا حتى النفس الأخير دفاعا عن أنفسهم .

البروتوكول التاسع :

إن الكلمات التحررية لشعارنا الماسوني هي الحرية ـ الاخاء ـ المساواة . وسوف نبدل فيها بل نصوغها بأشكال تعبر ببساطة عن أي فكرة . . وحينئذ نكون قد دمرنا في حقيقة الأمر كل القوى الحاكمة إلا قوتنا .

ونحن ـ كما هو الواقع ـ أصحاب الأمر والنهي في القيادات العليا للجيوش والمتحكمين فيها . ونحن نحكم بالقوة القاهرة . إن لنا طموحا لا يقف عند حد وشرها لا يشبع ونقمة لا ترحم وكراهية لا تحد .

ومن المختلف عليه أن تتمكن الأمم من النهوض بأسلحتها ضدنا إذا اكتشفت خططنا قبل الأوان . . وكي نمنع ذلك علينا أن نعتمد على أن ندفع إلى ميدان العمل بقوة رهيبة سوف تملأ قلوب أشجع الرجال هولا ورعبا .

وعندئذ سنربط كل عواصم العالم بالسكك الحديدية وسنحفر الأنفاق تحت الأرض . ومن هذه الأنفاق الخفية سنفجر وننسف كل مدن العالم ومعها كل أنظمتها وسجلاتها .

البروتوكول العاشر :

إن نظام الحكومة يجب أن يكون عمل عقل واحد ، لأنه سيكون من المستحيل تركيزه إذا كان عملا مشتركا بين عقول متعددة . وهذا هو السبب في أنه لا يسمح لنا إلا بمعرفة خطة العمل بل يجب ألا نناقشها بأي وسيلة وذلك حتى لا نفسد تأثيرها أو نعطلها .

لابد أن تستمر في كل البلاد الاضطرابات في العلاقات القائمة بين الشعوب والحكومات . فتستمر العداوات والحروب والكراهية والموت ، كما يمتد الجوع والفقر وتتفشى الأمراض . وكل هذا يمتد إلى درجة أن لا يجد الأمميون أي مخرج لهم من متاعبهم وآلامهم غير أن يلجأوا إلى الاحتماء بأموالنا وسلطتنا الكاملة .

البوتوكول الحادي عشر :

إن الأمميين كقطيع من الغنم ونحن الذئاب . فهل تعلمون ماذا تفعل الغنم عندما تدخل الذئاب إلى الحظيرة ؟ إنها تغمض عيونها عن كل شيء . وإلى هذا المصير سوف ندفعهم . سوف نعدهم بأننا سنعيد إليهم حرياتهم بعد التخلص من

أعداء العالم وإخضاع كل الطوائف . ولست في حاجة شديدة إلى أن أخبركم إلى متى سيطول بهم الانتظار حتى يستعيدوا حرياتهم الضائعة .

من رحمة الله أن شعبه المختار مشتت . وهذا التشتيت الذي يبدو ضعفا فينا أمام الناس قد ثبت أنه سبب كل قوتنا التي أوصلتنا إلى أعتاب السلطة العالمية .

لذلك يجب علينا أن نزوج بناتنا الجميلات للملوك والأمراء والوزراء والعظماء . وأن ندخل أبناءنا في الديانات المختلفة لتكون لنا الكلمة العليا في الدول والحكومات فنوقع بينهم وندخل عليهم الخوف ليحارب بعضهم بعضا ومن ذلك كله نجني أكبر الفوائد .

البرتوكول الثاني عشر :

ما الدور الذي تقوم به الصحافة في الوقت الحاضر؟ إنها تقوم بتهييج العواطف المتأججة في الناس . وأحيانا بإثارة الخلافات الحزبية الفردية والأنانية التي ربما تكون ضرورية لهدفنا . وما أكثر ما تكون جوفاء وظالمة وزائفة . . وسيكون علينا أيضا أن نظفر بإدارة شركات النشر الأخرى . فلن ينفعنا أن نسيطر على الصحافة الدورية بينما نظل عرضة لهجمات النشرات والكتب .

ولن يكون في استطاعة إنسان المساس بكرامتنا وعزتنا ومنفعتنا السياسية دون عقاب رادع .

ستكون لنا جرائد متعددة تؤيد مختلف الطوائف : ارستوقراطية ، جمهورية ، ثورية ، بل فوضوية أيضا . وستكون هذه الجرائد مثل الإله الهندي فشنو . لها مئات الأيدي وكل يد ستجس نبض الرأي العام المتقلب .

البروتوكول الثالث عشر :

إن الحاجة اليومية إلى الخبز ستضطر الأمميين اضطرارا على أن يمسكوا ألسنتهم ويظلوا خدمنا وعبيدنا الأذلاء .

ليس مطلوبا في المشكلات السياسية أن تكون مفهومة للناس العاديين أو أن يستطيع إدراكها إلا الحكام الذين مارسوا تصريف الأمور قرونا طويلة ، كما أننا نطلب الموافقة على المسائل المختلفة بالأقوال لا بالأفعال .

أما الحق بمعناه الصحيح فيجب ألا يعرفه أحد غيرنا نحن شعب الله المختار الذي اصطفاه الله ليكون قواما على الحق .

البروتوكول الرابع عشر :

عندما نتمكن من السلطة ونصبح سادة الأرض لن نسمح بقيام دين غير ديننا . لهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان . وإذا كانت نتيجة ذلك هي انتشار الملحدين فإن ذلك لن يدخل في موضوعنا . ولكنه سيفيدنا في الأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا عن دين موسى الذي وكل إلينا بعقيدته الصارمة وأحب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا .

سيفضح فلاسفتنا كل مساوىء الأديان الأممية ولكن لن يحكم أحد أبدا على ديانتنا من وجهة نظر الحقيقة . إذ لن يستطيع أحد أن يعرفها معرفة شاملة واعية إلا شعبنا الخاص الذي لن يخاطر أبدا بكشف أسرارها .

لقد نشرنا في كل الدول الكبرى المتزعمة للعالم أدبا مريضا قذرا . وسنستمر فترة قصيرة بعد أن نسيطر على العالم بحكمنا على تشجيع نشر مثل هذا النوع من الأدب ، حتى نشير بوضوح إلى اختلافه عن التعاليم التي سنصدرها بعد ذلك .

البرتوكول الخامس عشر :

حين نحصل نهائيا على السلطة سنعمل المستحيل لمنع المؤامرات التي تدبَّر ضدنا ، وذلك بالقيام بعدد من الانقلابات السياسية المفاجئة بحيث تحدث في وقت واحد في جميع الأقطار ، وسنقبض على السلطة بسرعة عندما تعلن حكوماتها

رسميا أنها عاجزة عن حكم الشعوب .

ولكي نصل إلى منع المؤامرات ضدنا حين نسيطر على الحكم سننفذ أحكام الإعدام بلا رحمة أو شفقة في كل من يتحدى سلطتنا ، أو يشهر سلاحاً في وجه استقرارنا في الحكم .

إن تكوين أي جمعية سرية سيكون عقابه الموت . أما الجماعات السرية التي تقوم في الوقت الحاضر ـ ونحن نعرفها ـ والتي تخدم أغراضنا وقد خدمتها فعلا . . فإننا سنحلها وننفي أعضاءها إلى جهات نائية من العالم .

وبالأسلوب نفسه سنتصرف مع كل واحد من الماسونيين الأحرار من الأمميين ؛ لأنهم ربما يعرفون أكثر من الحد المناسب بسلامتنا . وكذلك الماسونيون الذين سنبقى عليهم لسبب أو لآخر سنبقيهم في خوف دائم من النفي وسنصدر قانونا يقضي على كل الأعضاء السابقين في الجمعيات السرية بالنفي من أوروبا حيث سنقيم مركز حكومتنا العالمية .

وإلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة سنحاول أن ننشىء ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم .

ما كان أبعد نظر حكمائنا القدماء حين أخبرونا أن للوصول إلى غاية عظيمة يجب ألا نتوقف أمام الوسائل أو الأساليب . وأن لا ننظر إلى عدد الضحايا الذين يجب التضحية بهم للوصول إلى هذه الغاية . إننا لم نهتم إطلاقا بالضحايا من نسل هؤلاء البهائم من الأمميين ، غير اليهود .

ويوم يضع ملك إسرائيل على رأسه المقدس التاج الذي أهدته له أوروبا فسيصير الحاخام الأكبر لكل العالم .

البروتوكول السادس عشر :

وحتى نتمكن من تدمير أي نوع من الاتجاهات الجامعية غير اتجاهاتنا سنبيد

العمل الجامعي في مرحلته الأولى . أي أننا سنغير الجامعات وسنعيد إنشاءها حسب خططنا الخاصة .

سيكون رؤساء الجامعات وأساتذتها معدّين إعدادا خاصاً وفقا لبرنامج سري متقن . وسيهذبون ويشكلون بحسبه . ولن يستطيعوا الانحراف بغير عقاب . كما أنهم سيرشحون بعناية بالغة ويكونون معتمدين تماما على الحكومة . وسنحذف من كل فهارسنا كل تعاليم القانون المدني . مثله في ذلك مثل أي موضوع سياسي آخر .

إننا بالتربية المنظمة سوف نراقب ما بقي من استقلال فكري كنا نستغله استغلالا كاملاً لأهدافنا الخاصة ولغاياتنا منذ مدة كبيرة . لقد وضعنا من قبل نظام إخضاع عقول الناس بما يسمى نظام التربية البرهانية الذي فرض فيه أن يجعل الأمميين غير قادرين على التفكير باستقلال . وبذلك سينتظرون مثل البهائم والحيوانات برهانا على كل فكرة قبل أن يقتنعوا بها أو يتمسكوا بها .

إن واحداً من أحسن وكلائنا في فرنسا وهو « بوروي » هو الذي وضع النظام الجديد للتربية البرهانية .

البروتوكول السابع عشر :

لقد وجهنا اهتماما كبيرا إلى الحط من كرامة رجال الدين من الأمميين غير اليهود في أعين الناس . وبذلك نجحنا في الإساءة إلى رسالتهم والإضرار بها . وهي التي كانت تشكل عقبة كبيرة في طريقنا .

إن نفوذ رجال الدين على الناس يتضاءل يوما بعد يوم . وتسود الحرية الدينية في كل مكان . ولن يطول الوقت إلا لسنين قليلة حتى تنهار المسيحية انهيارا تاما .

سنجعل رجال الدين وتعاليمهم على هامش الحياة ، وسيكون تأثيرهم وبيلا على الناس ، بل إن تعاليمهم سيكون لها أثر مخالف تماما للأثر الذي جرت العادة أن يكون لها .

حينما يأتي الوقت لتحطيم البلاط البابوي تحطيما تاما ، فإن يدا خفية ستشير إلى الفاتيكان وتعطي إشارة الهجوم ، وحينما تندفع الجماهير الهائجة إلى الفاتيكان لتحطيمه وهدمه بأيديها سنظهر نحن كحماة له لوقف المذابح .

وبهذا سنسيطر على البلاط ونصل إلى قلبه وعندئذ لن تستطيع قوة على وجه الأرض أن تخرجنا منه حتى ندمر السلطة البابوية تماما .

إن بابا اسرائيل سيصير البابا الحقيقي لهذا العالم وبطريرك الكنيسة العالمية .

لن نهاجم الكنائس القائمة اليوم حتى نكمل تعليم الشباب بعقائد مؤقتة جديدة . ثم عن طريق عقائدنا الخاصة . ولكننا سنحاربها عن طريق النقد الذي ينشر الخلافات بينها باستمرار . وعلى وجه العموم ستفضح صحافتنا الحكومات والهيئات الدينية الأممية عن طريق المقالات اللا أخلاقية والبذيئة حتى نخذيها ونحط من قدرها إلى مستوى لا يقدر عليه إلا أمتنا القوية الحكيمة .

البروتوكول الثامن عشر :

إن ملكنا سيكون محمياً بحرس سري جداً ، وذلك حتى لا يظن إنسان أنه يمكن أن تقوم ضده مؤامرة لا يستطيع هو أن يدمرها فيلجأ إلى إخفاء نفسه عن الناس . وإن حراسة الملك علانية تساوي الاعتراف بضعف قوته .

إن حاكمنا سيكون دائماً وسط شعبه ، وسيظهر محاطاً بجمهور ينظر إليه من الرجال والنساء . ويستطلعون الأحوال وسيكونون بالمصادفة ـ كما سيبدو ذلك ـ أقرب الصفوف حوله . مبعدين عنه الرعاع بحجة النظام من أجل النظام فحسب .

إن حكومتنا ستعتقل الناس بمجرد أن تشتبه أو تتوهم منهم الجرائم السياسية ،ولو كان اشتباها ضئيلاً . إذ ليس من المقبول أن يُعطى شخص فرصة الهرب وأنت تشتبه في احتمال قيامه بمثل هذا العمل خوفاً من حكم خاطىء .

ولن نظهر أي عطف على هؤلاء المجرمين . لا تساهل إطلاقاً مع الجرائم لسياسية ، لا تساهل إطلاقاً مع رجال ينغمسون في السياسة التي لا يفهمها أحد إلا لملك ، وليس كل الحاكمين على مقدرة لفهم السياسة الصحيحة .

لبروتوكول التاسع عشر :

إن الثورة ليست أكثر من نباح كلب على فيل . . وليس على الفيل إلا أن ظهر قدرته بأسلوب واحد متقن حتى تكف الكلاب عن النباح وتكتفي بأن تهز أذنابها عندما ترى الفيل إظهاراً للخضوع .

وحتى تنتزع من المجرم السياسي شجاعته سوف نضعه في مستوى المجرمين الآخرين مع اللصوص والقتلة الأشرار المنبوذين المكروهين .

وقد بذلنا كل الجهود لمنع الأحميين من اتباع هذا الأسلوب الفريد في معاملة الجرائم السياسية ، ولكي نصل الى هذه النتيجة استخدمنا الصحافة والخطابة وكتب التاريخ المدرسية وأوحينا إليهم بفكرة أن القاتل السياسي شهيد لأنه مات من أجل فكرة السعادة الانسانية .

إن اسلوبنا هذا قد زاد من عدد المتمردين .

البروتوكول العشرون :

يتحدث هذا البروتوكول عن البرنامج المالي ، وهو أكثر الأمور صعوبة كما يقول واضعو البروتوكولات .

حين نصل إلى السلطة فإن حكومتنا الأوتوقراطية من أجل مصلحتها الذاتية ستتجنب فرض ضرائب ثقيلة على الجمهور . . ولن ننسى أبداً ذلك الدور الذي ينبغي أن نمثله وأعني به دور الأب الحامي المنقذ .

ولكن ما دام تنظيم الحكومة سيحتاج الى مبالغ ضخمة من المال فمن

الضروري جداً أن تتهيأ الوسائل والأساليب اللازمة للحصول عليه . ولذلك يجب ان نبحث هذه المسألة بحرص عظيم وأن نتأكد أن عبء الضرائب موزع توزيعاً حسناً .

وبحجة قانونية سيكون حاكمنا مالكاً لكل املاك الدولة ، وهذا يمكن تنفيذه بسهولة . وسيكون حاكمنا قادراً على زيادة مقادير المال التي ربما تكون ضرورية لتنظيم تداول العملة في البلاد .

إنَّ الأزمات الاقتصادية التي دبرناها بنجاح باهر في البلاد الأممية قد تمت عن طريق سحب العملات من التداول .

إن تعديل العملة من حين لآخر مسألة حيوية للعالم أجمع . وستكون لحكومتنا عملة قائمة على قوة العمل في البلاد وستكون من الورق أو حتى من لب الخشب .

والحكام الأمميون ـ بإهمالهم أو بسبب فساد وزرائهم أو جهلهم قد جروا بلادهم إلى الاستدانة من بنوكنا لدرجة أنهم لا يستطيعون الوفاء بهذه الديون .

البروتوكول الحادي والعشرون :

وهو يتحدث عن القروض الداخلية لدولتهم إلى أن تتحقق مملكتهم المزعومة وملكها الخرافي .

البروتوكول الثاني والعشرون :

في أيدينا تتركز أعظم قوة في هذه الأيام ، وأعني بها الذهب . ففي خلال يومين نستطيع أن نسحب أي مقدار منه إلى حجرات كنزنا السرية .

ألا يزال ضرورياً علينا بعد ذلك أن نبرهن أن حكمنا هو إرادة الله ؟

هل يمكننا ـ ولنا كل هذه الخيرات الضخمة ـ أن نعجز بعد ذلك عن إثبات

أن كل الذهب الذي ظللنا نكدسه خلال قرون طويلة جداً لن يساعدنا في غرضنا الصحيح لخيرنا ، أي لإعادة النظام تحت حكمنا ؟

إن هذا قد يستلزم قدراً من العنف ولكن هذا النظام سيستقر أخيراً . سوف نمنح العالم فرصة لهذا السلام وهذه الحرية ، ولكن في حالة واحدة ليس غيرها إطلاقاً ، وهي حين يتمسك العالم بقوانينا تمسكا شديداً صارماً .

إن السلطة الحقة لا تستسلم لأي حق ـ حتى حق الله ـ ولن يجرؤ أحد على الاقتراب منها كي يسلبها ولو طرفا من مقدرتها .

البروتوكول الثالث والعشرون :

يجب أن يدرب الناس على الحشمة والحياء كي يعتادوا الطاعة ، ولـذلك سنقلل مواد الترف .

يجب أن يظهر الملك الذي سيحل الحكومات القائمة التي ظلت تعيش على جمهور قد تمكنا نحن أنفسنا من إفساد أخلاقه خلال نيران الفوضى ، وأن هذا الملك يجب أن يبـدأ بإطفـاء هذه النيران التـي تندلـع اندلاعـاً متـزايداً من كل الجهات .

ولكي يصل الملك إلى هذه النتيجة يجب أن يدمر كل الهيئات التي قد تكون أصل هذه النيران ، ولو اقتضاه ذلك ان يسفك دمه هو نفسه .

ويجب أن يكون جيشنا منظماً تنظيماً حسناً ، يحارب بحرص وبحزم حتى لا تتسرب إليه أي فوضى قد تسمم جسم الحكومة .

إن ملكنا سيكون مختاراً من عند الله ، حينئذ سنكون قادرين على أن نصرخ في الأمم « صلوا لله واركعوا أمام ذلك الملك الذي يحمل آية التقدير الخالد للعالم والذي يقود الله ذاته نجمه الهادي فلن يكون أحد آخر إلا هو نفسه قادراً على أن يجعل الإنسانية حرة من كل خطيئة .

البروتوكول الرابع والعشرون :

يقول هذا البروتوكول : والآن سأعالج الأسلوب الذي نقوي به دولة الملك داود حتى تستمر الى يوم القيامة .

إن أعضاء كثيرين من نسل داود سوف يعدون ويربون الملوك ومن يخلفونهم . وهؤلاء لن ينتخبوا بحق الوراثة بل بمواهبهم الخاصة ، وهؤلاء الخلفاء سيعمقون فيما لنا من أفكار سياسية سرية . وخطط للحكم في حذر وسرية تامة خشية أن تقع في يد أي إنسان آخر .

وسيغير الأشخاص التالون مباشرة للملك إذا ما حدث وانساقوا وراء شهواتهم . أو وجد أثناء تدريبهم أنهم ضعاف النفوس أو إذا بدا منهم ما يدل على ميل ضار بالسلطة ، فإن هذا كله يعرض كرامة التاج للخطر .

ولن يأتمن شيوخنا على زمام الحكم إلا الرجال القادرين على أن يحكموا حكماً حازماً وعنيفاً .

إذا مرض ملكنا أو فقد القدرة على الحكم فسنضطره الى تسليم الحكم الى من أثبتوا من اسرته أنهم أقدر على الحكم .

إن خطط الملك العاجلة ـ وأهم منها خططه المستقبلة ـ لن تكون معروفة حتى لأقرب مستشاريه .

ولن يعرف خطط المستقبل إلا الحاكم والثلاثة الذين دربوه .

ويلزم ان يكون للملك عقل قادر على تنفيذ خططنا ولذلك لن يتولى العرش قبل ان يتأكد حكماؤنا من قوته العقلية .

ولكي يكون الملك محبوباً ومعظماً من كل رعاياه يجب أن يخاطبهم علانية مرات كثيرة . فمثل هذه الطرق ستجعل القوتين في وفاق تام .

وأعني بالقوتين قوة الشعب وقوة الملك اللتين فصلنا بينهما في البلاد الأممية بإبقاء كل منهما في خوف دائم من الأخرى .

إن قطب العالم في شخص الحاكم العالمي الخارج من بذرة اسرائيل ليطرح بعيداً كل الأهواء الشخصية من اجل مصلحة شعبه .

وقد وقع هذه البروتوكولات ممثلو صهيون من الدرجة الثالثة والثلاثين وهذه أرقى درجات الماسونية اليهودية .

ولن نعلق على هذه البروتوكولات التي ترسم مملكة أسطورية وملكاً خرافياً من بذرة إسرائيل ، ولكنها أوهام مرضى نسوا أن سنة الله في رسالاته وفي أنبيائه ورسله قد مضت ، وقد طوي من طوي ، وانقضى من انقضى والتاريخ يمضي الى أمام، والحياة لن يستقيم بغير دينه الحق ، الاسلام الذي هو دين الله سبحانه ، وهو الدين الذي يواكب البشرية في مسيرتها نحو الحق الخير والسلام ، ويبقى المقياس هو المقياس ، الإيمان و « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . ولن تقوم لدولة الظلم قائمة .

وإلحاقاً بهذه البروتوكولات أو بدءاً لها أرى إثبات حجية ما يسمى بقرار الثأر لعام ١٤٩٢ م ، وهو يعطي ملامح العقلية اليهودية التي تسعى الى تدمير العالم وخرابه وإفساده منذ وجدت .

فقد أرسل شيمور حاخام اسبانيا الأكبر كتاباً لحاخام القسطنطينية يسأله النصح حين يتعرض شعبه لخطر صدور قانون بطردهم أو اضطهادهم . وقيل إن هذا القرار قد وجد في ملف توليدو بإسبانيا .

يا أبناء موسى الأعزاء : لقد تسلمنا خطابكم ، إن نصيحة الحاخامات والأحباء هي ما يأتي :

فيما يتعلق بما تقولونه من أن ملك اسبانيا يضطركم إلى اعتناق المسيحية . افعلوا ذلك ما دمتم لا تستطيعون ان تفعلوا شيئاً آخر .

فيما يتعلق بتجريدكم من أملاككم . اجعلوا أولادكم تجاراً حتى يجردوا المسيحيين من أملاكهم شيئاً فشيئاً .

فيما يتعلق بمحاولات قتلكم . اجعلوا أولادكم أطباء وصيادلة لعلهم يقتلون المسيحيين .

فيما يتعلق بهدم معابدكم ، اجعلوا أبناءكم كهنة وإكليريكيين لعلهم يهدمون كنائسهم .

فيما يتعلق بالمضايقات الكثيرة الأخرى التي تشكون منها رتبوا أموركم بحيث يصبح أبناؤكم محامين . واعملوا على ان يتصلوا بشؤون الدولة ويتولوا مناصبها دائماً وبوضعكم المسيحيين تحت حكمكم قد تحكمون العالم وتنتقمون منهم .

لا تنحرفوا عن هذا النظام الذي نعطيه لأنكم ستجدون بالتجربة انكم على الرغم مما أنتم عليه من مهانة فستصلون إلى القوة الحقيقية[1] .

---

(١) بروتوكولات ٢١١ .

الخاتمـة

تلك كانت إسرائيل عبر التاريخ والتوراة والانجيل والقرآن ، وقـد شاء الله سبحانه أن يمتحن ذلك الشعب بأول رسالة سماوية محررة مكتوبة ، وكان شرط هذا الامتحان الوحيد هو النجاح في قضية الايمان بالله والتوحيد المطلق المنزه .

وكان وعد الفوز في الامتحان المحرر وعدا بالأرض التي هيئت لاستقبال رسالات السماء ، حتى ينشروا فيها التوحيد ويقضوا على عبادة الأصنام .

ولكن ما حصل هو كفر بني إسرائيل وعبادة الأصنام الى درجة فاقوا معها كل عباد الأصنام في كفرهم وضلالهم .

وتكررت امتحانات الرب لهم ، والشرط وحيد لا يتغير، وفي كل مرة كانوا يزدادون كفراً وعتواً وبغياً ، إلى أن كان التيه والتشرد في سينـاء ، وكان ذلك من الرب نموذجاً وعنواناً لتيههم الأكبر الأبدي ، حين حكم عليهم كما تذكر توراتهم بالتبديد والتشتيت بين الأمم . وتلك قضيتهم التي لا يجادلون فيها ، قضية التيه بين الأمم .

لقد نقضت التـوراة والإنجيل والقـرآن ادعاءاتهـم وافتراءاتهـم في قضـايا كثيرة . في مقدمتها الوعد بالأرض . وأدحضت كتب السماء ذلك الافتراء حيث لم يعد الوعد قائماً إلا لمن يؤمن من نسل ابراهيم .

وكان نسل إسماعيل بن إبراهيم هو النسل المؤمـن الموحـد فقـرر القـرآن

الكريم ان ابراهيم ما كان يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين .

بديء الوعد بإبراهيم وانتهى بنسل إسماعيل . وطويت صفحة الوعد التوراتي الى الأبد ، لتفتح صفحة الوعد بأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين .

والقضية الثانية هي ادعاؤهم بأرض الأقصى لأنها أرض الهيكل الذي اندثر الى الأبد وطواه الزمان الى غير رجعة ، لأنه أريد به عبادة الله وتوحيده ، وما يخلد بيوت الله هو الإيمان بالله وإنما يعمر مساجد الله من آمن بالله ، ولكن اسرائيل كفروا ، فكان فكان ضياع الهيكل الى الأبد ، كما ضاع أصحاب الهيكل وضيِّعوا وبددوا بين الشعوب والأمم بإرادة الله سبحانه وتعالى .

ذلكما أبرز ادعاءين نقضهما هذا الكتاب ، وصدرت في نقضي عن توراة اليهود نفسها التي حمِّلوها ثم لم يحملوها ، فقد ضيعوا توراة موسى ورفضوا حمل امانتها ، ثم زيفوها وحرفوها وبدلوها ونقضوا أحكامها ، وهدموا فرائضها ورفضوا وصاياها فحق فيهم قوله سبحانه « مثل الذين حمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً » .

صدق الله العظيم ـ والحمد لله في الأولى والآخرة .

المصادر والمراجع

١ ـ التوراة .

٢ ـ الإنجيل .

٣ ـ إنجيل برنابا .

٤ ـ القرآن الكريم .

٥ ـ تفسير في ظلال القرآن: سيد قطب .

٦ ـ تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي .

٧ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير القرشي .

٨ ـ دكتور أحمد سوسة : مفصل العرب واليهود في التاريخ ط ٥ سنة ١٩٨١ م . منشورات وزارة الثقافة والإعلام . بغداد .

٩ ـ دكتور أحمد شلبي : مقارنة الأديان (اليهودية) ط ٥ سنة ١٩٧٨ .

١٠ ـ (المسيحية) ط ٦ سنة ١٩٧٨ . مكتبة النهضة المصرية .

١١ ـ بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود ـ ط ٢ ترجمة شوقي عبد الناصر .

١٢ ـ الدكتور الحسيني ـ عروبة بيت المقدس .

١٣ ـ شارل جنيبير : المسيحية نشأتها وتطورها . ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود ـ المتبة العصرية . صيدا . بيروت .

١٤ ـ ظفر الإسلام خان : تاريخ فلسطين القديم ط ٢ ـ سنة ١٩٧٩ .

١٥ ـ عارف العارف : المفصل في تاريخ القدس ط ١ سنة ١٩٦١ . مطبعة المعارف ـ القدس .

١٦ ـ عباس محمود العقاد : الصهيونية وقضية فلسطين . المكتبة العصرية . صيدا . بيروت .
١٧ ـ الإسلام والحضارة الانسانية . المكتبة العصرية . صيدا . بيروت .
١٨ ـ إبراهيم أبو الأنبياء . دار الهلال .
١٩ ـ دكتور عبد الحميد زايد : القدس الخالدة سنة ١٩٧٤ م الهيئة المصرية العامة للكتاب .
٢٠ ـ عبد الله التل : خطر اليهودية العالمية على المسيحية والإسلام .
٢١ ـ دكتور عز الدين غربية : فلسطين تاريخها وحضارتها سنة ١٩٨١ م .
٢٢ ـ القلقشندي : صبح الأعشى . وزارة الثقافة والإرشاد القومي . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (تراثنا) .
٢٣ ـ المستشار محمد عزت اسماعيل الطهطاوي : النصرانية والإسلام دار الأنصار ـ القاهرة .
٢٤ ـ دكتور محمد علي الزعبي : وصايا الشيطان ، مؤسسة الزعبي للطباعة والنشر والتوزيع .
٢٥ ـ محمود العابدي : قدسنا . ط سنة ١٩٧٢ م (قسم البحوث والدراسات الفلسطينية) .
٢٦ ـ موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة سنة ١٩٧٧ ـ دار المعارف .
٢٧ ـ ابن هشام : السيرة النبوية . الجزء الثاني .
٢٨ ـ ول ديورانت : قصة الحضارة . الجزء الثاني .
٢٩ ـ القس وليم مارس : السنن القويم في تفسيرات العهد القديم . سنة ١٩٣٧ . مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ـ بيروت .
٣٠ ـ مجلة الحوادث اللبنانية عدد ١٣٤٩ ـ ١٤ ايلول سنة ١٩٨٢ م .

الفهرس

إهداء	٥
المقدمة	٧
المدخل	١٥
فلسطين في التاريخ والتوراة	٢٣
اورشليم القدس في التاريخ والتوراة	٣٧
اورشليم في التوراة	٤١
الوعد	٦٩
الهيكل في التوراة	١٢١
اورشليم والهيكل في الأناجيل	١٣٩
الرب في التوراة	١٤٩
اليهود في التوراة	١٦٧
اليهود في الأناجيل	١٩٥
اليهود في القرآن الكريم	٢١٩
محمد ﷺ في الأناجيل	٢٣٥
عيسى عليه السلام في القرآن الكريم	٢٦١
الذبيح في القرآن الكريم	٢٧٣
الذبيح في التوراة	٢٨٣
اليهود وبروتوكولاتهم والحياة المعاصرة	٣٠١
الخاتمة	٣٢٥
المصادر والمراجع	٣٢٧